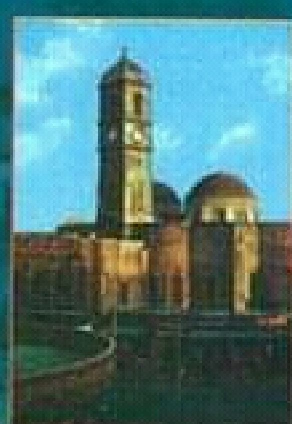
الموصل

قبل نصف قرن

(مشاهد وذكريات)







تأليف

أ.د. سمير بشير حديد

الدار العربية للموسوعات

الـمـوصـل قــبـل نـصـفِ قَـرن

(مشاهد وذكريات)

الأستاذ الدكتور

سمير بشير حديد

الطبعة الأُولَى

1433 هـ / 2012م

المقدمة

التراث هو الوعاء الذي يستوعب تاريخ أيَّةِ أمةٍ من الأمم، وهو صَمَّامُ أمَانِها، يشكل الهوية، ويرسخ الثقافة، ويحقق الذات، ويعبِّر عن المجد والأصالة والعزة والإباء، ويرصد العادات والتقاليد... وبذَلِك يسهم في تسجيل حياة الأمة، ويروي معاناة الإنسان في هذه الحياة، وتفاعله معها في كل حالة من الحالات سواء في الأفراح أو الأتراح. لذَلِك كله هو سجل الأمة، يميزها عن غيرها من الأمم، ويفتح لها باباً تنطلق منه إلى العالمية.

ولا شك أن التراث يمثل سلوكاً يُمارَس، بما ينطوي عليه من عادات وتقاليد وتصرفات وما يتصل بالحياة من كل جوانبها، قد ينكره المجتمع ويرفضه، وقد يتفق معه ويقبله ويرضى عنه ويشجعه.

ولا نستطيع هنا أن نقوم برصد تُراث مدينتنا كله، للصعوبات الجَمَّة التي تواجه من اِغتَرَبَ وضعفت ذاكرته، وللأحداث الجسام، والبعد الزمني، وقلة المصادر، والتغيّر في أسماء الأماكن، فضلاً عن التقدم الحضاري والعلمي والثَقَافِيّ واِختِلَاط الأمم بعضها ببعض... ومع ذَلك كله فإن هذه المعوقات لا تقف حائلاً دون أن نتلمس بعض الجوانب التُراثية ولو بشكل عام (فما لا يُدرَكُ كُلُّه، لا يُترَكُ جُلُّه)، وما أجمل أن يكون الإنسان وفياً لوطنه، وفياً لمَسقط رأسه، وفياً لمرابع طفولته وصباه!

هذا الوفاء الصادق، هو ما أحاول أن أبثه في كتابي هذا من خلال رصدي لبعض المحلَّات القَديمة والمشاهد التُراثية والسياحية في مَدينَةِ (المَوْصِل – أم الربيعَيْن) التي تعد إحدى أقدم المدن في العالم، ممن لها تَاريخ عريق وتُراث ماثل للعيان، زاخر بالأحداث، حافل بالأمجاد، وهي من أهم مدن العراق وأجلِّها شأناً، ومن أبرز الحواضر العربية عطاءً وحضوراً.

والموصل غَنِيَّة بآثارها، عريقة بتُراثها وتقاليدها، اشتهرت بالصناعة والتجارة والزراعة خلال العصور الماضية، وذاع صيتها بين بلدان العالم بما امتازت به من مصنوعات برع أبناؤها فيها وحذقوا، فهم أنموذج للتفكير المنظم المرتكز على العمق الحضاري والجذر التَارِيخي. أنجبت علماء وأعلاماً وكتاباً وشعراء وفنانين وأدباء ومثقفين وأجناداً على مر العصور وفي مختلف الأزمان. فالحَضَارَة العربية الإسلامية مَدِينةٌ لهذه النخبة سليلة رحم الموصل مَدِينة الأولياء والصالحين.

ولي الشرف بالمساهمة في تسجيل جانب من تَاريخ وتُراث هذه المَدِينَة التي علقت بها قلوب ملايين المحبين... وليست محاولتي هذه إلا سعيا مني للحفاظ على تُراث الموصل والكشف عن تقاليدها وعاداتها، وهي محاولة متواضعة من قِبَلي لتوثيق جزءٍ من تُراثها في منتصف القرن الماضي، يتمثل في تناول محلَّات الموصل القَديمة مع ذكر الشخصيات التي عاصرت تلك الحقبة الزمنية، وأهم الأحداث التي رافقت حياتها مع التأكيد على توثيق

الأكلات التُراثية التي هي في طريقها للانقراض، والعادات والتقاليد إضافة إلى ما اخترتُه من حَقِيبَة الذِكرَيات. وهنا أشير إلى أن (الحي القديم) في الموصل يسمى (المَحلَّة)، وجمعه محلَّات، وهي المفردة المتداولة بين مواطني المَدِينَة والتي آثرنا استخدامها بدلا من الأحياء.

وفي هذا المؤلَّف، نسلط الضوء على عدد من المحلَّات العريقة لمَدِينَة الموصل، وهي: (حَمَّام المَنْقُوشَة، ومنطقة (السَّاعَة)، وشَارِع الفَارُوق، وخزْرَج، والمشاهدة) وأعود إلى مفردات الحياة في خمسينات القرن العشرين، وإلى أجواء التلاحم الشعبي والألفة بين الأسر الموصلية العريقة، والطقوس والتقاليد الفريدة الخاصة، من أجل التأكيد على هويتنا وبصماتنا، في زمن يحاول فيه البعض طمس تلك الهوية... ولعلي بذَلك أساهم في إزاحة الغبار عن معالم بارزة من مدينتنا العريقة، من خلال وصف هذه المحلَّات، خلال المدة: 1940-1960م.

إن سبب اختياري هذه المحلَّات، هو كونها مَسقط رَأْسِي، فقد ولدت ونشأتُ وترعرعتُ في كَنَفِهَا، وأُعِدُّها ملعب صباي وساحة شبابي. كما أن كثيراً من الأحداث والمشاهدات والشخوص لتلك المحلَّات ما زالت عالقة في ذاكرتي وضميري.

يقع الكتاب في أربعة فصول مع مُقَدِّمَة وقائمة بالمصادر تم إدراجها حسب الحروف الأبجدية، وترقيمها بوضع رقم المصدر بين قوسين مستطيلين [ ] عند الإشارة إلى ذَلِك في متن الكتاب.

خصص الفصل الأوّل لعرض أَسمَاء الموصل عبر الحقب الزمنية المنصرمة، والإِصطِياف في الموصل، وأيام مع نهر دجلة... ويتناول الفصل الثاني محلَّات الموصل: (حَمَّام المَنْقُوشَة) وأهم معالمها – منطقة (السَّاعَة) رمز الإخاء والتعايش والجيرة – محلَّة خزْرَج – محلَّة المشاهدة – شَارِع الفَارُوق القَديم (الجنوبي) من (الباب الجَديد) إلى منطقة السَّاعَة– وشَارِع الفَارُوق الأوسط بدءً من السَّاعَة إلى (حضيرة السادة) – وشَارِع الفَارُوق الشمالي بدءً من حضيرة السادة وانتهاءً بدورة المستشفى. أما الفصل الثالث، فيتناول عدداً من الأكلات الموصلية التُراثية القديمة وهي: (البَسْطِرْمة – الكمي – الكِشْك – الكَعَّوب – التِّين المُجَفَّف – اللَّبَن الخَاثِر والقِشْفي – جُبْن البِيْزَة – التوث والسُمَّاق – حَلاَوَة الخضر – الجرزات الموصلية) أما الفصل الرابع والأخير ففيه من حَقِيبَة الذِكْرَيَات حديث عن: الإعدادِيّة المَركَزِيَّة والدورة الخامسة لقسم الرياضيات في جامعة الموصل، وآخَر عن المسبحة والزمن الجميل.

ومن الجدير بالذكر أن فصول هذا الكتاب كانت قد نُشرت على شكل مقالات في موقع ملتقى أبناء الموصل والبيت الموصلي، وتم إعادة كتابتها في ضوء الملاحظات والتعليقات المدونة على المقالات وما وردني منها إلى بريدي الإلكتروني.

إن محاولتي هذه تهدف إلى الحفاظ على الموروث الشعبي للبيئة التي تمثل سمات الشخصية الموصلية، في سيرورتها المتعاقبة عبر الزمن، حيث إن التُراث يحمل سحنات الهوية الحضارية لتلك الشخصية، لاسيما وأن الموصل، قد صنعت لها تَارِيخاً حضاريًّا ضارباً في عمق الوطن والزمن، فظلت حاضرة ثرية بالموروث الشعبي، المتنوع، بتنوع المكان والمناخ والنّاس، سواء في مركز المَدِينَة، أو في الأطراف.

هنا لابد أن أشكر من ساعدني في انجاز هذا المؤلَّف، سواء بتصويب اللغة أو توفير المعلومة أو إرسال الصور، وأخص بالذكر: نخلة العراق الباسقة الشاعر معد الجبوري الذي تولى الإشراف والمراجعة وتصويب الكتاب لغوياً، كما لا يسعني إلا أن أشكر الشاعر الدكتور هاشم مناع أستاذ اللغة العربية وزميلي في جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا الذي كان خير مشجع وأفضل عون، والأخ رائد ابراهيم الطائي الذي كان خير عون لي في توفير المعلومة ورفدي بالصور، والأخ الدكتور حكمت الحلو الذي زودني بالمعلومات المتعلقة

بمحلَّة خَزْرَج، والمؤرخ التُراثي أزهر العبيدي لتزويدي بالمعلومات وتقديم الاستشارة والعون، والعقيد عبد العظيم محمد كشمولة الذي زودني بالمعلومات المتعلقة بمحلَّة المشاهدة، والأستاذ الدكتور أحمد عبد الله الحسو لملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة.

والله من وراء القصد

الأستاذ الدكتور

سمير بشير حديد

رمضان1433 هـ / آب 2012 م

الـفـصـل الأول

الموصل واجهة الحضارة والسياحة في العراق

تُعدُّ مَدِينَةُ الموصل القَدِيمة من أهم مدن العراق وأجلِّها شأناً، ومن أبرز الحواضر العربية عطاءً وزخارةً وحضوراً، فهي رأس العراق وتاجه كما وصفها المَلِك فيصل الأوَّل، أول ملك للعراق، أنظر إبراهيم العلاف [2].

ومع أن الموصل كانت موجودة في القرن الخامس قَبْل الميلاد إلا أن شهرة مَدِينَةِ نِينَوَى الآشورية طغت عليها، يقول الأب سهيل قاشا [16] في كتابه "**الموصل في العهد الجليلي**": إن ما طمس ذكر مَدِينَة الموصل أبان العهد الآشوري هو الشهرة التي حظيت بها مَدِينَةُ نِينَوَى التي بلغت أوجها خلال القرن السابع قَبْل الميلاد، في أيام حكم ملكها سنحاريب. لقد وصلت نِينَوَى إلى مرحلة عظيمة في التَاريخ، واحتلت مكانة في العالم نستدل عليها من مسلة سنحاريب الكبيرة المحفوظة الآن في المتحف البريطاني. غير أن الموصل ومنذ أن فتحت عام 17 للهجرة الموافق (637م) في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، أخذت تتسع شيئاً فشيئاً ويعلو شأنها، وقد لعبت دوراً مهماً أيام الخلفاء الراشدين، وذاع صيتها كثيراً في أيام الأمويين فالعباسيين باعتبارها دعامة ثقافية وعلمية إلى جانب اشتهارها بمنجزاتها في مجال الصناعة والتجارة والزراعة.

أَسماء الموصل عبر التاريخ

سميت الموصل بهذا الاسم، لأنها كانت تصل بين الشام وخراسان وبين دجلة والفرات، ويصفها ياقوت الحموي [24]، بأنها: باب العراق، ومفتاح خراسان، منها يقصد إلى أذربيجان، وأنها واحدة من بين ثلاثة بلدان عظَام في الدنيا، هي: نيسابور (مقاطعة خراسان– شمال شرق إيران) لأنها باب المشرق، ودمشق، لأنها باب المغرب، والموصل نفسها، لأن القاصد إلى الجهتين لا يمر إلا بها. كما تجدر الإشارة إلى أن تسميتها بأسماء مختلفة، نجد بعضاً منها أسماء قَدِيمة (قَبْل الإسلام) وأخرى بعد فتحها، نذكر منها:

1. أشار الرحالة اليوناني زينوفون في رحلته عام (401) ق.م إلى الموصل باسم (مسبيلا) المستنبطة من الكلمة الآشورية (مشبالو) التي تعني الأرض السفلى أو الأرض الواطئة أو المنخفضة، أنظر سهيل قاشا [16].

2. سميت الموصل باسم (نيو أردشير) أي أردشير الجَدِيدة، نسبة إلى المَلِك الساساني الفارسي أردشير الأوّل، وقد لاقت اهتماماً كبيراً من قِبَلْه. ولد أردشير الأوّل أواخر القرن الثاني في المرزبان، وحكم مَدِينَةٌ اصطخر، ثم ثار ضد أخيه وأخذ منه الملك في سنة 208م وقام أردشير بالسيطرة على كثير من بلاد فارس والمدن المجاورة لـ(كرمان) و(أصفهان) ومنها الموصل، أنظر سهيل قاشا [16].

3. سميت الموصل بـ(الحصن العبوري) من قِبَل الآراميين، أي: الحصن الغربي. جاءت هذه التسمية بعد أن سقطت تحت الحكم الساساني الذي أفقرها وجردها من هويتها الآشورية، بعد سقوط نِينَوَى الآشورية أنتقل التجمع السكاني إلى الطرف الثاني من نهر دجلة وهو مكان أكثر تحصيناً لوقوعه في منطقة مرتفعة محاطة بالنهر عُرفت بـ(عبورايا) ثم سميت الموصل بعد الفتح الإسلامي، أنظر سهيل قاشا [16].

4. سميت الموصل في الجاهلية بـ(عربايا) أي: محل إقامة العرب، ويقصد هنا بالجزيرة العربية، لأنه كان يقطنها الكثير من القبائل العربية. كما أشار الهمذاني [4]: "كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعربايا، وهي الموصل، لقدرها عندهم، وعن ريف الجزيرة، وما يليها لأنها تعدل في الخصب باعربايا".

5. أطلق العرب على الموصل اسم (خولان) كما أشار المقدسي [21] في كتابه، **أحسن التقاسيم**، وذكر ذَلِك عماد الدين خليل [20] في كتاب: **خطوات في تُراث الموصل.** وعند البحث عن أصل هذه التسمية وجدت أن (خولان) قبيلة عربية قطنت في صعدة باليمن في زمن الجاهلية (قَبل الإسلام) وأعلنت إسلامها في السنة العاشرة للهجرة. يقال: إن عدداً من أبناء هذه القبيلة نزح نحو الحجاز وبلاد الشام مرتين: الأُولَى قَبل الإسلام بسبب قتال مع عشيرة يمنية أخرى ما أدى إلى نزوحها من اليمن باتجاه الشام والموصل. أما المرة

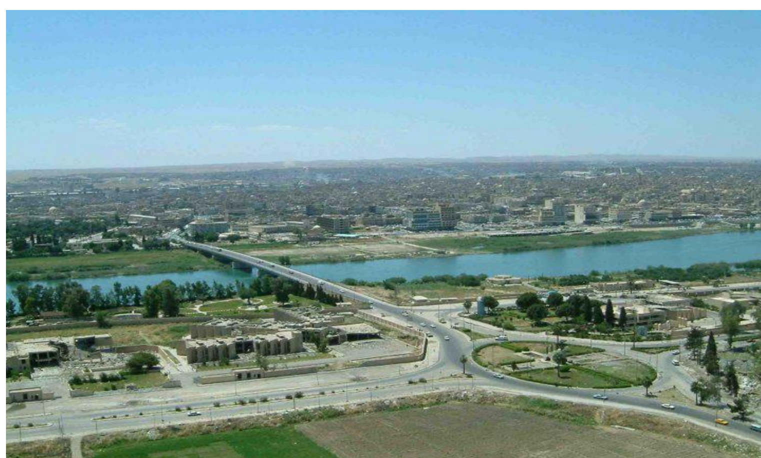
الأخرى فكانت بعد دخولها الإسلام من خلال مشاركتها في الفتوحات الإسلامية، وبلغت بلاد الأندلس والشام والموصل. وأعتقد – أنا شخصياً – أن هذا هو الربط الوحيد الذي يقبل المنطق، ولم أجد أي ربط آخر يبين اسم هذه القبيلة وتسمية الموصل بـ(خولان)، وربما يحتاج هذا الأمر إلى بحث أدق، ودراسة أعمق... نأمل أن نجد في المستقبل إن شاء الله بحبوحة من الوقت للتحقق من هذا الموضوع.

6. كما أطلق عليها العرب اسم (**الحِصْنين**). يشير ابن الأثير الجزري [3]، إلى أنه: بعد انتصار المسلمين على الساسانيين في معركة القادسية توجه قسم منهم وشن حصاراً على تكريت التي كانت تحت سيطرة البيزنطيين وتمكنوا من دخولها واتجه ربعي بن الأفكل التغلبي إلى الموصل (عرفت في المصادر الإسلامية **بالحِصْنين** آنذاك) وفتحها، وهناك اختلاف على تَارِيخ استسلام المَدِينَة، فيروي البعض أن ربعي بن الأفكل دخلها عام 637 (16 هـ) بينما يرجئه آخرون حتى 641 (21 هـ). ومن يرغب بالدخول في تفاصيل فتح الموصل، فعليه مراجعة كتابات: ابن الأثير، أو اليعقوبي، أو الأزدي، أو الطبري.

أما التسميات التي وردت بعد الفتح، أي: بعد فتحها عام 17 للهجرة، وحديثاً فهي:

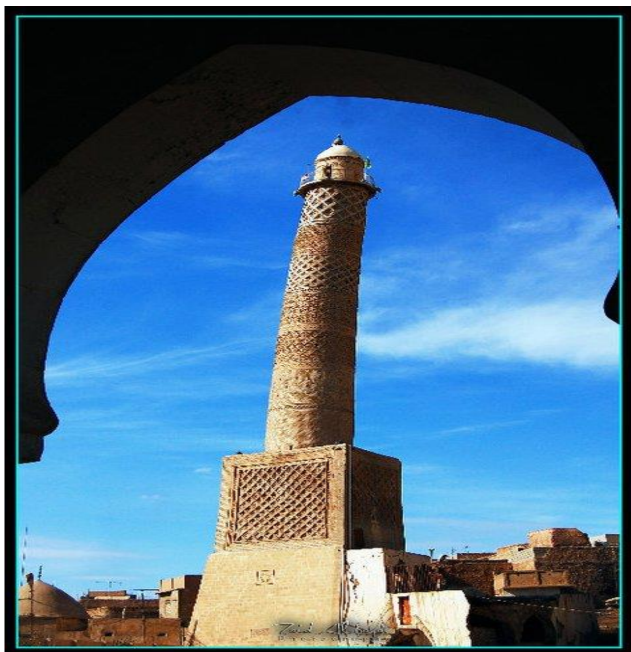
1. **أم الربيعَيْن:** لأنها منطقة معتدلة دافئة، يبلغ ارتفاعها 730 قدماً (223م) فوق مستوى سطح البحر ويسيطر عليها مناخ البحر المتوسط. وتعد من

الوجهات السياحية المهمة التي يقصدها النّاس من محافظات كثيرة في العراق لغرض الاصطِياف، لاسيما في نهاية موسم الربيع والصيف وأوائل فصل الخريف. ذَلِك أن الموصل – أم الربيعَين – تتميز باعتدال مناخها ونقاء أجوائها وعذوبة مياهها، كما أن طرق الوصول إليها معبدة وميسرة وسهلة. أما خريفها فهو يشبه ربيعها ولا يختلف عنه من حيث طبيعة المناخ ولهذا أطلق عليها اسم أم الربيعَيْن.



2. **الْحَدْبَاء**: هنالك عدة آراء لسبب تسمية الموصل بالحَدْبَاء. الأوّل: وهو ما يشير إليه ياقوت الحموي [24]، هو احتداب في دجلتها، واعوجاج في جريانها. والثاني: ما يشير إليه ابن بطوطة، كما جاء في ستار تايمز [14]، إلى أن التسمية تعود إلى قلعتها الْحَدْبَاء، وذكرها محمد أمين العمري في منهل الأولياء وهو احتداب أرضها حيث البيوت مبنية على نشز من الأرض.

والرأي الثالث يرى أن التسمية جاءت نسبة إلى اِحْدِيداب منارتها في الجامع النوري (الكبير).

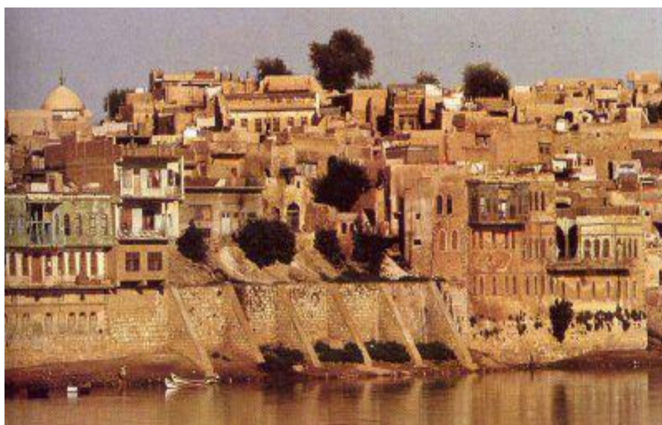


استعرض حازم البكري [11] في كتابه: **معجم الألفاظ الموصلية**، الجزء الأوّل، الآراء المختلفة حول تسمية الموصل بالحَدْبَاء: فبالنسبة لقول ياقوت الحموي (سميت الموصل بالحَدْبَاء نسبة إلى اِحْدِيداب في نهرها واعوجاج في جريانه)، فإن البكري يرى أن هناك مناطق كثيرة في طول مجرى نهري دجلة والفرات، فيها اِحْدِيدابات واعوجاجات أكثر مما في هذه المنطقة ومع ذَلك، لم تُسَمَّ أيُّ قريةٍ أو بلدةٍ واقعة عليها باسم الحَدْبَاء. وبالنسبة لقول ابن بطوطة (لقبت الموصل بالحَدْبَاء، لانحداب في قلعتها) يقول البكري: إن جميع القلاع

القَدِيمة كانت تشيد على نشز من الأرض وارتفاع لتكون مشرفة ومتسلطة على الأراضي المجاورة، ويقول أيضاً: أما من قال بأنها سميت بالحَدْبَاء نسبة إلى احْدِيداب منارتها، أقول بأن الموصل لقبت بالحَدْبَاء قَبل بناء المنارة بفترة طويلة. ثم يقول: وقد أطلعني أحد الإخوة الأدباء على كلمة نقلها من جريدة الموصل في عددها (143 الصادرة بتَارِيخ 1919/11/14). جاء فيها: تعرف منطقة الموصل عند الآراميين باسم (حدياب) وكانت الجزيرة تعرف بالموصل. فهما موصلان. وقد قال الشاعر الزبيدي في تاج العروس:

وبصرةُ الأزد مِنَّا والعراقُ لنا / والموصلان، ومنا المصرُ والحرم

وكان الكتّاب إذا أرادوا الموصل التي بحذاء نِينَوَى ودون سواها قالوا (موصل حدياب) ثم حرف الاسم إلى (موصل حدباي). وعند علماء الصرف أن الياء إذا تطرّفت قلبت إلى همزة. لذَلِك أصبحت (موصل حدباء). وبمرور الزمن وتقلب الظروف توهم النّاس أن كلمة حدباء هي صفة للموصوف، فقالوا: الموصل الحَدْبَاء. وربما كان هذا التعليل هو الصحيح.



3. (يوفيميا): يرسم لنا الكاتب الإيطالي أيتالو كالفينو [10] في كتابه (مدن لامرئية)، كما أشار إلى ذَلِك صلاح سليم [17]: صورة أخرى عن الموصل إذ يحدثنا عن لقاء ماركو بولو بقوبلاي خان في زانادو وحكايته له عن المدن التي زارها، وعددها (55) مَدِينَة أعطى لكل واحدة منها أسم فتاة ومنهن مَدِينَة الموصل التي أعطاها اسم (القديسة يوفيميا) وتعني بالآشوري "**اللطيفة**".

4. الزهراء: أطلق هذه التسمية السَرِيُّ بن أحمد بن السَرِيّ الكندي، الرَفَّاء الموصلي: كان في صباه يرفو ويطرز (يعمل خياطا) في دكان بالموصل ولذا سمي بالرَفَّاء أي الخياط، كان شاعراً شهيراً مطبوعاً عاش في القرن العاشر الميلادي، عذب الألفاظ، بديع النظم، كثير الافتتان بالتشبيهات والأوصاف في شعره. له قصائد جميلة في مدح أهل البيت عليهم السلام. أطلق اسم "الزهراء" على مدينة الموصل، بعد أن اضطر لتركها والعيش في حلب. وقصيدته من أجمل ما قاله من شعر، حيث ينجلي فيها الإبداع والفن الرفيع وعكست صورة قلبه ووجدانه وما كان يجيش في صدره من مشاعر وأحاسيس صادقة، والقصيدة مطلعها:

لا ازجر الدمع إن همت سواكبه / والنفس قد بعدت منها أمانيها

سقى ربى الموصل الزهراء من بلد / جود من الغيث يحكي جود أهليها

أرض يحن إليها من يفارقها / ويحمد العيش فيها من يدانيها

5. أم القلاع: هنالك تسمية أخرى للموصل في معرض دراسة حديثة لها، تعود إلى القرون الوسطى هي: أم القلاع السبع، حيث إن الآشوريين اتخذوا سنة 1080 ق. م نِينَوَى عاصمة لهم، وهي العاصمة الثالثة بعد آشور القَدِيمة وكالح العاصمة الثانية، فبدأوا بتحصينها وتحكيمها وأقاموا حولها القلاع. كما أشارت إلى ذَلِك: عشتار البرزنجي [19] في "**مدن ومناطق الوطن**".



6. أم العلا: أطلقت تسمية أم العلا على مَدِينَة الموصل، كما ورد ذكر ذَلِك من خلال الأزجال (جمع زجل) التي تعود إلى العهد الجليلي، ويرد فيها ذكر الموصل باسم أم العلا. اقتبست هذه الأزجال من كتابات الأستاذ عامر سالم حساني وتعليقاته المنشورة في مواقع متعددة.

- وهذا موال موصلي نادر للشاعر المغمور الموصلي مصطفى الكسيري يمدح الوزير نعمان باشا الجليلي:

مِن يوم جانا البَشير اِعيوننا قَرّتْ

وانفوس حُسّادنا لاجتْ ولا قَرّتْ

(أم العلا) أفصحتْ بلسانها قَرّتْ

قالت أنا أريد شهم يتخذني أهل

واشوف أهل العصر ما تم بيهم أهل

للحكم غيرَك أيا حامي الأجانب وهل

مِن أجل ذا (موصل الحَدبا) إلَك قَرّتْ

- وقال محمد أمين بن الحاج عثمان بيك الجليلي (1213-1263هـ) (1798- 1846م) يفخر على مَن عاداه إثر فتنة حدثت في الموصل سنة 1245 هـ - 1829 م :

بان السعد بَعد ما الأيّام عادتنا

(وأم العلا) باسمة هَمَّتْ وعادتنا

زال الكدر وانقضى لكن عادتنا

ألطاف رَب العُلا تأتي بِخيرٍ وجِد

وانطب (أرض الحُدَيبا) اِبخيل عِزّا وجد

إلْنا الوزارة إرث عَن خالٍ وعَمٍ وجد

والصفح مِن دَأبنا شيمة وعادتنا

- وقال سليمان بن أحمد أفندي العمري مؤرخاً (1191 هـ):

نحنا الذي بي بني الأصفر مَهابتنا

ولكل محتاج أغمرنا بواهبتنا

(وأم العلا) في جنى الأفراح وافتنا

ناديت لمّا بدا الناظم يؤرخ بلى

بقدوم عبد الحميد أفراح وافتنا

- وقال عبد الباقي العمري (1205– 1278هـ)، (1790 – 861 م):

لّمّين فتح بدوحات العُلى لا لها

إبْدور سعدك صَعَد عَن طلعتك لا لها

قلب المجد ريت عنك حايراً لا لها

وديارنا طوع رب العرش وَلاّ لك

والخير وافا وعِدم اِعْداك وَلاّ لك

ما تصلح (ام العُلا) وتهاب إلاّ لك

وأنت فهيم بها ما تلوق إلا لها

7. أم الرماح: جاءت التسمية حديثاً في نهاية القرن الماضي، لأن الموصل كانت ولا زالت عصية على من حاول غزوها أو احتلالها. لقد دافع الموصليون عن مدينتهم عبر الأزمان وحققوا نصراً عظيماً خلده التَارِيخ، كان آخرها حصار نادر شاه للموصل سنة 1743، الذي واجه مقاومة شديدة بقيادة الوالي الحاج حسين باشا الجليلي، الذي لعب دوراً مهماً في مواجهة الحصار. كما

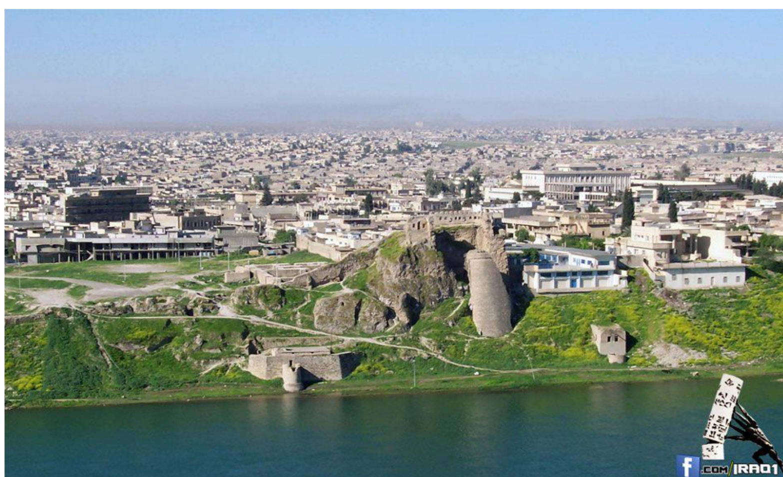
استبسل أهل الموصل، حيث غالبيتهم من الجيش العراقي، في الدِّفاع عن العراق خلال الحرب العراقية الإيرانية في ثمانينات القرن الماضي. لذَلِك لقبت، من قِبَل الرئيس العراقي السابق صدام حسين، بمَدِينَة الرماح العوالي أو أم الرماح.

8. الفيحاء: يطلق لقب الفيحاء على أكثر من مَدِينَة عربية منها دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية، والموصل، والحلة مركز بابل، والبصرة جنوب العراق. وجاءت هذه التسمية لكثرة زراعة الأشجار والفواكه والحمضيات فيها، أنظر سهيل قاشا [16].

9. الخضراء: يتوسط مَدِينَة الموصل نهر دجلة، وفيها الغابات الخضراء المكتظة بأشجار الصنوبر والبلوط وغيرها. وفي فصل الربيع تكسو سهولها وهضابها لوحة خضراء كأنها سجادة منقوشة بخيوط زاهية الألوان، مما يجعل أرضها ترتدي حلة قشيبة مزركشة، كأنها في عرس دائم واحتفال بهيج، ولذَلِك سميت بالخضراء، أنظر سهيل قاشا [16].



10. **البيضاء:** يشير زكريا ابن محمد بن محمود القزويني [9] في كتابه "الموصل في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد"، (ت 682 هـ /1283 م)، إلى أن الموصل سميت بـ(البيضاء) لأن دورها مبنية بالرخام والجص الأبيض قَدِيماً. ومن الجدير بالذكر أن هنالك مدناً أخرى تلقب بالبيضاء في أقطار عربية أخرى، مثل: ليبيا، سوريا، الجزائر، واليمن.



11. **أرض التيمّن:** تعود هذه التسمية إلى القرن التاسع عشر الميلادي ولعلها سبقت هذا الزمن بسنين عديدة، أنظر الشماس نوري ايشوع [23].

12. **جنة الأرض:** هكذا نعتَها الشاعر الفلسطيني هاشم مناع في قصيدته التي مطلعها:

غَنَّيْتُ لِلموصلِ الحَدْبَاءِ أَلحَانَا / حُبّاً وَعِشْقاً وَإِخْلاصاً وَعِرْفَانَا

يَا عُرْبُ هَلْ جَنَّةٌ فِي الأَرْضِ تَعْدِلُهَا / زَرْعاً وَنَهْراً وَبُنْيَاناً وَسُكَّانَا!؟

نخلص إلى القول: إن الموصل، لِما مَرَّ من وصف، كانت مقصد الكثير من الحكام والقادة والأعلام عبر مختلف الأزمنة والعهود، أحبوها وسكنوها، لطيب مناخها وإخلاص أهلها، ولقبوها بتسميات مختلفة ومتعددة، يلاحظ أن بعضاً من هذه الأسماء يعتمد على طبيعتها الجغرافية ومناخها وغير ذَلِك، فتعددت التسميات واختلفت وتنوعت.

وتعدد الأسماء لأية مَدِينَة يدل على مكانتها عبر التَاريخ، ومنزلتها عند القادة والمؤرخين، وموقعها الاستراتيجي من النواحي جميعها، يضاف إلى ذلك كله أنها تعد مركزاً مهماً، وبيئة صالحة بل جاذبة للعلماء والأدباء على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم، فكم من عالم، وكم من أديب ينسب إلى هذا البلد الطيب... ولو أردنا أن ندون أسماء هؤلاء لاحتجنا إلى مجلدات، لتدوين أسمائهم وأخبارهم وآثارهم التي امتلأت بها خزائن المكتبات في جميع أنحاء العالم قَدِيماً وحديثاً.

الموصل مَدِينَةُ الاصطِياف

كانت مَدِينَةُ الموصل في منتصف القرن الماضي من الوجهات السياحية المهمة التي يقصدها النّاس من محافظات كثيرة في العراق لغرض الإصطِياف، لاسيما في نهاية موسم الربيع والصيف وأوائل فصل الخريف. ذَلِك أن الموصل – أم الربيعَين – تتميز باعتدال مناخها ونقاء أجوائها وعذوبة مياهها، كما أن طرق الوصول إلَيها معبدة وميسرة وسهلة. يتوسطها نهر دجلة، وفيها الغابات الخضراء المكتظة بأشجار الصنوبر والبلوط وغيرها. وفي فصل الربيع تكسو سهولها وهضابها الخضرة والأزهار، الأمر الذي يجعلها مركزاً جاذباً لكل العراقيين، لاسيما أبناء الموصل الذين يتوجهون لغرض الإصطِياف. فيرتادون موقعين مهمين هما (عين كبريت) و (حَمَّام العليل)، للاستفادة منهما في العلاج من الأمراض الجلدية أحياناً.

ولما أصبحت هذه المَدِينَة من الأهمية بمكان وذاع صيتها لما تحتويه من المواقع المهمة وما تتمتع به من موقع جغرافي وتَارِيخي وإنساني يؤهلها لأن تتبوأ مكانة مرموقة في العراق كله، فقد دفع ذَلِك القائمين على شؤون الدولة أن يهتموا بشق الطرق إلَيْها وتعبيدها ثم تشييد (الشاليهات) السياحية في منطقة الغابات والشلالات في الربع الأخير من القرن الماضي. وقد أدى ذَلِك إلى

اتساع الواجهات السياحية في الموصل، فتركزت أنظار النّاس عليها وبدأوا يتوجهون إِلَيْها وإلى مواقع العيون الكبريتية.

ولا شك أن التركيز كان منصباً على مناطق العيون الكبريتية التي تستخدم مياهها في معالجة الكثير من الأمراض الجلدية كالصدفية والأكزما وأمراض أخرى. وكانت مواقع المياه الكبريتية مركزاَ لجذب النشاط والاستيطان البشري منذ أقدم العصور بفعل دورها في حماية صحة الإنسان من الأمراض. وازدادت أهمية الينابيع الكبريتية في أوقات الغزوات والحروب والأوبئة، إذ كانوا يستخدمونها لمعالجة الأمراض. وتعد محافظة نِينَوَى من المحافظات التي تشتهر بوجود العيون الكبريتية فيها، وهي عين كبريت في مَدِينَة الموصل وعين حَمَّام العليل التي تقع في ناحية حَمَّام العليل، حيث تعد من أعظم الينابيع الكبريتية بالعالم، ولهذا فقد ارتادها السياح والزائرون ليس من داخل مدن العراق فحسب بل من خارجه أيضاً، إذ وجدوا فيها المواسم الجذابة والطبيعة الخلابة والمياه الصافية والعيون التي تزخر بالمياه المعدنية التي تعد من أنجع المياه للأمراض الجلدية، ومن أشهر هذه العيون:

1- **عين كبريت:** من الواضح أن هذه العين سميت بهذا الاسم لما تحتويه من مادة كبريتية عالية التركيز، وبذَلِك استحقت أن توسم بما وسمت به. تقع على الضفة الغربية من نهر دجلة في مَدِينَة الموصل، وهي تنبع من أماكن بعيدة

مرتفعة، حيث عين الرِّجَال تنبع من تحت بيت المرحوم صديق الشيخ علي، في حين أن عين النِّسَاء تنبع من تحت بيت المرحومين هاشم الفخري وعبد القادر الجوادي (بداية سياج المستشفى). وتتسرب مياهها إلى هذا الموقع الجميل الكائن تحت المستشفى الجمهوري (الزهراوي التعليمي) في محلَّة الشفاء على مقربة من قلعة الموصل (باشطابيا) وتحت سورها الكبير، ويتم النزول إِلَيْها من خلال (99) درج، لأن العين الكبريتية تقع على النهر أسفل الجبل، وتقع مقابل هذه العين على الجانب الآخر من النهر غابات مَدِينَة الموصل. كما إن مياهها تحوي الكثير من المعادن المذابة، إضافة إلى مادة الكبريت، وهذه المعادن تساعد على معالجة الكثير من الأمراض الجلدية والتقرحات الظاهرة. ومياه عين كبريت باردة في الصيف حارة في الشتاء، وقد استخدم أهالي المَدِينَة والسياح القادمون إِلَيها لغرض العلاج مادة الطين فيها والذي يكون لونه أسود غامقاً فيقومون بغمر أجسامهم فيه، أو المنطقة المصابة بالأمراض الجلدية حتى يجف الطين من خلال الوقوف تحت الشمس فيتحول إلى لون فاتح. ثم بعد ذَلِك يقومون بالاستحمام بمياه العين أو داخل حوض العين، ويكون الماء جارياً منها إلى داخل الحوض ثم إلى نهر دجلة. وأغلب هؤلاء الزوار يقومون بتعبئة قنانٍ كبيرة من ماء العين ليأخذوها إلى ذويهم أو لكبار السن الذين لا يستطيعون الوصول إلى العين. كما يقومون بأخذ مادة الطين الأَسْوَد.



وهنا نود أن نشير إلى وجه التشابه بين منطقة البحر الميت في الأردن التي يوجد فيها عيون كبريتية تصب في البحر الميت وبين عين الكبريت في الموصل التي يرتادها المصطافون من جميع أنحاء العالم. وتعد هذه العين (عيون البحر الميت) من الوجهات السياحية المهمة في غرب الأردن حيث أولتها الدولة اهتماماً كبيراً، وقامت بإنشاء الفنادق الفاخرة وأحاطتها بسياج، متخذة منها مَدِينَة متكاملة تستخدم لأغراض الراحة والاستجمام والعلاج. وقد قمت أنا شخصياً بزيارة هذه العيون مرات كثيرة، واستحممت بمياهها، كما أني

قمت بالسباحة في البحر الميت الذي يطفو فيه الجسم عادة فوق مياهه بسبب الملوحة العالية، ولا يحتاج الشخص إلا إلى التوازن ليبقى طافياً على السطح.

2- **عين حَمَّام العليل:** وتحتوي على عدة عيون، أشهرها: عين زهرة، وعين فصوصه (فصفوصة)، وعين شمعون. سميت هذه المنطقة بهذا الاسم (حَمَّام العليل) نظراً لما تحتويه عيونها الكبريتية من مواد معدنية لها أثر فاعل في الشفاء. والعليل في اللغة هو المريض. وبذَلِك تكون شفاء للمريض. وحَمَّام العليل هي التسمية الرسمية لهذه العيون وكذَلِك المَدِينَة والمنطقة التي تقع فيها العيون. أما التسمية الأكثر شيوعاً وشَعْبيَّة بين النّاس في الموصل وعموم العراق فهي (حَمَّام علي). وأغلب الظن أن تسمية حَمَّام علي قد شاعت لسهولة لفظها. بينما يذهب البعض إلى أنها سميت كذَلِك نسبة إلى الإمام علي كرم الله وجهه.



وتعد هذه العين من أشهر حَمَّامات الدنيا ثراء من ناحية المياه المعدنية التي تخرج كينابيع من داخل الأرض. ومن صفات هذه المياه ارتفاع درجة حرارتها. فالماء فيها حار إلى درجة لا تطاق أحياناً. وتسمى المنطقة كلها حَمَّام العليل. ويقال إنها تشفي الكثير من الأمراض مثل الصدفية بأنواعها والروماتيزم وأمراض المفاصل، وتساعد على التئام الجروح التي تصيب الجلد، وتعقم الجسم من الجراثيم وتريح العضلات والجسد المتعب. وأول من سكنها وطورها جماعات أتت من مَدِينَة الموصل نفسها، فبنوا فيها الخانات والمطاعم والفنادق وأصبحت وجهة سياحية مهمة. ومن الشخصيات التي ساهمت في تطويرها السَّيِّد عبد أحمد شهاب المولى، وأقام بها مشروعاً للماء الصالح

للشرب. تسحب المياه من العيون الموجودة قرب نهر دجلة إلى حَمَّام مائي كبير على شكل حوض. والحَمَّام مقسم إلى قسمين: حَمَّام للرجال، وحَمَّام للنِّسَاء، ونظراً لكثرة الزائرين لهذا الحَمَّام فقد تم تقسيمه إلى حوض كبير وأحواض صغيرة. ويسحب الماء من العيون الواقعة قرب النهر إلى هذه الحَمَّامات الواقعة في الأعلى بواسطة مضخات كبيرة.

اعتاد أهل الموصل منذ القدم على الذهاب إلى حَمَّام العليل في فصل الصيف لأجل الإِصْطِياف والاستحمام بالمياه المعدنية الحارة. وكانوا ينشئون لسكناهم هناك ملاجئ مؤقتة تسمى بالعرازيل، وهي عبارة عن مظلات مستطيلة الشكل تشاد بالأعمدة الخشبية، وتبطن بحطب السوس الذي يجلب من الغابات القريبة، وتشاد جدرانها بالطين. أو تثبت أحياناً على أعمدة مغلفة بسياج من القصب المصنوع لهذا الغرض وفي داخلها مساطب. وكان الموسرون منهم يشيدون لهم عادة عدداً من هذه العرازيل، منها ما كان يخصص لسكنى العائلة، ومنها للخدم، ومنها ما كان يعد لاستقبال الضيوف وإقامة الحفلات والولائم، وكانت مثل تلك العرازيل عادة كبيرة واسعة، تُصف فيها الأرائك المريحة، وتفرش أرضها بالحصى والرمال، وترش دائماً بالماء، فكان الجلوس في مثل تلك العرازيل والحالة هذه مريحاً إلى درجة ما على الرغم من شدة الحر.

ما أجمل مواسم الاصطِياف في هذه المواقع! فما أن تحل حتى تجد الروح والحياة تدبان في المنطقة، ويتقاطر إِلَيها النّاس زرافات ووحدانا، وتصبح الأجواء صاخبة من الزحام، لكنها تسير بكل سهولة ويسر. وكأن كل واحد منهم ذاهبا يؤدي رسالته ويحقق هدفه الذي يتوق إِلَيْه مترعاً بالمتعة والحيوية والنشاط. وما أن ينظر الرائي إلى البر حتى يجد النّاس في صفوف متوالية، وما أن يمعن النظر باتجاه النهر حتى يرى المبحرين تجاه حَمَّام العليل في القوارب التي تشرع أشرعتها وتعانق السماء وتملأ الأفق تقترب من الشاطئ لينزل مَن على ظهرها الراغبون في زيارة هذه العيون، يحملون ما يحتاجونه من أثاث ومتاع. والجدير بالذكر أن القوارب الخشبية كانت تستخدم من قِبَل من هم على مسافة قريبة من تلك العين. أما وسائط النقل الأكثر شيوعاً في ذَلِك الوقت فهي إما القطار أو النقليات (الحافلات والسيارات). والتنقل بالقطار له طعمه الخاص، وهو متعة بحد ذاته، وفي أغلب الأحيان كان المصطافون يستقلون قطار النهار سواء كان متجهاً من الموصل إلى حَمَّام العليل أو بالعكس أي من بغداد مروراً بسامراء وتكريت وبيجي متجهاً نحو الموصل مروراً بحَمَّام العليل. وعند وصول القطار إلى محطة حَمَّام العليل ينزل المصطافون في محطة القطار التي تبعد بضعة كيلومترات عن مكان عين الحَمَّام، ويباشرون بالهتاف والفرح والغناء:

صاح القطار قومي انزلي / كوي اوصلنا حَمَّام علي

ثم يستقلون وسائط نقل أخرى، وعادة ما تكون في انتظارهم، لتنقلهم إلى جهة النهر قاصدين عيون الكبريت على ضفة النهر.

أما وسائل النقل الأخرى والأكثر شيوعاً في ذَلِك الزمان فهي السيارات والحافلات (الباصات) التي تنطلق عادة من باب الطوب. وبعد تأسيس مصلحة نقل الركاب عام 1956، فتح خط بين الموصل وحَمَّام العليل ينطلق من باب الطوب وينتهي بحَمَّام العليل، باص (أمانة) رقم (11). وفي ذَلِك الوقت لم يكن قد افتتح شَارِع بغداد الذي يوصل بين الموصل وبغداد مروراً بحَمَّام العليل، وبقية الأقضية والنواحي. كانت الحافلات والسيارات تسلك طريق (الحية) البوسيف الذي يمر من خلال منطقة الغزلاني بعد اجتيازه سجن الموصل ومعسكر الغزلاني والمطار باتجاه الجنوب مجتازاً قرية البوسيف التي لها قصص وروايات ممتعة عن هذا الطريق الذي تكثر فيه الالتواءات والانحناءات، ولهذا سمي بطريق (الحية). ويعد اجتياز هذا الطريق مغامرة بحد ذاتها لكل من السائق الذي يملك سيارة بمواصفات قَدِيمة، أي ليس فيها أي من التكنولوجيا الحالية، لاسيما السِّكان (عجلة القيادة) الذي هو بمثابة حجر (حجروليك)، وكذَلِك بالنسبة للركاب. وقد يتعاون في تلك المنطقة أكثر من شخص واحد للسيطرة على عجلة قيادة السيارة والحصول على استدارة كاملة وتجاوز تلك الانحناءات التي تشكل خطورة وقلقاً كبيراً لكل من السائق والركاب. وكثيراً ما حصلت بعض الحوادث والانقلابات في تلك المناطق. وبعد

اجتياز هذه المنطقة الصعبة والاقتراب من منطقة تل السبت في ضواحي حَمَّام العليل، يتنفس الركاب والسائق الصعداء، ويحمدون الله على سلامة الوصول، ثم تتوجه السيارات مباشرة إلى المنطقة القريبة من عين كبريت في حَمَّام العليل ويبدأ التهليل احتفاءً بالوصول، والتصفيق ابتهاجاً بالنجاة، والغناء تعبيراً عن الفرحة:

أتدللي ويا الله على حَمَّام علي

لو طالت الغيبي أبد لا تزعلي

نطلع على تل السبت

خلي يأخذنا الوقت

يا الله على حَمَّام علي

فإذا ما وصلوا إلى المكان أخذوا بالتفرق إلى العرازيل المعدة لهم أو الأماكن المؤجرة مسبقاً، فما هي إلا أيام قليلة حتى يزدحم ذَلِك المكان بهم ازدحاماً شديداً، ويكون قد هرع إِلَيْها أيضاً الكثير من القراء والمطربين والعازفين، فتقام الولائم والمآدب وحفلات الأنس والطرب، ويكثر فيما بينهم تبادل الزيارات والاجتماعات الليلية التي تدور فيها مختلف ألعاب التَسلِيَة والسمر، فترى النّاس كأنهم في أيام عيد ومهرجان، ولا تعرف هذه المواقع إلا أيام الأفراح والليالي الملاح. ليلها كنهارها، لا تهدأ ولا تنام، وكأن النّاس

يعملون في خلية نحل، والكل يحرص على أن ينجز عمله، ويحقق متعته، ويدرك غايته.

ما أجمل هذه التظاهرة! وما أعظم هذه الاحتفالية! إنها الموسم الذي فتح أحضانه ليضم بين جناحيه الفقير والغني والصغير والكبير، لا يفرق بينهم ولا يكاد يميزهم في هذا المكان إلا بعض الأمور التي لا تكاد تذكر، لأن التمييز يتم بمقدار ما يستطيع الإنسان أن يحصل عليه من سعادة وهناءة ومتعة، ولا سبيل إلى البحث عن أي شيء ينغص الجو أو يعكر المزاج.

وما دمنا نتحدث عن السرور والحبور في هذا المكان، فإنه حري بنا أن نشير إلى ما كان يفعله بعض الصبية الذي يمتعون أنفسهم بطريقتهم الخاصة. فقد كانوا ينتهزون فرصة انشغال أمهاتهم في الاستحمام في العين ويتسللون إلى نهر دجلة الذي يتصف بالانحِدار الشديد في ذَلِك المكان والعمق وشدة جريان التيار ويسبحون في النهر. وكم حرصت العائلات على تنبيه أولادها بعدم الذهاب إلى النهر في المساء، قائلين لهم "**الشط جوعان**"، أي أن النهر في هذا الوقت يبتلع من ينزل إِلَيْه للسباحة. وعلى الرغم من تحذيرات الآباء والأمهات لأبنائهم، للابتعاد عن النهر، وبيان مخاطره، أو على الأقل اتخاذ الحيطة والحذر، إلا أن حمية الشباب كانت تأخذ الأبناء ضاربين بعرض الحائط كل التحذيرات، وكل ما يهمهم هو ممارسة هوايتهم في أن يسبحوا في

ذَلِك المكان لإظهار قدرتهم على السباحة، واستعراض قوتهم دون أن يعرفوا ما ينتظرهم في الغيب. وكثيراً ما تقع المصيبة وتحل الفجيعة، فيغدر النهر بأولئك المتهورين، لتعم الكارثة في الأسرة، ويبدأ الصراخ والأنين، وتتحول السعادة إلى حزن، والفرح إلى مأتم. فتهم العائلات لإخلاء المكان لتعود وهي مثقلة بالحزن والأسى، وترجع بالخيبة والحرمان!

ومن العادات في هذا الموسم أن تجتمع العائلة في المساء في مكان الإقامة لتجاذب أطراف الحديث وتناول بعض المأكولات. وكانت أكثر العائلات المقيمة لفترات طويلة تتناول ما تطهو من طعامها اليومي، أما العائلات التي تأتي ليوم أو يومين فكانت على الأغلب تحضر معها أطعمة جاهزة مثل عروق التنور والكبب والكباب مع ملحقاته من الطرشي والخضراوات والفواكه. وبالفعل كانت أحلى اللحظات التي تقضى بين أفراد العائلة هي في المساء، ذَلِك أنهم يجتمعون ويستضيفون بعض العائلات التي قدمت إلى زيارتهم، أو يقومون هم بزيارة بعض العائلات الأخرى. فتجهز الموائد التي تضم ما لذ وطاب من طعام أو شراب، وتتبع بالشمزي (الرَقِّي) البارد من زراعة تلك المنطقة أو من منطقة السلامية على الضفة الأخرى حيث أفضل أنواع الشمزي (الرَقِّي) في العالم. وقد يصل حجم الرَقِّية الواحدة منه إلى 20 كغم، ويتميز بقشرته الخضراء الداكنة التي تميل إلى اللون الأسْوَد، مع البطيخ الألقوشي (نسبة إلى قصبة القوش شمال الموصل) أو البطيخ الملوكي ذي

الطعم اللذيذ. فإذا ما حل فصل الخريف وانقضى موسم الاصطِياف أخذ النّاس بالعودة إلى ديارهم، فتقوض تلك العرازيل الكثيرة في أيام معدودة، وتعود تلك البقعة من الأرض إلى حالها الأُولَى خالية من النّاس.

ما أجمل تلك الأيام التي ما زالت في ذاكرتنا! وما أعظم ذَلِك الموسم الذي بدأه الأجداد، وحافظ عليه الآباء وتحدث عنه الجيل الحالي! ليحمل الأحفاد هذه العادات والتقاليد ويحافظوا عليها ويجددوا فيها ما أمكن مع الحفاظ على تُراثها وأصالتها. فهي رسالة وأمانة أحببنا الإشارة إِليها والتنويه بها لتبقى خالدة للأجيال القادمة إن شاء الله!

أيام... مع نهر دجلة

تشكل السباحة متعة ورياضة محببة لدى الكثير من العراقيين الذين يلجأون إلى نهر دجلة أو نهر الفرات، وملاذا من حرارة الطقس الموسمية. وتعد السباحة في نهر دجلة عند الموصليين من أهم الهوايات الرياضية التي يمارسها النّاس في فصل الصيف وبأعمار مختلفة، ويستمتعون بها.

في هذه الصفحات سنتناول رياضة السباحة في منتصف القرن الماضي أي خلال العقدين السادس والسابع من القرن الماضي، فقد كان الأولاد والشباب، وحتى الكبار، يقصدون جهة النهر لقضاء وقت ممتع والهروب من حر الصيف، والتركيز على ثلاث محطات رئيسة لتجمع النّاس لغرض السباحة والمتعة، هي: منطقة المستشفى قرب عين كبريت، وقرب الجسر العتيق (الجسر الحديدي)، وقرب الجسر الجَدِيد (جسر الجمهورية). لنبدأ بالمنطقة القريبة من (عين كبريت)، على الساحل الأيمن من نهر دجلة، أي تحت الجهف (الكهف)، قرب المستشفى الملكي (سابقاً) والجمهوري أو الزهراوي التعليمي (حالياً). كانت ثمة مقاهٍ صيفية مهيأة مؤقتا لموسم الصيف يرتادها المصطافون والراغبون في السباحة في النهر. كان المعنيون يستأجرون الأراضي من البلدية، لينشئوا عليها غرفا من الحصران القصبية (بواري) مثبتة بوساطة (المرادي) مفردها (مردي) مصنوع من جذوع أشجار القوغ أو

اليوكالبتس غير السميكة تدعى (الجرْدَاغ)، وكان بعض من الهواة الذين يحبون قضاء الليالي الصيفية والتسامر في الليل اغلب الأوقات على ساحل نهر دجلة يتفننون بتصميمه فيجعلون حوله سوراً من الحصران ذاتها ليصبح للغرف فناء، وقد يقيمون مرافق أخرى.

وعادة ما تبنى مساطب (أرصفة) من الحجر والإسمنت داخل (الجرْدَاغ)، وفي الوسط توضع كنبات للجلوس مصنوعة من الخشب، ومغلفة بالقماش المبطن بالصوف، أو قطع القماش الصغيرة. وكانت هذه المساطب تستخدم لجلوس القادمين الراغبين في السباحة بالنهر حيث توضع الملابس والحاجيات الشخصية على هذه الكنبة وتودع الحاجيات الثمينة كأمانة لدى المسؤول عن الجرْدَاغ.

ومن التقاليد المتبعة في الجرْدَاغ قيام صاحبه بتقديم الشاي والحامض (نومي بصرة المجفف بعد نقعه وغليانه) للزبائن، أما ما كان يقدم إِلَيْهم من الماء، فكان ينقل من النهر ويوضع في "**حِب الماء**" المصنوع من الأواني الفخارية الكبيرة على غرار الخزان المعدني، إلا أن الأوّل يختلف عنه لاكتساب الماء الذي يحفظ فيه شيئاً من البرودة لتخلل الماء بين مساماته فيلامس الهواء فيترطب، وتوضع عادة مادة الشب أو الفحم في ماء الحِب ليشكل طبقة ثقيلة

تعمل على تنقيته من الرواسب الطينية العالقة فيه والتي تتركز في القاع لكي يكون صافياً زلالاً يستخدم للشرب.



ولمنع دخول الأتربة على (حِب الماء) يوضع فوقه غطاء مصنوع من خوص سعف النخيل أو القش... أما (الحِب) نفسه فيوضع فوق حامل من حديد يدعى "**مْحَجَّلْ**" أو حامل من الخشب يشبه القفص، وتحته إناء من الفخار(الناقوط) للاحتفاظ بقطرات المياه التي تسقط فيه والتي اعتاد الموصليون الإفادة منه في إعداد الشاي.

كان النزول إلى الجِرْدَاغ المجاور إلى (عين كبريت) عبر (99) تسع وتسعين درج تبدأ، من المستشفى الملكي (سابقاً) والجمهوري (الزهراوي التعليمي) حالياً حتى ضفاف النهر. وأما صاحب الجرْدَاغ في المرحلة التي

عاصرتها فهو أحمد الجايجي (أبو عبد) وأبناؤه: عبد الوهاب وعبد الباري (موظفون)، أما الجايجية (جمع: جايجي) الذين يعملون معه فهم خالد ودواس، أحدهم يعمل بالعين والآخر بالجرْدَاغ (الجيخانة)... يتم تنظيف العين ورفع الطين والرواسب من قِبَل أبو عبد ورجاله في نهاية شهر آذار من كل عام، ويتم نصب الجرْدَاغ بالعين. وقد أهملت العين بعد وفاته، أي في منتصف السبعينات. كما كان أبو عبد يملك دكانا في ركن المقهى الواقعة على دورة المستشفى جوار بيت المرحوم مجيد توحلة وكان مشهورا ببيع القيمر (كيمر) بيت شلاوي على أن تتم التوصية بالطلب قَبْل يوم منه.

ولابد لي هنا أن أشير إلى بعض ذِكرَياتنا أنا واصدقائي فقد كنا نقصد الجرْدَاغ عندما تكون معنا بعض الفلوس التي تغطي مصاريف الجِرْدَاغ، وهي بحدود عشرة فلوس للشخص الواحد. وفي حالة كوننا مفلسين فإننا نتجاوز الجرْدَاغ ونقصد حافة النهر لوضع حاجياتنا على الأرض، ويتطوع أصغرنا سناً بالجلوس قرب الملابس لحراستها والسباحة بالقرب منها، وفي كثير من الأحيان نتركها دون حارس لإحساسنا بالأمان، كما أنها عبارة عن دشداشة ونعال لا يطمع بهما احد... بعد خلع الدشداشة ننزل إلى النهر للسباحة والمتعة. فالسباحة في نهر دجلة لدى الموصليين تعد من أهم الهوايات الرياضية التي يمارسها الناس في فصل الصيف وبأعمار مختلفة، ويستمتعون بها.

كان النهر في ذَلِك الوقت، أي بين سنتي: (1950 – 1970) عميقا عريضا شديد الانحدار سريع الجريان يمتد من رصيف الجرْدَاغ إلى الجهة المقابلة من النهر وهي الغابات، كما كان النهر يصل إلى حافة قلعة (باشطابيا) بل كان يغطي جزءاً من قاعدتها، بدليل أنه في بدء الموسم عندما يكون النهر عامرا يقفز بعض الشباب من أعلى قلعة باشطابيا إلى النهر مباشرة.



أما في الجانب الآخر، أي الساحل الأيسر من النهر مقابل منطقة عين كبريت أي في جهة منطقة الغابات، فيتكون النهر في تلك المنطقة (جهة شمال الموصل) من فرعين يلتقيان عند المنطقة المقابلة لعين كبريت، يحصران بينهما جزيرة مملوءة بالأدغال يصعب اجتيازها. ولم يكن احد يستطيع في ذَلِك الزمن عبور نهر دجلة إلا من كان يجيد السباحة وإلا يكون مصيره الغرق، ومما

يؤسف له أن هناك عائلات نكبت بغرق فلذات أكبادها في النهر، نتيجة عدم مقدرتهم تحمل صعاب السباحة في النهر عند تلك المنطقة.

وما زلت أذكر أننا كنا مجموعة من فتيان وشبان محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة ومنهم أخي أمير الذي يكبرني بعام واحد، ومحمد صباح كشمولة أحد رياضيي المدينة في سباق الميدان، وصاحب اللياقة البدنية العالية، والذي يعد أفضل سباح بيننا، وزهير محمد كشمولة، وطه الحاج حسين، ومحسن شيت الكَلّوت، وغانم سعد الله مَيّالة، ونزار فضل محمد آل طِلِي... وآخرون من الأصدقاء الذين لا أتذكر أسماءهم، وقد كنا نعبر نهر دجلة من جهة عين كبريت إلى الجهة الأخرى، أي الغابات، التي كانت مهجورة غير مألوفة وموحشة. نصل الجهة المقابلة للنهر متعبين منهكين من شدة الجوع كنا نبحث عن شيء نأكله فندخل الغابة ونحصد السِعِدْ (وهو نبات عشبي معمر، له ريزوم طويل ورفيع حرشفي تظهر فيه عقد على هيئة انتفاخات معطياً درنات ممتلئة بالمواد الكيمائية) والبَجَنْجَل (الخَرُّوب) أو العاكول وهو نبات عشبي معمر دائم الخضرة شوكي يصل إلى ارتفاع 60 سم، (تحوي نبتة البجنجل على جلوكوز ومواد كربوهيدراتية ومواد عفصية وسكر وغير ذَلِك)، وعِرْقُ السوس، ونلهي معدتنا الجائعة بها.

يتميز الساحل الأيسر من نهر دجلة في الجهة الشمالية من الغابات (أي مقابل فندق نِينَوَى في الوقت الحاضر والذي لم يكن موجوداً آنذاك) بوجود الروج الكبير (وهو عبارة عن مجرى مائي يمر فوق مجموعة صخور وسط النهر فتشكل تياراً مائياً شديد الجَرَيان) ثم الروج الصغير الذي يقابل عين كبريت. وقد كانت احلى لحظاتنا – نحن الشباب – هي عندما كنا (نْسَيِّسْ)، أي نمر سباحة من خلال الروج الكبير ثم نستمر بالسباحة مروراً بالروج الصغير ثم نعود سباحة إلى حيث كنا في الجرْدَاغ المجاور لعين كبريت، وغالبيتنا قد نالت قسطا من الرضوض والخدوش عند المرور من الروج الكبير والصغير، ثم نتناول الشاي أو الحامض ونلبس ثيابنا ونغادر متعبين منهكين متوجهين إلى مَحلاتنا.

حقا انها أجمل أيام عمرنا فقد كنا نلعب ونلهو، والمَدِينَة يعمها الأمن والأمان وتسودها روح المحبة بين أولاد كل محلة، فهم أخوة متحابون متسامحون.

لم تكن الجرادغ منحصرة فيما تحدثنا عنه، فقد كانت تنصب في مناطق أخرى على ضفاف نهر دجلة، من أهمها المنطقة القريبة من الجسر العتيق وعلى ضفتي النهر. وكان السكان القريبون من الميدان وشَارِع نِينَوَى والمناطق

القريبة من الجسر العتيق والجسر الجَدِيد (الحرية)، يترددون على تلك الجرادغ، وهذان الجسران هما الوحيدان في الموصل آنذاك.



من أشهر الشخصيات التي كانت تؤجر أرضاً من البلدية ثم تقوم بنصب جرْدَاغ فيها وتقوم بتجهيزه قرب الجسر العتيق هو قاسم السباح (أبو يحيى) من عائلة البدراني. ومن ذَلِك جرْدَاغه قرب الجسر العتيق الذي كان يقوم فيه بتعليم الأولاد السباحة مقابل أجور شهرية يتفق عليها مع عائلة من يرغب بتعليم أولاده السباحة.

في البدء يتعلم الأولاد السباحة من خلال شد الكرب (والكرب هو الجزء الأدنى من سعفة النخيل أي قاعدتها وهي غليظة وعريضة تمتاز بأنها خفيفة وتطوف على سطح الماء) يشد على ظهر المتعلم أو بطنه ليساعده على الطوفان وبعد فترة تدريب لبضعة أيام يتم التخلي عن هذه القطعة وتبدأ مرحلة

جديدة من التدريب بدونها. ويلاحظ أن بعض الأولاد كانوا يستخدمون الأنابيب المطاطية (الجوب) في السباحة لحين تمكنهم منها.

ولعل أشهر جرْدَاغ هو، جرْدَاغ جمعية الأخوة الإسلامية الذي يقع على الساحل الأيسر من النهر، وقد افتتحه الشيخ الراحل الأستاذ محمد محمود الصواف في 4 تموز 1953م، ونحمل عنه ذِكْرَيَات جميلة لا تنسى، فقد كان له دوره التربوي في حياة كثير من الشباب. ومن أبرز الشخصيات التربوية التي اذكت النشاط الثَّقَافِي فيه إلى جانب الفعاليات الرياضية الأستاذان الجليلان غانم حمودات وعبد الحافظ سليمان والدكتور عبد الرزاق الحاج قاسم والسَّيِّد صبري الليلة والأستاذ عبد الباري الطالب والدكتور أحمد عبد الله الحسو وغيرهم.

ولابد لنا هنا أن نذكر جرداغ باب الجسر بإدارة الأستاذ خالد فصولة الذي كان يجول في جنباته بعضلاته القوية يوجه هذا وينهر ذاك، حرصاً منه على أن يتعلم الأولاد السباحة بأقصر وقت وحفاظاً على العهد الذي قطعه مع ذويهم بأن يعلمهم السباحة خلال تلك العطلة الصيفية.

وبالنسبة لنا– نحن أبناء محلة حمام المنقوشة– فقد تعلمنا السباحة بالممارسة والنزول اليومي إلى النهر قرب الجسر العتيق، قادمين من محلات حمام المنقوشة والمشاهدة وشارع الفاروق لنسلك طريق السرجخانة ثم نعبر

الجسر العتيق حتى نصل إلى منطقة مخصصة للسباحة تحت الجسر. ولقد كنا محظوظين أن يكون مكان سباحتنا قريبا من الكب (وهو علوة كبيرة لبيع الشمزي والبطيخ وغيرهما) حيث كنا كلما احسسنا بالجوع هرولنا إِلَيْه لنشتري شمزي أو بطيخ حسبما توفره ميزانيتنا المتواضعة ثم نتحلق حولها ونتشارك في أكلها جميعا.

كان بعض الأولاد ينتظرون وصول (الخيار) من (الشاروك) إلى منصة تنزيل أكياس أو شباك الخيار والترعوز، أو كما يطلق عليه في احدى لهجات المَدِينَة (التعغوز) والتي تصل محملة على ما يعرف بالسكلة (وهي تصنع من الخشب لنقل الخضراوات والمنتجات الأخرى مستخدما النهر والجداول المائية) ويجلس فوقها صاحبها مستخدما المجذاف لتوجيه الحمولة الطافية على سطح الماء إلى منطقة التنزيل، فإذا ما وصلت إلى منصة الوقوف يقوم بعض الأولاد بالغوص تحت الماء ويحدثون ثقبا في الكيس من الأسفل يمكنهم من اخذ بعض الخيار يسدون به جوعهم بعد عناء السباحة.

بعد قضاء يوم كامل في السباحة نعود إلى البيت مصابين بضربة شمس متعبين جوعى، حتى إذا وصلنا بيوتنا ادَّعينا بأننا لم نصل إلى الشط دون أن يصدقنا احد... سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ ضربة الشمس والجوع، وهنا كنا ننعم (بأكل قتلة) من الأم أو الوالد أو من كبير العائلة وربما رافقها (شد فلقة)

كما حصل مع أخي العزيز الأستاذ أزهر العبيدي عندما كان في عمر الثامنة وذهب إلى النهر للسباحة مع مجموعة أولاد محلة باب لكش وعاد إلى البيت فاذا بوالده (رحمة الله عليه) يستقبله بالضرب المبرح (وقتلوه قتلي تسوى !! وتستيهل ؟؟ وكتفو وشدو بالمحجل مال الصغداب).

ليس في الأمر غرابة فقد اعتدنا على مثل ذَلِك من دون شك وأكلنا قتلات مثلها وأكثر، بيد أننا تعلمنا السباحة وهو أمر يستحق كل هذه التضحية. لقد تعلمنا السباحة بالعين القوية والضرب والقتل وشد الفلقة وفقدان أصدقاء أعزاء، وأصبحنا سباحين ماهرين نستطيع عبور نهر دجلة وهو في أوج عظمته مرتين في اليوم متحدين الانحدار والجريان الشديد بل كنا نعبر بشكل عمودي.

ومن ذِكْرَياتي في تلك الفترة أي عندما كنت في عمر 10 سنوات، هذه الواقعة: خرجت مع ابن خالتي خالد محمود الفحام في الصباح الباكر ليوم 14 تموز 1958م وتوجهنا من محلة حمام المنقوشة نحو الإعْدادِيّة الشرقية ثم عبرنا الجسر الجديد، وكان كل شيء طبيعياً كبقية الأيام ولم نشعر بوجود أي شيء غير طبيعي، ونزلنا إلى النهر من الجانب الأيسر وبدأنا بالسباحة إلى وقت العصر تقريبا، ولم نشعر بالجوع والتعب من شدة المتعة بالسباحة، وأثناء عودتنا ونحن نتمشى على منتصف الجسر، وإذا بسيارات النجدة والشرطة تلاحقنا، فامتلأ قلب كل منا خوفا ورعبا ونحن لا نعلم ما هي المشكلة حيث

لاحظنا عدم وجود أشخاص على الجسر سوانا، وبعد أن تأكدت الشرطة بأننا غير مشاركين في ثورة أو انقلاب أو لا نية لنا بعمل ثورة مضادة، فقد رافقونا إلى نهاية الجسر، وبعد تجاوز منطقة النادي العسكري تركونا. وعدنا سالمين وعند وصولنا إلى البيت علمنا بقيام ثورة 14 تموز 1958م وصدور قرار منع تجول في الموصل، التي لم نشارك فيها إلا من خلال السباحة في النهر. كان الأهل في قلق علينا لعدم معرفتهم مكاننا، خاصة وأن الموصل في حالة منع تجول فاستقبلنا استقبالا من النوع الذي لا أريد وصفه، حتى لا تشعرون بالحزن والعطف علينا.

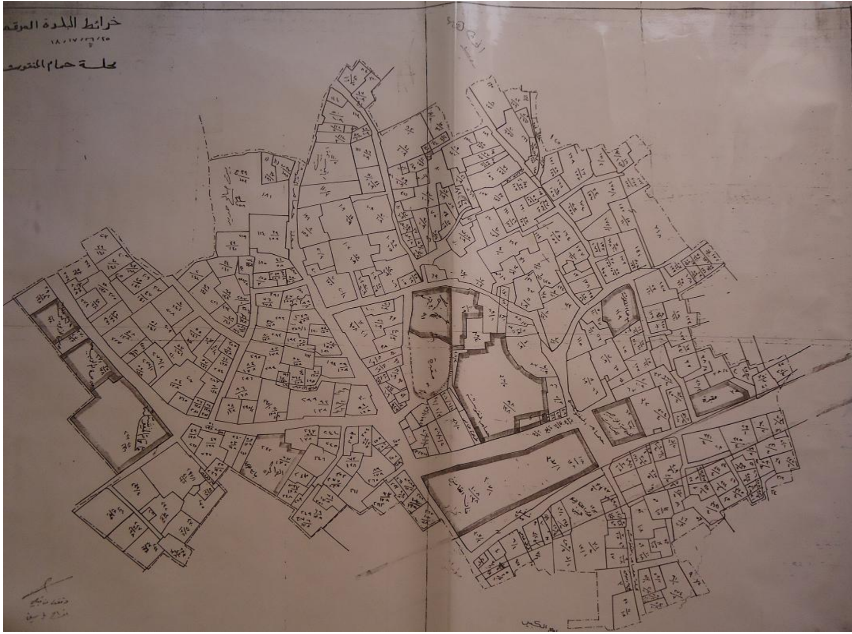
في أعقاب هذا الحدث، كنا نخرج ونذهب إلى النهر لأغراض السباحة، ولكن تحت مراقبة شديدة من العائلة، واذكر أنني وأخي أمير ذهبنا يوما إلى النهر للسباحة بالقرب من الجسر العتيق وكنا في عمر العاشرة أو الحادية عشرة، وبعد فترة قصيرة قررنا العودة إلى البيت وعند بداية الجسر شاهدنا والدتي (رحمها الله) تراقبنا من بعيد، تريد أن تتأكد من أننا نجيد العوم وحين دخلنا معها في نقاش عن سبب وجودها في هذا المكان اكتشفنا أنها في كثير من الأيام كانت تتبعنا وتراقب أماكن ذهابنا وتطمئن على ذَلِك ثم تعود إلى البيت. لقد كنا فعلا نخضع إلى رقابة شديدة ونحاسب على الأخطاء حسابا صارما، لكنها كانت أياماً جميلة هادئة وكان الناس أبانها يعيشون على المحبة والجيرة الحقة والأمن والأمان.

الـفـصل الـثـانـي
مَحَلَّات الموصل القديمة

في هذا الفصل، سأحاول تسليط الضوء على بعض محلَّات الموصل العريقة، والعودة إلى مفردات الحياة في منتصف القرن المنصرم. وأجواء التلاحم الشعبي والألفة بين الأسر الموصلية العريقة، والطقوس والتقاليد الفريدة الخاصة، حفاظا على هويتنا وبصماتنا، في زمن يحاول فيه البعض طمس تلك الهوية... سنحاول إزاحة الغبار عن معلم بارز من معالم مدينتنا العريقة، من خلال وصف هذه المحلَّات، خلال منتصف القرن الماضي أي خلال المدة: 1940–1960م. أما سبب اختيارنا هذه المحلَّات كونها مَسْقِط رأس مؤلف الكتاب وملعب صباه، حيث ولد ونشأ وترعرع في كنفها، ويعدها مقر شبابه. وهذه المحلَّات هي:

محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة

الموقع: تقع محلَّة (حَمَّام المَنْقُوشَة) في قلب مَدِينَة الموصل القَدِيمة وهي موطن آل كشمولة (أخوالي) وآل حديد (أعمامي)، يحدها من الشرق شَارِع الفَارُوق، ومن الشمال محلَّة باب المسجد (منطقة حَمَّام الزوية) ومحلة وحضيرة السادة، ومن الغرب محلَّة المشاهدة، ومن الجنوب منطقة السَّاعَة ومحلَّة خزْرَج.



التسمية: سميت المحلَّة بهذه التسمية نسبة إلى دار الإمارة (المَنْقُوشَة) التي بناها الحر بن يوسف الأموي عام 106 هـ، الموافق 274 م. ومن أهم معالمها "**حَمَّام المَنْقُوشَة**" التي تعود ملكيتها إلى عمر كشمولة (رحمه الله)، ويعود تَارِيخ بناء الحَمَّام إلى أكثر من (100) عام، كان يديرها (يونس شهاب)، وهي مزدوجة فيها قسم للرجال وآخر للنِّسَاء، كما ذكر الأستاذ عبد الجبار محمد جرجيس [18] في مجلة التُراث الشعبي (عدد 6 عام 1975) عن: الحَمَّامات الشَعْبيَّة في الموصل.

يمتاز الحَمَّام بالنقوش والزخرفة الجميلة ويتوسط المحلَّة مع مَيْلٍ قليل إلى الجانب الشرقي. أي إن الحَمَّام يقع في العَوْجَة (الزقاق) الموازية لشَارِع

الفَارُوق، خلف علوة (كراج) آل سنجري ويوصل بينها وبين شَارِع الفَارُوق عوجتان اثنتان: الشمالية منها (مدخل الكشاملة) تقابل العَوْجَة التي تصل شَارِع الفَارُوق بالجامع الكبير، والجنوبية (مدخل آل حديد) تقابل الشَارِع المائل الذي يوصل شَارِع الفَارُوق بالسرجخانة، مروراً بالجامع الكبير وحَمَّام الْحَدْبَاء وانتهاءً بالسرجخانة. كان بعض الأتراك العثمانيين القاطنين في الموصل آنذاك يُسمون هذه المحلَّة بـ(منقوشلي حَمَّام)، ومن المعلوم أن (لي) في التركية تعني (ذو– ذات) فيكون المعنى ذات نقوش، أي منقوشة، لأن اللغة التركية تقدم المضاف إلَيْه على المضاف، فقالوا منقوشلي حَمَّام بدلا من حَمَّام منقوشلي.

معالم المحلَّة: من أهم معالم المحلَّة إضافة إلى الحَمَّام (مقبرة أم التسعة) المجاورة لمسجد صغير يحمل الاسم نفسه (مسجد أم التسعة)، وتبعد بضعة أمتار عن الحَمَّام، بالاتجاه الجنوبي الغربي. ويذكر – وعلى حد علمي– واستنادا إلى ما كان يتناقله أهل المحلَّة من حديث، أن هناك امرأة صالحة مدفونة داخل السرداب في المقبرة... يقال أن تسعة من أولادها استشهدوا في إحدى المعارك أثناء حصار نادر شاه للموصل.

ومن المعالم الأخرى، جامع حَمَّام المَنْقُوشَة المعروف باسم (مسجد سَيِّد محمد)، كما توجد مَدْرَسَة الْحَدْبَاء الابْتِدَائِيَّة المختلطة. وعلى حدود المحلَّة يوجد البقال عبد الرحمن الأسْوَد (مختار محلَّة المشاهدة)، أخو عبد الرزاق

الطحان، والبقال السَّيِّد محمد ذنون (ذو اللحية البيضاء الطويلة – مختار محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة).

حَلَّاقو المحلَّة: وهم كل من: الحَلَّاق محمد طيب الظاهر أخو الأستاذ العلامة الرياضي الدكتور محمد واصل الظاهر (مقيم في أمريكا حالياً) الذي يقع صَالُون حِلاَقَته على شارع الفاروق. والحَلَّاق أحمد يونس الذي يقع صَالُون حِلاَقَته على شَارِع الجامع الكبير (الشَارِع الذي يربط شَارِع الفَارُوق بالسرجخانة) مقابل الجامع الكبير. والحَلَّاق محمد يونس الذي يقع صَالُون حِلاَقَته قرب البقال سَيِّد حمدي. وقد كنا نحلق شعرنا عند الحَلَّاق أحمد يونس، باعتباره شاباً ولأن أغلب زبائنه من الشباب، أما زبائن محمد طيب ومحمد يونس فهم الرِّجَال متوسطو العمر وكبار السن والأطفال المرافقون.

مطهر المحلَّة: أو المطهرجي هو الشيخ سَيِّد جبر، الذي كان يقوم بتطهير (ختان) الأطفال والصِبْيَة، وفق مراسيم جميلة وإقامة حفل طهور يحضره أولاد المحلَّة والأقارب. وتقدم في الحفل أروع المأكولات. مثل: القيمر وأفضل الحلويات مثل البقلاوة، ثم من بعد ذَلِك يتولى الطهور سَيِّد جميل (رحمهم الله جميعاً).

مختار المحلَّة: المختار هو الرجل الفاضل (رحمه الله) الحاج ذنون خطاب، وبعد وفاته ورث المختارية في الخمسينيات ابنه محمد، وكان لهما دور

كبير في تسهيل أمور النّاس وحل مشاكلهم، ومشاركة عوائل المحلَّة في أفراحهم وأتراحهم، ونظراً للتداخل بين بيوتات محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة ومحلَّة المشاهدة فكثيراً ما كنا نلجأ إلى البقال عبد الرحمن الأسْوَد – مختار محلَّة المشاهدة – في حل كثير من المشاكل التي تتعلق بالمعاملات الرسمية وختم بعض الوثائق، وهو رجل يتميز بالطِيبة وحبه مساعدة الآخرين وتيسير أمورهم.

مجنون المحلَّة: المجنون الأوحد في المحلَّة هو جلال المجنون، الذي كان يسكن بالقرب من مقبرة أم التسعة وكان يرتدي الدشداشة ويلف حول خصره حزاما من الجلد. كان نظيفاً حافي القدمين، يخرج من البيت يومياً متوجهاً بسرعة فائقة نحو محلَّة المشاهدة، وما إن يصل دكان عبد الرحمن (المختار) حتى يُشاهَد عائداً إلى البيت مسرعاً! وكان يحمل حصاة كبيرة الحجم بيده أو يضعها في عبِّهِ (العِبِّ هو باطن الدشداشة في المنطقة المحصورة فوق الخصر وتحت الرقبة) يشهرها أمامنا عندما كنا نتبعه ونضايقه، ولكنه لم يستخدمها أبداً، فهو مجنون مسالم وكانت الحصاة رفيقة حياته لا يستطيع أن يفرط بها أبداً، كما كان يتحدث بطريقة لم نكن نفهمها إطلاقا.

نسوة المحلَّة: تتميز محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة بوجود نسوة فاضلات، يقمن بدور مميز في خدمة المحلَّة باعتبار أنه بيت واحد متعدد الأبواب والمنافذ. أذكر منهن المرحومة نشمية الخزْرَجي التي كانت تسكن في العَوْجَة المقابلة

لدارنا، كانت تستيقظ في منتصف الليل قَبْل وقت السحور في شهر رمضان المبارك وتصيح بأعلى صوتها: (اصح يا نائم وحّد الدايم) بل أكثر من ذَلِك فهي تطرق على الأبواب وتتابع إيقاظ النّاس لتناول السحور. أذكر أيضاً السَّيِّدة الفاضلة التقية الورعة ملاية أمينة (أم صِدّيق، وجدة الدكتور مؤيد، وجدة الدكتور عصام المحمود) كانت ولية صالحة من أولياء الله، تتقرب إِلَيْها النسوة من أجل (الرُقْيَة) وينسب الناس إِلَيْها أنها توقف نزيف الدم الصادر من الأنف برقية واحدة. هذان نموذجان من نماذج نسوة المحلَّة وهن كثيرات وقد ساهمن في تربية أجيال واعداد قادة وعلماء.



مقبرة أم التسعة: تتألف هذه المقبرة من ثلاثة أقسام، كما ذكر لي الشيخ سالم حمدون الملا علو، في مداخلته على مقالة "حمام المنقوشة" المنشورة على

موقع ملتقى أبناء الموصل، وهو قامة عراقية معروفة، ورجل من رجالات الموصل الشجعان ومن مواليد المحلَّة، وله دور متميز في مقارعة الشعوبية أثناء ثورة الشوَّاف التي حصلت في الموصل سنة 1959م. القسم الأوّل يعود إلى بيت حديد والقسم الثاني يعود إلى بيت ملا علو، أما القسم الثالث فهو للسبيل. القسم الأوّل: أرض بطول 15 متراً وبعرض 6 أمتار وعادة ما يتم حفر القبر ودفن الموتى على الطريقة الإسلامية، وإن جدي المرحوم سعيد يونس حديد، ووالدي بشير حديد، وأعمامي وأقربائي مدفونون جميعا هناك ولا زالت قبورهم موجودة واضحة المعالم في مقبرة أم التسعة.



أما القسم الثاني فهو السرداب داخل تلك المقبرة وله باب محكم الغلق بالجص والحجر أي مبني بناءً كليا، ولا يوجد أي منفذ آخر للدخول إِلَيْه غير ذَلِك

الباب المحكم، وفي حالة وفاة شخص ما ولديه وصية تعرب عن رغبته في الدفن داخل ذَلِك السرداب، يتم فتح السرداب بهدم الباب بالمعول وإحداث ثغرة تسمح لدخول الشخص الذي يقوم بعملية الدفن، وإنزال الميت إلى السرداب لغرض دفنه، وبعد الانتهاء من الدفن داخل السرداب يغلق الباب عن طريق بنائه بالجص مرة أخرى. وهذا تَقْليد كان سائداً في وقته عند الدفن في السرداب، وهذا ما شاهدته أنا شخصياً وكان عمري 12 سنة في وقتها إذ تم دفن جدة والدتي، في ذَلِك السرداب في ضوء وصية منها أن تدفن هناك. وقد علمت من الأخ محمد اليوزبكي أن جده عن والده السَّيِّد وهب اليوزبكي والد السَّيِّد أمين اليوزبكي والسَّيِّد داود والسَّيِّد عبد مدفونون أيضا في هذه المقبرة.

مسجد أم التسعة: أما المسجد وبعد أن غصتُ في أعماق التَارِيخ وتصفحت بعض الوثائق والكتب، فقد وجدت أنه كان قَبْل عدة قرون كنيسة تسمى (كنيسة مار شموني) وقد تحولت فيما بعد إلى مسجد في القرن السابع الميلادي.



والمسجد هذا صغير المساحة إذ يضم حوشاً بطول 8 أمتار وبعرض 4 أمتار يتوسطه بئر للماء، ويحوي هذا البئر في فوهته عتلة ودلواً لغرض سحب الماء منه، كذَلِك يضم المسجد غرفة للصلاة مسقفة بقبة مشيدة على الطراز الإسلامي... وعلى باب المسجد لوحة مكتوب عليها: مسجد أم التسعة، شيدتاه زوجة سَيِّدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما (التكية البدوية). في حين مثبت في الأعلى: شيد عام (1309هـ) الموافق عام (1892م)، واعتقد أن هذا التَارِيخ هو تَارِيخ تجديد المسجد.



وكان يتولى في ذَلِك الوقت الإشراف والخدمة على المسجد المرحوم أحمد ذنون كشمولة الذي كان يسكن مقابل المسجد. أما إمامه فهو المرحوم صديق عبد الرحمن الملا يوسف، كان إماما متطوعا في جامع أم التسعة، يعطي دروس الفقه، ويؤدي فيه جميع الصلوات ما عدا الظهر لأنه كان موظفاً في بلدية

الموصل، وكان ذَلِك للفترة من بداية الخمسينات حتى عام 1966 حيث انتقل مسكنه إلى منطقة الموصل الجَدِيدة. وبعد ذَلِك تولى الإمامة الشيخ الجليل إسحاق السنجري الذي كان رجلاً ورعاً يقصده الكثير من النّاس لأجل الرقية.

والمرحوم صديق عبد الرحمن الملا يوسف من سكنة المحلَّة وهو والد الدكتور مؤيد (مقيم في استراليا) ومن تلامذة ومريدي الشيخ الزاهد محمد نوري الفخري- قاضي الموصل – رحمه الله تعالى، ثم ولده – القاضي المعروف لجيلنا أيضا – الشيخ عبد الوهاب الفخري. وكان من الذين يحرصون على الحضور مع ابنه مؤيد إلى تكيتهم في شَارِع الفَارُوق بعد صلاة كل عشاء وصباح يوم الجمعة لقراءة القرآن وذكر الله تعالى. ودرس العلم مع الشيخ المرحوم أحمد الحبار- رحمه الله تعالى. وهو ابن عم العالم محمد أمين الملا يوسف (جد العالم الدكتور أكرم عبد الوهاب الملا يوسف المعروف حاليا- في الموصل) والذي كان خطيبا في الجامع الكبير لمدة 12 سنة. كما أنه خال الدكتور عصام أحمد محمود آل كشمولة (المقيم حاليا في انكلترا).

ومن الشباب الذين كانوا يحافظون على الصلاة في مسجد أم التسعة ويحضرون الدروس الدينية في المسجد: المرحوم زهير كشمولة (شقيق دريد كشمولة – محافظ نِينَوَى السابق) ومحمد صباح فؤاد كشمولة (الذي أصبح ضابطا طيّاراً)، وعبد المنعم إبراهيم حديد (أصبح مقاولا ناجحا مع خاله

الدكتور حسون حديد)، وابن عمه الأخ لؤي أحمد أمين حديد (شقيق التاجر وليد) وكان تقيا ورعا أكمل قراءة القرآن الكريم كله على يد المرحوم الشيخ علي الشمالي، الذي كان إماماً وخطيباً لجامع الخضر، عليه السلام، وصلاح حمدون الملا علو (شقيق الشيخ سالم حمدون الذي انتخب فيما بعد شيخاً لعشيرة الحمدانيين)، وثامر سالم حمدون الملا علو، والمرحوم مبشر صالح غزال، ونبيل صبري (الذي أصبح مهندساً عسكرياً، وهو حفيد المرحوم خطاب عمر)، والأخ سعد يحيى الجرجيس (الدكتور حاليا في مستشفى عجمان في دولة الإمارات)، بالإضافة إلى مروان أحمد (المهندس الذي أشرف على بناء مطار الموصل وساعة بغداد، إضافة إلى مشاريع كبرى في بغداد)، وعبد الرحمن عبد الباقي، وموفق، ومظفر، ومبشر.

حَمَّام المَنْقُوشَة: يتميز حَمَّام المَنْقُوشَة بالنقوش المزخرفة الرائعة، وأعمدة الرخام (المرمر) والأقواس الجميلة المصممة وفق هندسة رائعة، أما الأرض فكانت من الرخام الفضي الجميل. يعمل الحَمَّام بنظام ينفرد فيه عن بقية الحَمَّامات المجاورة حيث هو مخصص للنِّسَاء والرِّجَال حسب جدول. يتكون الحَمَّام من المدخل (الباب الرئيس على شكل قوس) يوصل الحَمَّام بعدة أدراج، نزولاً إلى الصالة الرئيسة الواسعة، طوله لا يقل عن (10) أمتار وعرضه لا يقل عن (6) أمتار، ثم الدخول إلى الحَمَّام التي تتألف من صالتين يتوسطهما خزان الماء، الصالة اليمنى تحتوي على أربعة أحواض وكذَلِك الصالة

الشمالية. يعمل الحَمَّام بنظام دقيق عفوي لا لبس فيه، حيث يكون الدوام من السَّاعَة الثامنة صباحاً وحتى الخامسة عصراً للنِّسَاء ثم تبدأ فترة استراحة ووقت التنظيف لمدة ساعة، ثم يبدأ دوام الرِّجَال حتى الساعة العاشرة ليلاً...

وأذكر أننا كنا صبياناً ندخل خلسةً إلى خزان الماء الساخن ونسبح فيه باعتباره حوضاً عميقاً وكبيراً ولكن دون علم صاحب الحَمَّام وكنا نستمتع بهذه التَسْلِيَة.

في الوجبة الصباحية أي أثناء فترة النِّسَاء تشرف على الحَمَّام نسوة غسالات، كل واحدة منهن تشرف على مجموعة من العائلات في المحلَّة تتولى حجز الحوض ونقل بقجة (حَقِيبَة الملابس المصنوعة من قماش الساتان) الملابس والإشراف على المناسبات الخاصة، مثل تهيئة العروس ليلة الدخلة، والنفاس، والطهور وغير ذَلِك من المناسبات، وقد كن يمنحن خدماتهن بدقة وإخلاص ويكسبن عنها رزقاً وفيراً ومكانة دافئة في قلوب النّاس. أذكر من بين الغسالات السَّيِّدة الفاضلة تتية والسَّيِّدة حسينة (وابنتها معينة)، وهاتان المرأتان الفاضلتان نذرن حياتهن في خدمة الآخرين- رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته.

هذا وصف دقيق لحمام آسف أن أقول إنها لم تعد اليوم موجودة، فقد أعلمني الأستاذ رائد إبراهيم الطائي أنه حين ذهب لكي يصور معالم الحمام،

دهش عندما رآها قاعا صفصفا ووجد محلها كراجاً للسيارات وإلى جواره أنقاض وأكداس من عتيق الحديد والسكراب. وهكذا تحول هذا المكان الجميل بأصالته وعبق الذِكْرَيَات فيه وأحاديثه الطيّبة إلى ركام. وكم كنا نتمنى لو اننا تمكنا من تغطية الموضوع موثقا بالصور.



ذِكْرَيَات: من الطرائف الخالدة في ذاكرتي: عندما كنا بعمر الصبية 7- 8 سنة، كان جدي (رحمه الله) يأخذنا إلى محمد طيب الحَلَّاق لغرض الحِلاَقَة، وبعد انتهاء الحِلاَقَة أدفع له بطيخة (من نوع البطيخ الأصفر المضلع – إنتاج سامراء) ثمناً للحلاقة، وكان يقدر ذَلِك كثيراً ويفرح بها، دليلاً على المعايشة المبنية على الألفة والمحبة.

ومن الذكرَيَات التي لن أنساها على الرغم من صغر سني أثناء حدوثها أننا في يوم من أيام العيد حيث الجو ربيع رائع وعمري 8 سنوات وأخي أمير عمره 9 سنوات، أي عام 1956م، خرجنا فرحين مسرورين بملابس العيد (الدشداشة والنعال) وجيوبنا مملوءة بالفلوس (كل واحد معه عانة أو عانتان اثنتان) مع مجموعة من الأصدقاء، ذاهبين إلى السينما، فإذا بنا أمام مجموعة من الصبيان متجمعين عند باب الجيران ينظرون إلى أحد الجدران العالية المتهدمة حيث تتسلق عليه أفعى (حية) طولها متر تقريباً ولم يظهر منها إلا رأسها. عندئذٍ ذهبت مسرعاً إلى السَّيِّد محمد البقال (مختار المحلة) وقلت له: عمو سيد: يوجد حية على جدار بيت غزال تعال امسكها. فجاء مسرعاً ونظر إِلَيها فامتلأ قلبه رعباً وخوفا وقال: سأذهب إلى الدكان وأحضر عصاي وامسكها، لكنه ذهب ولم يعد، عندئذٍ بادر أخي أمير بإحضار الجطل (آلة مصنوعة من الخشب والمطاط لصيد الطيور والعصافير) مع حصاة واحدة، وكان يتميز بحسن التهديف ودقة صيد الطيور والعصافير حتى وهي طائرة، وبمجرد ضربة واحدة وإذا هو يصيب الحية في رأسها مما جعلها تفقد السيطرة والوعي وأخذت تتدلى حتى سقطت على الأرض واستكملنا قتلها. فعندما سمع السَّيِّد بذَلِك حضر إلى المكان وشاهد الصبية مجتمعين حول الحية وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة فقال: لماذا فعلتم ذَلِك أنا سأمسك بها بيدي أنا سَيِّد؟

ذِكْرَيَات أبناء المحلَّة: أرسل لي الدكتور مؤيد صديق عبد الرحمن الملا يوسف من استراليا عن ذِكْرَيَاته في مسجد أم التسعة، يقول:

(كنا نتعلم الصلاة وقراءة القرآن الكريم وحفظه في مسجد أم التسعة، ونتسابق في الوصول إلى المسجد لكي نرفع الأذان لكل صلاة، وكنا نزعل أحيانا إذا أخذ أحدنا دور الآخر في الأذان. وفي تلك الأثناء، أي في بداية الستينات، سخر الله لنا رجلاً فاضلاً من الدعاة الناضجين من محافظة الرمادي، أسمه عبد النبي الشبيب (رحمه الله تعالى)، أثر فينا بأسلوبه الحكيم وورعه، وعلمه، وتواضعه، وبشاشة وجهه. فقد كان الأستاذ عبد النبي منفياً من مديرية تربية الرمادي إلى تربية الموصل بسبب نشاطه الإسلامي ووقوفه ضد المد الشيوعي، وكنا محظوظين إذ جاء واستأجر بيتاً قريباً منا، هو بيت المرحوم سعيد حديد (جد مؤلِّف الكتاب)، الملاصق لبيت المرحوم حمدون الملا علو. وقد عرفت فيما بعد، حين كنا في الأردن، أن الأستاذ عبد النبي كان صديقا مقربا جدا من الدكتور عدنان سلمان الدليمي (رئيس جبهة التوافق العراقية سابقاً)، وكانا يعملان في أمور الدعوة الإسلامية ضمن جماعة الإخوان المسلمين في الرمادي، وقد ذكر الدكتور عدنان في كتابه (آخر المطاف، 2012) النشاط الإسلامي للداعية المرحوم عبد النبي في الرمادي.

وبعد فترة قصيرة من استقرار الأستاذ عبد النبي مع عائلته في الموصل، صار أستاذاً معروفاً في المنطقة واستمال قلوب النّاس ومحبتهم له بذكائه وحسن معاملته، وأصبح نائبا لإمام مسجد أم التسعة، وشكل لنا فريقاً لكرة القدم من مصلي المسجد، وشكلنا جمعية صغيرة لجمع التبرعات للمسجد، ووضع لنا نظاما داخلياً على غرار نظام الجمعيات الرسمية. وبدأ معنا بدروس تحفيظ القرآن الكريم في المسجد، لكن البعض من الشباب لم يكونوا يسيطرون على أنفسهم فيأخذهم الضحك أثناء الدرس كما يفعلون أثناء الصلاة. وهنا برزت حنكة وبراعة الشيخ عبد النبي في إدارة الدرس الذي أثار إعجابي بذكائه وهو يعالج الموقف ويسيطر عليه بمهارة عالية، وكان ذَلِك درساً مهماً لي لن أنساه، بل كنت أستخدمه عندما أصبحت أستاذاً في الجامعة. فعندما يبدأ الدرس ويبدأ بعض الشباب بالضحك والغمز واللمز بينهم، يتوقف الأستاذ عبد النبي عن قراءة القرآن الكريم ويبتسم، ويقول لهم: (أروني أين ضحكاتكم؟) فيضحك الجميع ويضحك معهم، ويقول: (هذه ضحكات ليست قوية، أريد أن أسمع أقوى منها)، فيضحكون أكثر، ويقول: (لم أشاهدكم تضحكون، أسمعوني ضحكاتكم إن كنتم قادرين؟) ويضحك معهم، وهكذا حتى ينهك الجميع ويفرّغون كل طاقاتهم، ثم يسألهم: هل (خَلَّصْتُمْ) كل الضحك؟ فيقولون نعم، ويؤكد عليهم السؤال نفسه حتى يسكت الجميع، ويقول هل نبدأ الدرس إذاً؟ فيقولون نعم. ويبدأ الدرس ولا يضحك منهم أحد حتى النهاية، وهكذا مع مرور الأيام أخذوا

يحبون دروسه ويتسابقون في حفظ القرآن الكريم كل يوم)، انتهت ذِكْرَيَات الدكتور مؤيد صديق.

سكان المحلَّة: يسكن في المحلَّة خليط متجانس من العائلات الموصلية العريقة، غالبيتها عربية مسلمة ولكن تنتمي إلى عشائر متعددة، والغالبية من بيت آل حديد وآل كشمولة. تتسم الحياة اليومية بالألفة والمحبة والتلاحم بين العائلات. يتم تبادل الزيارات بين العائلات وخاصة في المناسبات والكل يعيش كأنه في بيت واحد. كان الزمان غير هذا الزمان، كان أكثر دعة وآماناً، أكثر وفاءً وإخلاصاً، أكثر محبة وحناناً، أكثر زهداً ورخاء، أكثر صفاءً ونقاء، أكثر بساطة ويسراً.

دعونا ننطلق الآن من مسجد أم التسعة إلى جهة الشمال (باتجاه الكشاملة) حيث يسكن العديد من آل كشمولة وآل سنجري، منهم: مقابل المسجد يقع بيت المرحوم علي حمدون كشمولة وأبناؤه: مظهر (مهندس) ومهند (طبيب أسنان). وبيت المرحوم أحمد ذنون كشمولة الذي كان يقدم خدمات جليلة إلى المسجد، وأبناؤه كل من: المرحوم عبد، والسَّيِّد ذنون (أبو بشار) الذي كان لديه محل سمكرة على شَارِع الفَارُوق، والسَّيِّد مؤيد (أبو شامل) الذي كان يعمل ميكانيكيا في معمل سكر الموصل، والشهيد النقيب حاتم أحمد كشمولة (أبو بسمان) الذي عمل فترة طويلة مفوضاً في جوازات الموصل،

والمرحوم ثامر (موظف في البلدية)، وأستاذ اللغة الانكليزية عامر. ثم بيت سعدون جرجيس محمد كشمولة وأبناؤه: سالم (موظف في نفط عين زالة) ويوسف (عميد ركن) وإدريس، ومن أبناء سالم: غانم (نائب ضابط) وحازم (نائب ضابط) وهو مصارع معروف في ذَلِك الوقت والدكتور محمد سعيد (الأستاذ في كلية الزراعة والغابات). وبيت إدريس أحمد كشمولة، وأبناؤه: مخلف، وأحمد، وناطق (مدرس رياضة)، ثم بيت أحمد مصطفى النيلة كشمولة (أبو أنمار- صائغ في سوق الصياغ) وأخيه عبد الواحد (أبو لقمان) اللذين انتقلا من محلة المشاهدة في أول ستينات القرن الماضي، وبيت محمد سليمان العزو الملقب محمد التمر (بقال مواد تموينية بالقرب من دورة السَّاعَة) الذي انتقل إلى محلة المشاهدة في منتصف ستينات القرن الماضي، وبيت محمد أمين السنجري، وتنتهي العَوْجَة بانحِدار ينتهي في بيت حسن كشمولة وأبنائه: حازم وعبد الجبار وعبد الستار وعبد العزيز وعبد الوهاب و"أحمد نوزت".

أما جوار المسجد فيأتي بيت داؤد كشمولة وأبناؤه: محمد طيب كشمولة (فريق ركن والمعاون الفني لرئيس أركان الجيش) والخال زكي داؤد كشمولة (ممرض في المستشفى العام) والمرحوم شوقي (موظف في البلدية)، ثم بيت محمود مطرود السنجري (أبو شكر). ثم يأتي منحدر في نهايته إلى جهة اليمين بيت يسكنه فؤاد كشمولة (والد الضابط الطيار محمد صباح) وأخيه نجيب، ثم في منتصف الستينات سكن هذا المنزل المخرج التلفزيوني المرحوم

طارق فاضل السنجري وابنه زياد من مواليد هذا المنزل. ثم تتفرع العَوْجَة إلى فرعين: الفرع الأيسر يؤدي إلى جامع حَمَّام المَنْقُوشَة (المعروف باسم مسجد محمد)، والفرع الأيمن يؤدي إلى الحَمَّام وحولها بيوت عديدة سنذكرها عندما نتناول شَارِع الفَارُوق الأوسط حيث ستكون هناك محطة وقوف أساسية.

لنعد إلى المسجد ونتجه نحو الجنوب فهناك عَوْجَة ضيقة، وإلى جهة اليسار مقبرة أم التسعة ثم ثلاثة تفرعات. الفرع الأوّل: نحو اليمين دخول إلى عَوْجَة بيت حديد وبيوتاتهم. وفي رأس العَوْجَة بيت حاج حسين، وأبناؤه: طه والمعلم شيت وثالث معوق فاقد للنظر منذ ولادته لم يشاهد قط، ومقابل بيتهم عَوْجَة مغلقة يسكن فيها علي الحاج حسين (موظف في شعبة الطابعة في البلدية) ويسكن بجوارهم بيت جلال المجنون. لنعد إلى عَوْجَة بيت حديد التي تستمر بالتضيق حتى نصل بيت حمدون الملا علو بن سلطان بن محمد بن ذياب بن علو، وهم حمدانيون، وأبناؤه: الشيخ سالم (شيخ الحمدانيين) والمحامي كمال (نقيب المحامين الأسبق) وغانم والعميد عامر والمهندس صلاح، والصديق العزيز ثامر سالم الملا علو.

ومقابل بيت ملا علو يوجد عَوْجَة مغلقة (ما تطلع) يسكن فيها مجموعة عوائل من آل حديد، كان يسكن فيها بيت عمي أمين حديد الذي يتصدر العَوْجَة المغلقة:



وهو بيت ضخم في داخله حوش كبير وإيوان واسع، مشيد وفق طراز معماري خاص ومفروش بالمرمر الأبيض وهو مجموعة بيوت. وأبناء أمين حديد هم: أحمد، ومحمد، وياسين، وطه، وإبراهيم، وخليل، وعبد الكريم. وسكن منهم في تلك العَوْجَة:

- أحمد أمين حديد وأبناؤه: علي، ووليد، ولؤي.
- الشيخ إبراهيم أمين حديد الذي كان يعمل بالزراعة ويعد أحد مشايخ الموصل توفي عام 1964م، وهو والد الشيخ عبد المنعم إبراهيم الذي عمل في التجارة.
- خليل أمين ذنون حديد، ولد في عام 1900م وعمل بالزراعة ولديه ماكينة طحين وهي موجودة إلى الآن ولكن متوقفة عن العمل ومغلقة؟ ولديه سبعة

أبناء، هم: هاشم (الذي أشتهر ببيع لحم بعجين)، ويونس، وسعد، واسماعيل، ورعد، و وعد، وأكرم حديد (مقيم حاليا في ألمانيا).

- طه أمين حديد وأبناؤه: حازم، وغانم (المشهور باسم حسين)، ورافع، ونزار، وطلال، وعبد القادر.
- عبد الكريم أمين حديد، وأبناؤه: سنجار، ومحمود، ومحمد، وأمين، وحسين، وحسن، وإحسان.

ثم نخرج من العَوْجَة، وبجوار بيت ملا علو يأتي بيت جدي المرحوم سعيد يونس حديد (1896 - 1964):



الذي شيد وفق طراز معماري مفروش ومغلف بالمرمر الأبيض والشبابيك والمحجلات وفق طراز إسلامي رائع. في بداية ستينات القرن الماضي تحول

البيت إلى مَدْرَسَة الْحَدْبَاء الابْتِدَائِيَّة المختلطة، حيث أنتقل بيت جدي إلى مَدِينَةٌ الزهور. وعلمت مؤخراً أن البيت اشتراه رجل من آل كشمولة، وهو الآن في حالة يرثى لها.



وأبناء المرحوم سعيد حديد، هم: والدي بشير (عسكري – نائب ضابط طيار) استشهد في عام 1948م، وخليل (تاجر) والدكتور أحمد (أستاذ الجغرافيا ومدير مشروع الأطلس العربي ورئيس جامعة بغداد سابقاً) ومحمد (تاجر أيضا) (رحمهم الله جميعاً)،



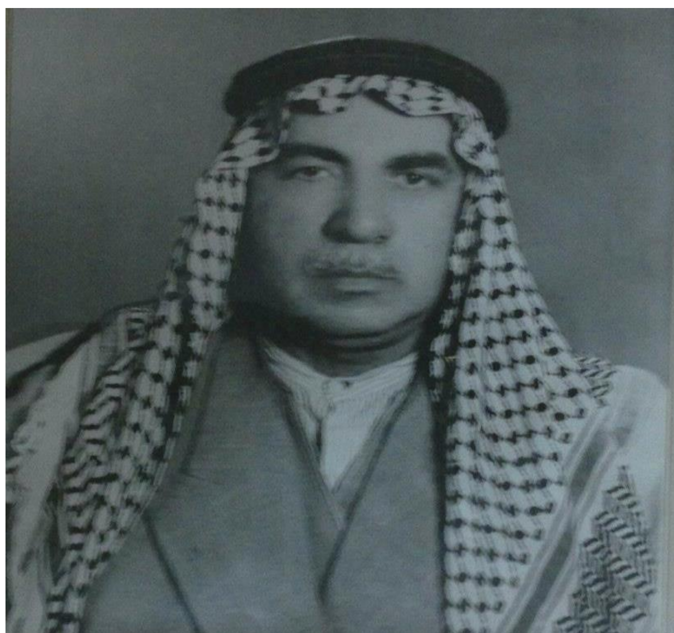
ثم يأتي بيت أحمد آل زيادة (مدير شرطة الموصل) إلى جهة اليسار، وإلى جهة اليمين يأتي بيت فاضل حاج حسين (سائق تكسي) وأبناؤه: زيدان، وأكرم، ورمزي، وفدعم، وراكان، ثم يأتي بيت المرحوم صديق عبد الرحمن الملا يوسف، الذي ورد ذكره سابقا وبعد أن انتقل المرحوم صديق إلى الموصل الجَدِيدة في الستينات سكن في البيت نفسه أبناء عمي سليمان حديد (داؤد ونشأت ومحمد خيري وشامل)، وبجواره بيت طلب (أبو وعد الله) كان يعمل في التجارة بين سوريا والعراق، تنتهي العَوْجَة عند بيت المرحوم صالح عمر آل غزال المشهداني وبجواره بيت أخيه المرحوم خطاب عمر. وهم سادة من نسل آل البيت عليهم السلام.

كان المرحوم صالح آل غزال موظفا محاسبا في إحدى دوائر الدولة. عرف بمهارته في أداء التواشيح الدينية، وتدريسه لأصول المقامات العراقية لبعض المولعين بها، وكنا نحضر بعضها، ونستمع إلى المدائح النبوية بصوته الرخيم الحنون، ونردد معهم المدائح، ولا زالت تسجيلاته محفوظة عند عائلته، أما أبناؤه فهم كل من: المرحوم مظفر صالح (نائب محافظ نِينَوَى ومدير بلديات نينَوى الأسبق)، والمرحوم مبشر (الذي نال شهادة الدكتوراه في الزراعة من جامعة كاليفورنيا، عمل في مؤسسة الطاقة الذرية في بغداد ثم أستاذاً في جامعة دهوك، وتوفي عام 2010)، والمرحوم الدكتور مؤيد صالح (دكتوراه زراعة من فرنسا، توفي عام 1987- على ما أعتقد)، ومن بناته الدكتورة نجاة (زوجة الدكتور هشام الدباغ، استاذ الجيولوجيا في جامعة الموصل) والصيدلانية نهاد (زوجة الدكتور زهير شريف صالح، مدير دائرة البعثات ونقيب الكيماويين العرب في السبعينات والثمانينات).

أما المرحوم خطاب عمر، فقد كان حائكاً، تقياً يؤدي معظم أوقات صلاته في مسجد أم التسعة. يده طيّبة جداً، يرقي للمصابين ببعض الأمراض، وبخاصة حالة الرعاف (نزيف الدم)، وكان يقصده أناس كُثر من مناطق بعيدة لثقتهم العالية بيده الطيّبة وبتقواه. وكان هادئاً، حلو اللسان، طيب القلب، وقوراً، لا تفارق الابتسامة وجهه (رحمه الله). أبناؤه هم كل من: عبد الوهاب (درسنا مادة الكيمياء في الإعْدادِيّة المَرْكَزِيَّة في الستينات)، والمرحوم الفنان عبد الغني

(عمل في مركز وسائل الإيضاح التابع لمديرية تربية نِينَوَى كمصمم وخبير في طباعة الشبكة الحريرية/ السكرين)، والمدرس طه، والشهيد ياسين زميلي في الدراسة.

ثم يأتي بيت جدي (من والدتي) المرحوم أحمد داؤد كشمولة وهو منزل كبير له بابان للدخول، الباب الأوّل يطل على حَمَّام المَنْقُوشَة مقابل بيت المرحوم خطاب عمر، والباب الثاني يطل على محلَّة المشاهدة مقابل بيت آل صبحة، وقد أغلق الباب الثاني بعد ثورة الشوَّاف بسبب الخلافات السياسية التي عصفت بالمنطقة آنذاك. ومقابل بيت جدي كان يسكن المرحوم خالي عبد الرزاق كشمولة والد كل من الحاج إبراهيم وعبد الباسط ومحمد صبحي وطه:



ثم انتقلوا في بداية الستينات إلى منطقة الدَّنَدَان، وسكن في بيتهم لواء الشرطة أحمد عبد الجبار كشمولة وهو شخصية شرطية معروفة تقلد مناصب قيادية رفيعة على مستوى العراق والموصل منها: مدير عام شرطة المرور على مستوى العراق ومدير شرطة الموصل، وأبناؤه: عبد الجبار (مهندس) ومحمد نصار (طبيب أسنان) والفيزيائي ذي الفقار (رحمه الله) وجميعهم يسكنون الآن في منطقة الدَّنَدَان. وبجوارهم يسكن المرحوم سَيِّد وهب اليوزبكي (والد كل من: أمين، وعبد، وداؤد) ، ومن أولاد داؤد (عبد النافع، ومحسن،...) ثم بيت شيت الكَلّوت (والد كل من: غانم ومحسن وعادل وعمر وسالم)، ثم تنتهي العَوْجَة عند بيت حمدي الحلو، وعندئذٍ نكون قد دخلنا محلَّة المشاهدة.

من الجهة الأخرى، كان يسكن جوار بيت جدي، ملا ذنون الخزْرَجي (رحمه الله) كان رجلاً تقياً ورعاً، ومن أبنائه: مهندس النفط أحمد، والدكتور عبد اللطيف (أستاذ حشرات في جامعة الموصل)، والعسكري عبد الغني، والشهيد الطيار عبد الرزاق، والعسكري محمد، والعسكري عبد الستار. ومقابل بيت ملا ذنون، أي ما بين منزل المرحوم عبد الرزاق كشمولة ومنزل المرحوم خطاب عمر، يوجد عَوْجَة تسكن فيها مجموعة عوائل، منها: أول بيت إلى جهة اليسار هو بيت عزيز بكر آل غزال، وأبناؤه: الدكتور حيدر عزيز بكر (أستاذ الجيوفيزياء– هاجر إلى الجزائر، ومقيم حاليا في دولة الإمارات) ويعد خبيراً في الجيوفيزياء على مستوى الوطن العربي، والدكتور عبد العالي (يعرف

باسم علي) وهو طبيب شغل منصب مدير مستشفى كركوك سابقاً، والمرحوم عبد المنعم (مهندس نفط)، والمرحوم عبد الوهاب (مدير مصرف الرهون سابقاً). وفي صدر العَوْجَة يسكن المرحوم عبد الغفور يحيى الزوري (عمل في سلك الشرطة – كان يسميها الجندرمة)، وأبناؤه هم: المرحوم عبد الرزاق، وعبد الستار (لا زال يسكن في البيت نفسه الآن)، وعبد الموجود (نائب ضابط متقاعد)، وعبد الوهاب (معلم متقاعد)، وعبد القادر (نائب ضابط متقاعد – قوة جوية)، وعبد العزيز (رائد متقاعد)، وعبد الكريم (اسكافي في باب السراي)، وجمال (كهربائي). وبالعَوْجَة نفسها إلى جهة اليمين بيت محسوب، وأبناؤه: عبد الغني وعبد المناف وعبد المطلب وحكمت، وكذَلِك يسكن في العَوْجَة نفسها خليل الحمال، وبيت نشمية (رحمها الله). وكان قريباً منا بيت جاويش وهم من عشيرة طي وجدهم هادي محمد حسين كان يعمل سائق شاحنة بين العراق وسوريا ولبنان وأبناؤه هم: محمود الذي كان يعمل سائق شاحنة بين العراق والأردن، وصفوان كان يعمل سائق تكسي، وسامي وعادل (يعمل في الصحافة)، ومن أحفادهم عادل الصائغ وأحمد علي محمود هادي.

لنعد إلى نقطة الانطلاق (مقبرة أم التسعة)، الفرع الثاني نحو الشمال عَوْجَة ذات انحِدار مرتفع تصل بالطريق (العوجَة الرئيسية) الذي يربط شَارِع الفَارُوق مع محلَّة المشاهدة منتهياً في باب سنجار، وهذا الطريق سالك لمرور العجلات. وفي بداية العوجَة المذكورة تسكن تتية (الغسالة) وفي منتصفها يوجد

عَوْجَة مغلقة فيها بيت عبد الوهاب عبود أوحيد حديد (أبو عبد القادر)، وبيت مؤيد فاضل حديد (أبو رياض). أما الفرع الثالث، أي الجهة اليسرى فيأتي باب مقبرة أم التسعة ثم يستمر موازياً للمقبرة، وينتهي ببيت حسينة الغسالة، ثم يلتحق بالطريق (العَوْجَة الرئيسية). ندلف نحو اليمين باتجاه محلَّة المشاهدة: الطريق منحدر وفي بدايته من جهة اليمين يسكن علي الغزال آل كشمولة، ثم بيت عبد الرزاق حامد شريف حديد (أبو نجم)، ثم بيت سَيِّد محمود حديد (أبو وعد ورعد)، ثم بيت حمود وإبراهيم أولاد شريف حديد ثم بيت العم حازم حميد حديد (أبو حسام)، ثم بيت نوري الحلاوجي والمرحوم طاهر الحلاوجي الذي قضى نحبه ضحية الاغتيالات بعد ثورة الشوَّاف مباشرة.

وعلى النهاية العليا للانحِدار من جهة اليسار، تأتي عَوْجَة مغلقة فيها عدد من البيوت ثم تتبع بعَوْجَة على شكل زاوية تتفرع إلى فرعين: الأيمن يؤدي إلى عَوْجَة الجماسة ثم محلَّة خزْرَج، والأيسر يستمر باتجاه الكنيستين ثم منطقة النصارى ومحلَّة خزْرَج. كان في هذه العَوْجَة بيت الدكتور محمد فوزي طبو العقيلي، وبالقرب منها بيت الجراح المشهور الدكتور عماد هاشم.

بعد العَوْجَة وعلى الطريق الرئيس، أي مقابل بيت الحلاوجي، يأتي بيت حديد، وهو عبارة عن مجموعة بيوت لها مدخل رئيس يسكن فيها: بيت عمي عزيز ذنون حديد، وأبناؤه كل من: جهاد (والد كل من: حكمت، وعادل،

وضياء، واسماعيل)، وسليمان الذي كان عنده علوة لبيع البيض (والد كل من: داود، ونشأت، ومحمد خيري، وشامل)، وأحمد (أبو وعد)، وذنون (توفي وهو شاب)، وناصر (أبو جمال) شيخ عشيرة آل حديد حالياً، ويحيى (أبو قاسم)، والمهندس الدكتور حسون حديد (أبو عمر). ويسكن في البيت نفسه: عمي فتحي ذنون حديد، وأبناؤه كل من صالح (أبو صلال)، وموفق (أبو صدام)، وثامر (أبو فرحان). وبيت العم حمدون محمود حديد (أبو سعد) قَبْل أن ينتقل إلى شَارِع نِينَوَى مقابل سلطان (أبو الجرزات).



بعد البيت مباشرة وإلى جهة اليسار تأتي عَوْجَة ذات انحِدار تؤدي إلى بيت سَيِّد غائب وتنتهي بمحلَّة خزْرَج، سكن في هذه العَوْجَة بيت عبد العزيز

العقيلي. يلي هذه العَوْجَة دكان سَيِّد محمد (مختار المحلَّة) ثم ثلاث بيوت ونكون قد وصلنا إلى بيت سَيِّد غزال.

كما كان يسكن في المنطقة نفسها المرحوم عبد القادر المصري الذي عمل في التجارة وله محل لبيع السُّكَّر والشاي في سوق الصرافين بالموصل وكان متعهداً ومجهزاً للجيش، انتقل للسكن في خزْرَج من جهة حَمَّام المَنْقُوشَة في عَوْجَة سميت بعَوْجَة بيت المصري وله ثلاث بنات طبيبات وابنان هما رئيس المهندسين محمد طاهر الذي عمل نائبا لرئيس مجلس إدارة شركة التحرير للطرق والجسور ورئيسا لنقابة المهندسين فرع الموصل ومحمد رياض عمل كرئيس كيميائيين في مشاريع وزارة الصناعة.

ومن العائلات التي سكنت في محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة، حسب ما جاء في موسوعة الأستاذ أزهر العبيدي [7]: آل حديد، آل كشمولة، آل سنجري، ملا علو، آل غزال، آل خزْرَجي، آل زيادة، آل كلو، العقيلي، المشهداني، المصري، آل المصطاوي، آل أسومة، آل الرفاعي، آل يوزبكي، آل عبد الرحيم، آل جاويش، آل القاطرجي، آل الخباز، آل الزكّو، آل العيدة، آل العبادي، آل فرحو بك، آل طه العبايجي، آل العقيلي، آل علي الحميد، آل المشهداني، آل حلاوجي، ... وغيرهم من العائلات مع اعتذاري سلفاً إن كنت قد أغفلت بعض العائلات دون قصد، فهم جميعاً موضع تقديري واحترامي

ولكن السبب هو النسيان فقط حيث مضى على ابتعادي عن المنطقة أكثر من أربعة عقود.

شخصيات من مواليد محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة: من الشخصيات البارزة التي ولدت وترعرعت في محلَّة المَنْقُوشَة والتي ما زال تَارِيخ محلَّة المَنْقُوشَة يستعرض قاماتها، فنستعرض معه تلك الأسماء البارزة التي لها حق الانتماء لتلك المحلَّة، إذ فتحوا أعينهم وعاشوا فترة صباهم وشربوا من ماء تلك المحلَّة ولعبوا، ولامسوا أبواب بيوتها وما زالت تلك الأسماء – من بقى منهم على قيد الحياة – يفتخرون بأنهم من مواليد تلك الأرض الطيّبة أرض محلتهم المَنْقُوشَة... وللتوثيق أذكر تلك الأسماء والشخصيات التي ذاع صيتها وأخذت دورها الفعال في المجتمع العربي والعالمي ومنهم:

1. الشاعر الأديب الصيدلي المرحوم فاضل حامد حديد، المعروف بفاضل الصيدلي.
2. وزير الدِّفاع الأسبق المرحوم اللواء الركن عبد العزيز العقيلي.
3. الفريق الركن المرحوم محمد طيب كشمولة – المعاون الفني لرئيس أركان الجيش السابق.
4. الأستاذ الدكتور المرحوم عمر الطالب – أستاذ اللغة العربية.

5. الأستاذ الدكتور المرحوم أحمد سعيد حديد – عالم الجغرافيا المعروف ورئيس جامعة بغداد بالوكالة سابقا ومدير مشروع الأطلس العربي سابقا التابع لاتحاد الجامعات العربي.

6. العلامة الأستاذ الدكتور محمد واصل الظاهر – أستاذ الرياضيات الشهير، وهو مقيم في أمريكا حالياً.

7. الأستاذ الدكتور المهندس حسون عزيز حديد... وهو من المهندسين المشهورين في الوطن العربي.

8. المخرج التلفزيوني المرحوم طارق فاضل السنجري.

9. السياسي المخضرم والرجل الشجاع الشيخ سالم حمدون ملا علو.

10. الأستاذ التربوي طارق فضل محمد آل طِلِي.

أما الشخصيات المعروفة من الجيل التالي ولم يرد اسمها سابقا، فأذكر منهم: الدكتور محمد فوزي طبو العقيلي، والدكتور عماد هاشم أحمد الطائي، والعميد ناصر عزيز حديد، واللواء أمير بشير حديد، والمحامي كمال حمدون ملا علو، والطيار نزار فضل محمد آل طِلِي... وغيرهم من الشخصيات التي تستحق أن تذكر أسماؤها، ولكن مع الأسف لم تسعفني ذاكرتي لسردها كلها.

أما كاتب هذه السطور فلم يكن إلا رجلا متيماً بحب محلته، أضناه بعده عنها ووجد فيها كل محلَّة من (محلَّات) الموصل، بل كل مدينة في عراقنا العزيز الموحد بإذن الله، وبإصرار أبنائه وإيمانهم.

الأنشطة والفعاليات: من أهم الأنشطة التي تتميز بها المحلَّة هي تجمع الصبية والسهر ليلاً حتى الصباح في المناسبات الدينية مثل عيد مولد النبي الشريف، حيث يقوم الصبية بتزيين المنطقة وجمع التبرعات والاحتفال حتى الصباح وتوزيع الحلويات وهو دليل على الألفة والمحبة بين أفراد المحلَّة. ويتم تشكيل فريق من صبيان المحلَّة لزيارة المحلَّات المجاورة مثل محلَّة المشاهدة، ومحلَّة خزْرَج، ومحلَّة باب المسجد، ومنطقة السَّاعَة، وحضيرة السادة، وغيرها من المحلَّات المجاورة، مع الهتاف والتصفيق ورفع شعار (هذي مْحَلَّتْكْم دسناها) كدليل على شجاعة الصبية ورجولتهم وتحديهم المحلَّات المجاورة.

وبعد فهذه محاولة متواضعة تم فيها تسليط الضوء على محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة، والعودة إلى مفردات الحياة في خمسينات القرن المنصرم، وإلى أجواء المحبة والألفة والتعاون بين اسر المحلَّة، كأنما المحلَّة بيت واحد متعدد الأبواب والنوافذ، مع التأكيد على الطقوس والتقاليد الفريدة الخاصة بالمحلَّة، من أجل الحفاظ على هويتنا وبصماتنا الخاصة، ومن الله التوفيق.

منطقة السَّاعَة

تقع منطقة السَّاعَة في قلب مَدِينَة الموصل القَدِيمة النابض بالحيوية والنشاط والفعاليات الأخرى، على تقاطع أهم شَارِعين في المَدِينَة وأطولهما: شَارِع الفَارُوق وشَارِع نِينَوَى، وتتوزع على ثلاث محلَّات:

- الأوس (الجولاق): نسبة إلى قبيلة الأوس التي سكنتها، وكانت تسمّى سابقاً (الجولاغ) وهو اسم مغولي يعني (مقطوع اليد).
- الخزْرَج: نسبة إلى قبيلة خزْرَج التي سكنتها.
- المّياسة: نسبة إلى امرأة صالحة اسمها (مّياسة) كانت لها خيمة في ارض المحلَّة.

وتعد كنيسة اللاتين أحد أهم معالمها وتتميز بأنها تضم أقدم ساعة ميكانيكية في الموصل، وضعت وبني لها برج مرتفع عام 1872م، ويمكن مشاهدتها من الاتجاهات كافة، ويسمع صوت دقاتها من مختلف المحلَّات المجاورة. ويذكر ذنون الطائي [12]، بأن الحكومة الفرنسية أقدمت على إرسال ساعة كبيرة دقاقة ذات أربع وجوه لتعتلي كنيسة اللاتين والتي تسمى (كنيسة الساعة)، ولما نصبت تلك الساعة فوق دير أو كنيسة اللاتين أو الآباء الدومينكان، تجمهر الناس معلنين سخطهم ومطالبين بإزالة الساعة، لكونها تشرف على بيوتهم وبخاصة في فصل الصيف ونومهم فوق أسطح المنازل.

إلا أن الآباء الدومينكان أقنعوهم بأن الغرض من تلك الساعة هو تذكير الناس بأوقات الصلاة وأن هذه الساعة سوف لن يصعد إِلَيْها أحد من مريدي الكنيسة، وبذَلِك هدأ روع الناس.



تنطلق حول دورة (تقاطع) السَّاعَة يومياً مختلف الفعاليات، ففي الصباح الباكر– أي مع أذان الفجر – يتجمع العمال وأسطوات (جمع أسطى أو أسطا، وهم الحرفيون) البناء لتناول صَمُّوَنة (نوع من أنواع الخبز المشهور في العراق) مع كوب حليب ساخن استعداداً للذهاب إلى مواقع العمل. أو يتناولون أحياناً

وجبة إفطار صباحي غَنِيَّة (زنكيني) تساعدهم على أداء مهامهم الصعبة، مثل: تناول صحن باجة مكون من لحم الرأس والكيبايات والمَقِيدِمْ واللسانات والمخ والبمْبَارات وغير ذَلِك من ملحقات الباجة... إلخ،



من شَارِع الفَارُوق أو من مناطق الموصل الأخرى المتخصصة بالأكْلات الموصلية الشَعْبيَّة، ثم يلحقه بأستكانين (بيالتين) شاي أو أكثر من مقهى السَّاعَة (كانت تسمى مقهى العمال) في الركن الجنوبي الغربي من دورة السَّاعَة التابعة إلى (محلَّة المياسة).



وعندما ينصرف العمال والمهنيون والحرفيون إلى أعمالهم ويعم دورة السَّاعَة هدوء نسبي مؤقت، أي ما بين الساعة السادسة والنصف والسابعة والنصف صباحاً فيحضر بعض الرِّجَال والأولاد بل حتى بعض النِّسَاء لشراء اللَّبَن والقِشْطَة (القِشْفي) والقيمر، وبعضهم يفضل الطحينية التي تشتهر بها الموصل، وهي تُصنع من السمسم الخالص، فرائحتها الزَّكِيّة تشدك إلى شرائها محبباً من محل ابن حنون الكائن في الركن الجنوبي الشرقي من دورة السَّاعَة (محلَّة الأوس).

خلال هذا الوقت يستعد تلاميذ المدارس والموظفون لتناول الفطور (التغيوقة)، وما بين الساعة: 9-11 قَبْل الظهر يحضر الرِّجَال لشراء متطلبات البيت من اللحم والخضار والفاكهة والرز والسُّكَّرِ إذ إن أغلبية العائلات تعتمد على التسوق اليومي، لعدم توفر الثلاجات والمجمدات الكهربائية في ذَلِك الزمان.

بعد الظهر وما بين الساعة 4-5 عصراً يعود العمال والحرفيون من العمل ويتجمعون في مقهى السَّاعَة (مقهى العمال) لتوزيع الأجور والتعاقد مع المتعهدين المسؤولين عن تأمين وإيصال (الجص، والحجر، والحلان، والإسمنت، والحصى، والرمل... الخ) من مستلزمات العمل لليوم التالي. ثم

يذهبون إلى بيوتهم للاغتسال والراحة ومن ثم لبس الملابس الملائمة والعودة إلى مقهى السَّاعَة للعب الدومينو والورق والطولي.

وفي الوقت نفسه تتجمع النِّسَاء ملفَّعَات، أي يَرْتَدِين العَبَايَة والبُوشية (غطاء الرأس)، وبعض الأطفال يحملون معهم سلات الخبز الحار المخبوز في البيوت على التنور، والتي تشتهر بها منطقة (دكة بركة) ومنطقة خزْرَج، ويجلسون عادة على الرصيف حول دورة السَّاعَة مقابل مقهى السَّاعَة لضمان البيع السريع.

يسكن في منطقة السَّاعَة خليط من المسيحيين والمسلمين وقلة من اليزيدية (الأزيدية) تمثل التلاحم الأخوي بين مكونات المجتمع الموصلي وأطيافه وجذوره العريقة في الحَضَارَة الإنسانية، إذ عاشت هذه الأطياف المتعددة أجمل أيام حياتها وتجمعوا على المحبة والتسامح والعفو المبني أساسه على الاحترام المتبادل. وتعد الجيرة محترمة بالنسبة إلى سكان هذه المنطقة وبقية مناطق الموصل.

ومن الأسر المسيحية التي كانت تسكن منطقة السَّاعَة، بيوت: خليل إبراهيم عَبّو الجّلو (أبناؤه كل من الدكتور ماهر وفارس)، توما عَبّاصَة، عبد الأحد خليل إبراهيم المطبعي، إيليا ونوري وقرياقوش أبلحد، شَمّاس بهنام، نوئيل فتوحي، هادي سرحان، حازم مقادسي، يعقوب دُقّي، خضر هِندي، حنا

الأسْود، عيسى حوشو، جميل الدَّلال، جميل توزي، البَنَّاء جميل شمعون، سالم أبو خالد، الأب ميخائيل عزيزة، خضوري عزيزة، مجيد وجرجيس وغانم النقّاش، كامل كساب، كامل عطّو، جرجيس فتح الله، نوئيل صَبّاغة، ناصر حلوة، أيوب عبد النور، رؤوف الصائغ، يعقوب دقي، إسحق عيسكو، منصور عقراوي، نوح جبري، بشير قس توما، صادق سلمان، جوكة ويونس الالقوشي، خضر عباوي، بيت سرسم (مجيد وحميد وناظم وسليم)، شَمّاس جدو، خوري يعقوب، بيت عزوز، بيت الطويل، بيت الجي، شَمّاس ميخائيل، شَمّاس توما، بيت نعامة، بيت سلو الذهب، بيت عنايي، بيت قزازي (إدريس وفاروق)، بيت الصراف، بيت تنو، بيت فرجو، بيت ددو جدوع، يوسف حنا شموني، سعيد عزيز طير الحزين وأبناؤه (سالم وكمال ونافع وغانم وحازم وفوزي وصبحي)، عيسى حوشو، حنا عابلي، ميخائيل جطو، خليل بيثون، كمال آل جي، منير أندريا، أسطيفان قاقو، أسطيفان الطباخ وأبناؤه الكهنة الأربعة: الدكتور متي والدكتور يوسف والدكتور جورج وأستاذ الرياضيات نوئيل (زميلي في الدراسة في جامعة الموصل)، بطي البَنَّاء وأولاده (هاني وهيكل وهلال وقيس وحكمت)، حنا مراد، بيت قس بشارة، بيت رحيمو، داؤد الصباغ، إبراهيم داني، شاكر المسود، وديع دايخ، بشير صوفيا، بيت عطو، بيت الساعجي، بشير بيبو، جرجيس جريدي، خليل عديلة، لويس البوتاني، بيت عقراوي، نافع أبو نزار، يوسف أبو وليد، يعقوب أبو عبد الغفور، يوسف الساعور وأولاده: فوزي وكمال

وحكمت ومينة (الذين كانوا يمتهنون صناعة السكاير المْزَبَّنْ ولديهم معامل لصنع السكاير وتوزيعها على عموم العراق، لتعبئتها بالتتن وبيعها على شكل شدات تحتوي كل شده على 20 سيكارة)، بهنام (بني) فراش مَدْرَسَة الغسانية، بيت كوريه المشهور في بيع القهوة ويعرف باسم دكان كوريه الواقعة بالسَّاعَة، الخوري يعقوب يوسف، بيت سمرجي، ميخائيل حودي، أنطانيوس، نذير كغو، هادي شعو، داؤد أسوفي، متي جبري القرد، زيتو السناطي، وعد الله قزازي، حكمت وديع، شوقي خضر، خضر قسطو، متي بابا اللوس، حميد الدبح، بيت اسوفي (الذين اشتهروا ببيع الطحينية)، الأسطى نعمان عباده (أبو سامي) البَنَّاء المشهور، وبيت بطوطة (صاحب محل الأصباغ في السَّاعَة)، بيت توما تمو بلبول (بائعو الزجاج)، بيت مَتُّونَه، أبو راكان البقال (المتخصص ببيع البَسْطِرْمة)، نوري البقال (أبو صباح) المتخصص ببيع البَسْطِرْمة أيضاً.

ومن الأسر المسلمة واليزيدية القاطنين بالقرب من منطقة السَّاعَة بيت: آل حديد، آل كشمولة، آل خزرجي، العجيلي، الظاهر، آل حنون، الفخري، القطان، الجراح، القدو، عزيز الحمال، حميد القهوجي، عمر عبودي، خضر مشحت، فواز الشرابي، سليمان بكر، النجماوي، الدرزي، سلو اليزيدي، أي من العوائل الموصلية الأصيلة وكما نسميها باللهجة المصلاوية من (النقغة).

وأكبر دليل على الألفة والمحبة بين هذه الأطياف المتعددة أن بعض الأسماء يصعب تمييزها على أساس الدين، فعلى سبيل المثال كل من المسلمين والمسيحيين يطلقون الأسماء الآتية على أبنائهم: يوسف، إبراهيم، خليل، عمر، بشير، ماهر، فارس، ماجد، سمير، صباح ... الخ.

ومن أهم معالم منطقة السَّاعَة التي لم يعد لها أثر مقهى السَّاعَة (مقهى العمال) الذي يقع في الركن الجنوبي الغربي (محلَّة المياسة) أي على تقاطع الشَارِع المؤدي إلى منطقة خزْرَج مع الشَارِع المؤدية نهايته إلى باب الجَدِيد، أما صاحب المقهى فهو جدي (لوالدتي) المرحوم أحمد داؤد كشمولة، وكان يديرها ابنه المرحوم محمد وجيه (أبو ياسر – خالي) ويساعده عاملان، ومن المعروف أن المرحوم خالي كان صاحب يد مباركة وكف (كبيغ) يحمل فيه عشرة استيكانات من الشاي والحامض في آن واحد، وفي كثير من الأحيان – وبخاصة – في الصباح الباكر يقدم الشاي والحليب للعمال دون مقابل، وما زلت أذكر أنني وأنا صبي كنت اسأله عن ذَلِك فيقول لي: إنهم فُقَرَاء، وقد يحصلون على عمل في هذا اليوم وقد لا يحصلون، وفي حالة حصولهم على عمل سيعودون في المساء لتسديد ثمن ذَلِك، فأوجه له سؤالاً ثانياَ: ولكن كيف تعرفهم ولم تسجل أسماءهم؟ فيجيب: إنهم ثقة وأمناء ولا يأكلون إلا من عرق جبينهم، ومما رزقهم الله حلالاً زلالاً.

تفتح المقهى أبوابها مع أذان الفجر وتستقبل العمال والحرفيين، بما يعمرها من مشروبات منوعة: شاي وحامض وحليب وكذَلِك الصمون الحار،



لتناوله مع الحليب، هكذا جرت هذه العادة بين العمال قَبْل انطلاقهم للعمل، بعد أخذ طعام الإفطار الصباحي (الموني) ينطلقون إلى مواقع العمل، فاذا ما غادروا حضر إلى المقهى كبار السن والرِّجَال ممن ليس لديهم عمل، ليشربوا الشاي والحامض، ويلعبوا الورق والدومينو والطولة.

ومن ذِكْرَيَاتي في تلك الفترة أنني كنت أتردد على المقهى خلال العطل، وأستمتع بلعب الدومينو مع روادها وفي كثير من الأحيان أفوز (أغلب) على من هم أكبر مني سناً وأربح اللعبة. وكنت أستمتع عند سماع كلمات ما زالت ترن في أذني مثل (دوشيش، حبي بياض، قفلَت، أزنيف... إلخ) من المصطلحات الخاصة بالدومينو.

بعد ثورة الشواف مباشرة وبسبب الأذى الذي لحق عائلة آل كشمولة، ترك المرحوم جدي أحمد داؤد كشمولة المقهى وهجرها واعتزل الحياة وجلس في البيت ولم يخرج قط، حتى التحق بالرفيق الأعلى عام 1981م. كان معظم أصدقائه وزبائنه من سكان تلك المنطقة الذين ارتبط معهم بعلاقات حميمة مؤسسة على المحبة والاحترام المتبادل.

لقد لعب هذا المقهى التَارِيخي دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية باعتبارها نقطة تجمع كبار الشخصيات وأرباب العائلات الذين يتباحثون في أمورهم الاجتماعية والعائلية ومواضيع الزواج والطلاق وغير ذَلِك من الأمور الخاصة، كما لعب المقهى كذَلِك دوراً اقتصادياً باعتباره مركز تجمع العمال والمهنيين والحرفيين، فهي بمنزلة بورصة الموصل في ذَلِك الوقت، كما لعب دوراً سياسياً، حيث كان مركز تجمع الحركات القومية والتقدمية، ومنه انطلقت بعض المظاهرات ضد الإنكليز والاستعمار.

ومن الذِكْرَيَات الراسخة في ذهني أنني شاهدت بعيني يوم 14 تموز 1958 صعود أحد المتظاهرين على قبة دورة السَّاعَة وهتافه بسقوط النظام الملكي وإعلان النظام الجمهوري، وقد علمت من خلال التعليقات التي دونها القراء على مقالتي الموسومة "منطقة الساعة..." والمنشورة على موقع "ملتقى

أبناء الموصل" بتَارِيخ: 2010/10/21م، أن ذَلِك الشخص الذي صعد فوق الدورة قتل بعد عام.

لقد تحولت المقهى بعد ذَلِك إلى محل (باتا) لبيع الأحذية بإدارة المرحوم دحام الصواف (والد المرحوم الدكتور هشام الصواف، أستاذ اللغة الإنكليزية)، وانتقل الرواد والزبائن إلى مقهى فاضل المقابل له والذي موقعه يمثل الركن الشمالي الشرقي الذي يربط الشَارِع المؤدي إلى السرجخانة مع شَارِع الفَارُوق وحضيرة السادة. ومقهى السَّاعَة الذي أصبح (باتا) فيما بعد والذي تحدثنا عنه، هو الآن نقطة لتجمع الشرطة لوجود سيطرة أمنية في تقاطع السَّاعَة. أما مقهى فاضل فقد أغلقت أيضاً وأصبحت محلا لبيع الأصباغ! أي خسرت المنطقة أهم المقاهي في تَارِيخها.

على الركن الشمالي الغربي الذي يوصل شَارِع الفَارُوق مع الشَارِع المؤدي إلى منطقة خزْرَج يوجد محل عبد الباسط أبو السندويج الذي يتميز طعامه بالنظافة والنكهة الطيّبة لاختياره نوعيات جيدة من اللحوم واللسان والمخ ويقدمها مع ماعون طرشي صغير وآخر للزيتون الأسْوَّد الناعم، سعر السندويج في وقتها كان هو (20) فلساً، وقد عَلِمْتُ مؤخراً أن محل السندويج لصاحبه عبد الباسط قد انتقل إلى الركن المقابل ويديره ابنه لؤي، ما بين جامع الصفار و"مقهى فاضل" الذي اختفت معالمه وأصبحت محل بيع الأصباغ.



ويجاور محل عبد الباسط أبو السندويج (القديم) دكان الحاج فتحي السرحان لبيع التبغ والسكاير (المْزَبَّنْ)، وإلى يمين الدكان باتجاه منطقة خزْرَج يوجد دكان شيت البصو لبيع التبغ والسكاير، ومحل عمر العشو لبيع المواد الإنشائية (الجص، والحجر، والحصى، والرمل ...الخ) من المواد الخام.

يمتلك الحاج عمر العشو سجل حجز المواد الإنشائية ويعمل بدقة ونظام صارم أكسبه ثقة النّاس حيث يبدأ تجهيز مواقع العمل بعد الغروب ومع الفجر يكون قد أمن توصيل حاجات العمل. وعلى الرغم من الوسائل البدائية في نقل التجهيزات، إلا أنه كان يوصل المواد الإنشائية في وقتها المحدد ولا يخالف ذَلِك إلا لسبب وجيه، في تلك الفترة كان يعتمد في النقل على الطنبر وهو عبارة عن عربة تستند إلى عجلتين يجرها حصان باتجاه موقع العمل لاسيما إذا كان موقع العمل في العوجات والمحلّات الضيقة الممرات والمواد خفيفة

الوزن مثل الجص والحجر، فيما بعد تم استخدام سيارات القلاب في نقل المواد الثقيلة مثل الحصى والرمل والإسمنت وغير ذَلِك.

ومن الجدير بالذكر أن تنقل النّاس كان يعتمد على العربات التي تجرها الأحصنة، خاصة قَبْل ظهور باصات مصلحة نقل الركاب التي دخلت الخدمة فيما بعد. تتألف العربة من مقصورة (غرفة صغيرة) يصعد الراكب إِلَيْها عن طريق درج ويجلس في صدر العربة التي تتسع لأربعة أشخاص متقابلين. يجر العربة حصان أو حصانان ويجلس العربنجي في الأعلى في مُقَدِّمَة العربة بعد الحصان مباشرة ليتولى قيادة العربة وإلى جهتي العربنجي من اليمين والشمال فانوسان يعملان على النفط (لمبات) للتعريف بالعربة ليلاً، كان الأطفال يستمتعون في الجلوس بجوار العربنجي.



ومن أشهر العربنجية في ذَلِك الوقت (ببح) العربنجي ووالده (رحمهم الله)، ومن أشهر صناع العربات المرحوم يونس العربنجي وصانع السرج هو يعقوب السراج حيث مركز تصليح وصناعة (العربايين) كان في باب لكش قرب بيت أخينا مشتاق الدليمي الذي كان مولعا بمراقبة أسلوبه في العمل وجاء في حديث له عنه وصفه بأمهر صانع عربة، حيث يهندسها جيداً، ويتقن عملها إلى حد بعيد.

كما كان الصبيان يقفون بالقرب من دورة السَّاعَة التي يقف عليها النوبجي (شرطي المرور) لتنظيم السير، حيث العربة القادمة من باب الجَدِيد باتجاه المستشفى مروراً بشَارِع الفَارُوق تتباطأ تدريجياً في هذا المكان بسبب الدورة، وهنا ينتهز الأولاد هذه الفرصة ليمسكوا بالعربة من الخلف ويجلسوا على مسند الحديد خلف العربة وعادة يضع صاحب العربة أسلاكاً شائكة لمنع الصبيان من مسكها، وفي كثير من الأحيان يحس العربنجي بوجودهم فيضربهم بالسوط (القمجى) التي تتكون من عصا الخيزران مربوط في نهايتها (واير) من الجلد رفيع لاذع ومؤذ ومع الضربة يترك الصبيان العربة على أمل إعادة الكرة ثانيةً.

بجوار محل عمر العشو إلى جهة اليمين محل واسع يتألف من دكانين لبيع المواد الغذائية والتموينية (بقالة) لصاحبها بشير (أبو محسن) والشهير بـ(ببيو البقال) وهو مسيحي، ثم يأتي الدرج الذي يوصل منطقة السَّاعَة

بعوجات النصارى امتداداُ إلى كنيسة مار توما للسريان الكاثوليك (عائدة إلى محلَّة خزْرَج) التي عاش فيها منذ عام 1962 أربعة كهنة أطلقوا على أنفسهم جماعة يسوع المَلِك وهم: الأب جرجس القس موسى والأب المرحوم نعمان أوريدة والأب جاك إسحق والأب بيوس عفّاص الذي لا يزال يسكن في الكنيسة، وكنيسة مار توما للسريان الأرثودوكس الملاصقة إلى كنيسة مار توما للسريان الكاثوليك، وهي من الكنائس القَدِيمة جداً يعود تَارِيخها إلى بداية المسيحية في الموصل وكانت مقراً لأبرشية الموصل للسريان الأرثوذكس إلى عام 1988 حيث نقلت المطرانية إلى كاتدرائية مار افرام بعد بنائها في الجانب الأيسر من المَدِينَة والمطرانية سكن فيها كل من المثلث الرحمات المطران مار غريغوريوس بولس بهنام ونيافة المطران مار سيوريوس زكا عيواص، ونيافة المطران مار غريغوريوس صليبا شمعون. وملاصق لهما المقبرة الأساسية للمسيحيين التي انتقلت فيما بعد إلى وادي عكاب، ومَدْرَسَة مار توما الابْتِدَائِيَّة التي تغير اسمها إلى مَدْرَسَة الغسانية الابْتِدَائِيَّة. وهي مَدْرَسَة للبنين والبنات التي عرفت فيما بعد باسم مَدْرَسَة الغسانية للبنين ومَدْرَسَة الغسانية للبنات وكان يدرس فيها الدين المسيحي كمادة معتمدة وقد تخرج من هذه المَدْرَسَة الكثير من الأطباء والمهندسين وأصحاب الشهادات العليا في المجالات كافة، نذكر منهم الجراح الشهير الدكتور عماد هاشم.

نعود إلى جهة اليمين باتجاه باب الجَدِيد (التابعة إلى محلَّة المياسة): لنبدأ من مقهى السَّاعَة (الركن الجنوبي الغربي) وبجوار المقهى صَالُون حلاقة محمد يونس أحمد الظاهر (أبو ماجد)، أخوه عبد الجواد أحمد الظاهر (والد الدكتور أحمد عبد الجواد الأستاذ في كلية الزراعة والغابات في جامعة الموصل)، وأخوه الآخر العلامة المتخصص في الرياضيات الأستاذ الدكتور محمد واصل الظاهر (المقيم في ولاية كالفورنيا في أمريكا)، ثم دكان الكبابجي التي تعود للعالم الجليل الشيخ عبد الله الاربيلي بعد انتقاله من دكانه السابق في باب الطوب الذي تركه بسبب هدم تلك المنطقة؛ حيث انتقل إلى محله الجديد في منطقة الساعة. ثم يأتي فرن للصمون وشوي البقلاوة والكليجة (معجنات موصلية تصنع قبيل الأعياد وتسمى معمول في بلدان عربية أخرى) والقوازي وغير ذَلِك، ثم كراج (سيف) كبير، ثم تأتي عَوْجَة كان يسكن فيها خليل عبو الجلو والد الدكتور ماهر وأخيه فارس، ثم تستمر فتؤدي إلى كنيسة شمعون الصفا (محلَّة المياسة) وهي أقدم كنائس الكلدان في الموصل، وقد بنيت على اسم بطرس زعيم الرسل الذي عرف بالصفا. ولا يمكن تعيين زمن تشييدها بدقة، إلا أن في انخفاض مستوى أرضها عن سائر المحلَّة المحيطة بها، دليلاً واضحاً على قدمها. فإن هذه الكنيسة كالدِّيماس (جمع: دَيامِيس، دَمامِيس: بِناءٌ أَرْضِيٌّ تَحْتَ العِمارَةِ لا يَدْخُلُهُ الضَّوْءُ، أي كُلُّ مَكانٍ عَميقٍ تَحْتَ الأَرْضِ) ينزل إِلَيْها بعدة درجات ويستدل من طراز بعض بقاياها القائمة أنها

بنيت في نحو القرن الثالث عشر للميلاد. وقد رممت أكثر من مرة وكان آخر ترميم لها في سنة 1936، كما جاء في كتاب الموصل في العهد الجليلي، تأليف الأب سهيل قاشا [16]، وعلى مسافة منها تأتي كنيسة مَسْكَنْتَة التي تقع في محلَّة المياسة؛ وهي كاتدرائية سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشهيدة مَسْكَنْتَة ويقابلها دار المطرانية (البطريكية) سابقاً للكلدان. وكان يسكن هناك بيت عزيز علي والد كل من الدكتور علي عزيز علي أستاذ الرياضيات ونائب رئيس جامعة الموصل في زمن الدكتور محمود الجليلي (رئيس جامعة الموصل الأسبق)، وأخيه المهندس الدكتور صبحي عزيز علي زميلنا في الدراسة.

لنعد إلى مقهى السَّاعَة باتجاه منطقة خزْرَج، أي إلى يسار المقهى فهناك دكان صغيرة لبيع الفاكهة يدعى صاحبها حموشي وبجواره دكانان واسعتان لبيع المواد الغذائية كالسُّكَّر والرز والشاي واللَّبَن والقشفة وغيرها، ثم تأتي عَوْجَة (مقابل الدرج عبر الشَارِع) تقودنا إلى دكان محمد الكبابجي الذي يقدم ماعون كباب مكون من أربعة أسياخ (شياش) مع الخبز والبصل والكرافس مع (طاسة) من شربت الزبيب بسعر 40 فلساً مع استعداد لتوصيله إلى مقهى السَّاعَة عند الطلب. ثم تلتقي بعَوْجَة أخرى جانبية تؤدي إلى كنيسة شمعون الصفا وكنيسة مَسْكَنْتَة. نعبر إلى الجانب الآخر (الركن الشمالي الغربي)، وعلى بعد 100متر من دورة السَّاعَة إلى جهة اليمين باتجاه منطقة خزْرَج حيث دكان ملك الجرزات سلطان أبو الجرزات الذي اكتسب شهرة كبيرة لجودة ولذة جرزاته التي يقدمها،

ويتكون محله الصغير من باب واحد وجدرانه مغلفة بالمرايا لتعطي جمالاً وسعة للمحل،



يقف سلطان في وسط الدكان محاطاً من جميع جهاته بالجرزات ومن الجهة الأمامية يرتب الزنابيل المصنوعة من القصب وفيها السِسِّي وحب الأحمر والأسْوَد والبطم والاقضامة وفي الجهة الخلفية يضع الفستق والبندق واللوز وغير ذَلِك من الجرزات الخشنة. ومن الجدير بالذكر أن مدينة الموصل تتميز بإنتاج (السِسِّي) الذي لا يوجد في أي بلد في العالم سوى في العراق مما يدل على أنه عراقي الأصل والمنبت.

لنعد إلى الركن الجنوبي الشرقي باتجاه السرجخانة (محلَّة الأوس)، حيث دكان القصاب المرحوم مزهر طه القطان، أخي الشهيد زكريا طه القطان الذي

أعدم مع زملائه الشهداء في ثورة الشواف عام 1959. وفى العَوْجَة نفسها (الفرع) كان هناك المرحوم إسماعيل الكبابجي وبالقرب منه بيت الفنان المشهور الأستاذ ضرار القدو. وهناك بيت محمود القطان، وبيت حسين الجراح (مختار السرجخانة)، عند مفترق الطرق المؤدية إلى منطقة السرجخانة ومنطقة الرابعية. ثم يأتي محل خضراوات ثم دكان ابن حنون الواسعة التي يبيع فيها (القِشْفي) ولبن الخَاثِر والقيمر والأجبان وغير ذَلِك من المواد الغذائية ثم يتبعها عَوْجَة تؤدي إلى كنيسة اللاتين التي تعد من أهم معالم منطقة السَّاعَة. وتعود كنيسة اللاتين إلى الآباء الدومنيكان، وهي كنيسة قَدِيمة أنشئت عام 1872م وفيها برج السَّاعَة المشهورة في مَدِينَةُ الموصل، والقداس فيها حسب الطقس اللاتيني وباللغة العربية. ومسؤولها الحالي الأب نجيب الدومينيكي ويسكن معه الأب يوسف عتيشا الدومينيكي.

كانت هذه الكنيسة في القرن التاسع عشر قاصدية صغيرة، وأكمل أعمدتها القاصد الرسولي في العراق والآباء الدومينيكان في بغداد وبعدها تحولت القاصدية إلى بغداد وصارت الكنيسة مركزاً لسكنى الآباء الدومينيكان. وبجوار كنيسة اللاتين يوجد دير الآباء الدومنيكان الذي أسسه الآباء الدومنيكان عند قدومهم إلى الموصل عام 1750م. وأسسوا إلى جواره معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي الذي فتح أبوابه للطلبة عام 1878 ممن يدرسون علوم الفقه والدين ليصبحوا قساوسة في المستقبل وغيرهم.

يقول الإعلامي ماجد عزيزة (مقيم حاليا في كندا) وهو من مواليد تلك المنطقة وقضى مدة طفولته ومرتع صباه هناك: كان هناك أيضاً البير الحَلَّاق وكانوا يسمونه (اربيل) وعنده حلقت شعر رَأْسِي لأول مرة وكان ذَلِك عام 1953 وكنت في الثالثة من عمري، وبكيت كثيراً لكنه وعدني بأن يعيد لي (شعغي الكلبدون) ولم يوفِ بوعده رحمه الله !! في رأس عوجتنا وعلى شَارِع نِينَوَى كان أولاد حنون واذكر اسميهما (طلب وسعدون) وقد زرت الدكان بعد عام 2004م، يقول ماجد عزيزة، وشاهدت سعدون وقد فات به العمر وحين شاهدني بعد غياب 20 عاماً (كان ذَلِك بداية الثمانيات)، قال: أنت ماجد بيت القس ميخائيل ما ؟ قلت نعم: قال والله كبغت كنت تلعب هوني وكنت (زلز) أي وكيح ! رحمه الله. ويضيف عزيزة قائلا: من شدة التآلف والمحبة بين مسيحيي ومسلمي المنطقة أسميت ولدي الأكبر (عمر) تيمنا بشَارِع الفَارُوق (عمر...) رحم الله أيام زمان.

على الركن الشمالي الشرقي الذي يوصل شَارِع السرجخانة بشَارِع الفَارُوق أي مقابل ابن حنون يوجد ستوديو آراكس لصاحبه: المصور الأرمني إينوف، الإنسان الوديع الهادئ الطبع الذي يعد واحداً من المصورين المعروفين في عصره. وبجواره محل الفنان إبراهيم الجوادي الذي يعد من أشهر صناع العود في الموصل،



وهو من أبناء محلَّة شهر سوق تخصص منذ خمسينات القرن الماضي بصناعة العود، وكان محله المعروف في منطقة السَّاعَة مقابل دكاكين بيت حنون، قَبْل أن ينتقل إلى باب البيض. ولازال يمارس صناعة آلة العود الشرقي بمهارة فريدة، كما كان محله مكاناً للقاء العديد من الفنانين والأدباء أبرزهم الفنان الكبير المرحوم نجيب يونس والدكتور أحمد الحسو والفنان ضرار القدو والمرحوم الفنان عبد الحميد الحيالي وغيرهم كثيرون، ثم منزل (لا أعرف اسم صاحبه) ثم مقهى فاضل (على الركن) التي بعد غلق مقهى السَّاعَة نالت شهرة أكبر. ثم جامع الصفار الذي كان زميلنا العزيز الدكتور عبد الرزاق الصفار (رحمه الله) يلقي خطبة الجمعة فيه



وبجوار المسجد يوجد مركز للشرطة، ثم دكان تتونجي اسمه (عبد الطه) وهو من أهل خزْرَج.

لنعبر إلى الجانب الآخر على بعد 100 متر باتجاه شَارِع الفَارُوق إلى جهة اليسار، حيث يوجد مقهى صغير يتجمع فيه العمال والمهنيون أيضا لتنظيم عملهم، ووضع الترتيبات الخاصة بأعمالهم، وجوار المقهى يوجد دكان محمد التمر للمواد الغذائية والاستهلاكية ودكان طه القصاب الذي كنا نشتري منه اللحم، وتليها مباشرة العَوْجَة التي تنتهي بالكنيستين ومَدْرَسَة الغسانية، أي

إن الكنيستين تقعان على ملتقى العوجتين الأُولَى ترتبط بشَارِع الفَارُوق والأخرى بشَارِع نِينَوَى قرب دورة السَّاعَة باتجاه خزْرَج وتبدأ بالدرج.

التقينا مع إخواننا المسيحيين على المحبة وتفرقنا بود واحترام وقد مضت خمسة عقود ولا زالت ذكراهم حاضرة في أذهاننا وعقولنا. ومن ذِكْرَيَاتي عن المنطقة في تلك المدة زمالتي في المَدْرَسَة لكل من الأب يوسف اسطيفان ومعن سرسم. أما في الجامعة فمن زملائي في قسم الرياضيات في كلية العلوم بجامعة الموصل خلال الفترة: 1967–1971م كل من: نوئيل الطباخ وجنان بطرس وسمير يوحنان منصور. وما زلت أتذكر أَكْلَة الكبب الكبيرة التي كانت تقدمها لنا أم سمير يوحنان المحشوة باللحم والسمن واللوز والكشمش ولم يزل طعمها في فمي... أيام رائعة وذِكْرَيَات أجمل. خرجت أكاديمية منطقة السَّاعَة الكثير من الكفاءات العلمية والأدبية والفنية (أطباء، مهندسين، أساتذة، شعراء، فنانين، ضباط، إعلاميين، مهنيين،...الخ) قدموا للموصل والعراق بل وللعالم أفضل الخدمات وأروع الإنجازات. وستبقى الموصل الْحَدْبَاء تذكرهم وتفخر بهم جيلا بعد جيل.

محلَّة خزْرَج

تقع محلَّة خزْرَج إلى الغرب من مَدِينَة الموصل القَديمة. يحدها من الشرق محلَّة المياسة (منطقة السَّاعَة) ومن الشمال محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة ومحلَّة المشاهدة ومن الغرب منطقة رأس الجادة ومن الجنوب شَارِع نِينَوَى.

وتعد من المحلَّات الكبيرة المساحة، أشتهر أبناؤها بحرفة البناء والنقر على الحلان (النقش على الحجر)، وفيها سوق لبيع الفواكه والخضر واللحوم. يقصدها الكثير من سكان المحلَّات المجاورة، مثل محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة ومحلَّة المشاهدة لأغراض التسوق أو المرور من خلالها قاطعين شَارِع نِينَوَى باتجاه باب البيض والبدن، حيث يتوفر في تلك المناطق أفران ومعامل لصناعة الحلويات لاسيما حَلاَوَة الخضر الموسمية والحلويات الأخرى مثل: البقلاوة والزلابية وكليجة العيد، وغيرها. كما كنا نمر من خلالها متوجهين إلى محطة القطار حاملين معنا الكتب والملازم الدراسية باحثين عن جو هادئ يساعدنا على الدراسة ويوفر لنا مناخا هادئا.

سميت المحلة منذ القدم بمحلَّة خزْرَج لأن غالبية سكانها الأوائل هم من قبيلة الخزْرَج، حيث عُرفت الموصل في الزمن القَدِيم بقبيلتي الأوس والخزْرَج. غالبية سكان المحلَّة هم من العرب الأصلاء المسلمين وبعضهم من المسيحيين، فهي تعد رمز الجيرة الطيّبة والمحبة والإخاء بين جميع الأطياف

بغض النظر عن الدين أو المذهب. كما أن طبيعة التَّدَاخُل بين السكان يومذاك ومتانة النسيج الاجتماعي الذي كان يربط سكان المحلَّة، هو دليل قاطع على أن الجيرة محترمة للجميع. كما تذكرنا محلَّة خزْرَج بأيام الصبا والشباب، حيث المتعة والمحبة في تلكم الأيام لاسيما وأننا قد عشنا في كنف الأمن والهدوء والرخاء، والألفة الطيّبة، والصداقة الدافئة، والجيرة الحميمة.

تتميز المحلَّة ومعها المحلَّات المجاورة المياسة، وحَمَّام المَنْقُوشَة، والمشاهدة وباب البيض بأن لها لهجة خاصة تميزها عن محلَّات المَدِينَة الأخرى فاللهجة البدوية هي السائدة، مثل: (دحك زا)، وهي تعني: أنظر نحوي أو أنظر لي. كذَلِك: (أكلتا وشربتا)، وهي تعني: أكلتُ وشربت. و (جابنّوا بعشرين فلس)، وهي تعني: اشتروه بعشرين فلساً.

ومن الجدير بالذكر أن العوائل المسيحية في تلك المنطقة لها مفرداتها اللغوية الخاصة بها مما يميزها عن بقية الطوائف الأخرى. على سبيل المثال: (بجغانك)، وتعني: على شأنك أو لخاطرك، أيضا: (معمنّو)، وتعني معه أو بمعيته، وكذَلِك (هَبَنّو)، وتعني: هذا هو، وأيضا:(كي يلعب)، وتعني: هو يلعب.

للتعرف على منطقة خزْرَج، نبدأ من منطقة السَّاعَة متوجهين إلى رأس الجادة. علينا التباطؤ قليلا في المشي، لاسيما عندما نصل منتصف المسافة،

لأننا سنمر في نقطة يتقاطع فيها شَارِع نِينَوَى بمنطقتين مهمتين، أولاهما على جهة اليسار تعرف بالمياسة وتضم تجمعات النجماويين ومن أعلامهم الأخوين غانم والمرحوم سالم البصو، ثم منطقة بيت طاقة أهل المرحوم الأستاذ الشاعر شاذل طاقة وأبناء أخته السَّيِّد سعد البزاز والفنان التشكيلي عزام والدكتور فاتح والمقرئ هشام، تليها منطقة الخوابرة ومن أعلامهم سالم الخابوري، ثم تنزل بعد ذَلِك إلى باب البيض حيث الأغوات قَبْل انتقالهم إلى الموصل الجَدِيدة ومن رجالاتهم: يونس أغا والمرحوم جاجان أغا، وزيدان أغا، وطلال أغا. ومن هناك تتفرع الطرق إلى البدن ورأس الجادة، والطوافة، والمحطة، والباب الجَدِيد، والعكيدات.

نعود الآن إلى الجهة اليمنى من شَارِع نِينَوَى، لا بد أن نمر من جانب الحاج سلطان أبو الجرزات (ملك الجرزات) ومحله العامر بالجرزات المتنوعة وفي صدر المحل المرايا التي يزدان المحل بها جمالاً وسعة، ويقابله بيت العم حمدون محمود حديد (تاجر الأقمشة) الذي يشرف على شَارِع نِينَوَى. ثم نمر من جانب منطقة الشبيبة (نسبة إلى مقر الشبيبة في ذَلِك العهد)، وبيت المرحوم عبد القادر السَّيِّد محمود (والد نزار وأحمد وموفق ومظفر ومحمد) الذي عمره تقريبا 600 عام، وتم هدمه حالياً لإنشاء مستشفى للأطفال الخيري، ولكن الإجراءات القانونية من آثار ومقتربات الطرق والظروف الأمنية أدت إلى هذا التأخير مع العلم أن أصحاب البيت قد احتفظوا بكثير من الفرش (المرمر)

القَدِيمة لإعادة الرونق التُراثي القَدِيم عند إعادة البناء (كما ذكر ذَلِك ابنهم محمد المقيم في دبي حالياً). ومن الجدير بالذكر أن المغفور له عبد القادر سَيِّد محمود صاحب الأيادي البيضاء وأحد مؤسسي جمعية البر الإسلامية ومن أعضائها البارزين، ومقرها قرب باشطابيا في محلة الشفاء. كما ساهم في إنشاء الميتم الإسلامي (للبنين) وروضة البر الإسلامية قرب المستشفى الجمهوري (مستشفى الزهراوي التعليمي) والميتم الإسلامي (للبنات) في باب سنجار.



وأشرف على بناء جامع اليقظة الإسلامي مع المرحوم عبد الفتاح اللاوند الذي استغرق بناؤه خمسة أعوام، وتولت إنشاؤه جمعية البر الإسلامية مع عدد من الخيريين من أبناء الموصل. ومما يسر ويسعد أن ورثته (أولاده) ساروا على نهج والدهم وقاموا بعد وفاته بتشييد "مجمع عبد القادر السَّيِّد محمود الطبي الخيري" الذي يقدم خدمات مجانية إلى مَدِينَةُ الموصل والذي تم افتتاحه رسميا

عام 1994م، هذا بالاضافة إلى تشييد جامع القادر في حي الوحدة الذي افتتح بتَارِيخ 28 شعبان 1431هـ الموافق 2010/8/9م.

ثم يأتي بيت قَدِيم أيضاً (خربة) تعود ملكيته إلى امرأة مسنة (أم إبراهيم) أشتراه منها المرحوم عبد القادر في مطلع خمسينات القرن الماضي، ثم تم هدمه في أوائل تسعينات القرن الماضي وشيد محله "مجمع عبد القادر السَّيِّد محمود الطبي الخيري". ثم يلي مدخل خزْرَج. وعلى بعد 100- 150 متر من المدخل بيت دعدوش الصواف باتجاه رأس الجادة – أي إلى جهة اليمين وقد شيد من طابقين وفيه عدد كبير من الغرف والأواوين والطارمات الداخلية التي كانت تسمى في حينها (يازلغات) مسورة بمحجرات حديدية ليس فيها أي لحيم.



ثم يأتي بيت أحمد عبد الله عبد الباقي بركات العبيدي (يعرف باسم أحمد التتنجي)، كان لديه محل لبيع التبوغ والسكاير قرب الجسر العتيق، وأبناؤه هم:

- منير (أبو خالد) ويعمل معاون مدير كمارك نِينَوَى في زمن مدير الجمارك معاوية بن ناظم بك العمري، وهو والد صديقنا وزميلنا رضوان– أستاذ اللغة الإنكليزية والمقيم حاليا في أبو ظبي.
- عبد المعطي (أبو نجم) ويعمل تورنجي قرب قَصْر المطران.
- محمد نظير (أبو بسمة) ويعمل موظفا في الطرق والجسور.

ثم انتقل منزل أحمد التتنجي في الستينات من القرن الماضي إلى محلَّة الشفاء قرب بيت إسماعيل عباوي، على الجهف.

لنتأمل مدخل محلَّة خزْرَج من الجهة المقابلة عبر شَارِع نِينَوَى عند الركن الغربي باتجاه رأس الجادة، حيث محل فرحان القصاب الذي كنا نشتري منه اللحم وبجواره بقالة لبيع الخضراوات والفواكه. والركن الشرقي باتجاه السَّاعَة منزل يتبعه شَارِع فرعي عمودي على شَارِع نِينَوَى وهو مقابل مدخل محلَّة خزْرَج، يمتاز هذا الشَارِع الفرعي بأنه سوق شعبي متكامل، على جانبيه مجموعة دكاكين وأسواق وأفران، ويعد سوقاَ يوفر الاحتياجات اليومية كاملة.

لندخل إلى محلَّة خزْرَج، التي إن رغبت الدخول إلَيْها فإن المدخل سينحدر بك قليلا عن مستوى شَارِع نِينَوَى، ثم تنزل مستخدما الدرجات إلى باحة غير كبيرة تتفرع منها عدة مسارب وطرقات ومن جميع الاتجاهات، وقَبْل أن تدلف في أي اتجاه فإنه لا بد لك أن تتعرف على ما في هذه الباحة من معالم، فما أن تنزل من شَارِع نِينَوَى حتى يحاذيك إلى جهة اليمين (بيت زكو) وهم عائلة مسيحية خزْرَجية عريقة غادرت المنطقة منذ وقت غير قصير، يقابلهم من جهة اليسار دكان الأخوين شريف الهادي (أبو فيصل)، وأخيه محمد الهادي (أبو موفق)، ثم (الجايجي) أحمد الراشدي، تليه عَوْجَة بيت سَيِّد مرعي التي تتصل بحَمَّام العكيدات، حيث هناك بيت حسن السَّيِّد مرعي والد كل من: طبيب الاطفال المشهور هشام سيد مرعي والأستاذ الدكتور خليل

المختص بالهندسة الكهربائية في جامعة الموصل، ومن ثم ينتهي برأس الجادة حيث بيت أسير الموصل البطل الفريق الأوّل الركن سلطان هاشم أحمد الطائي (وزير الدِّفاع السابق).

لنعد إلى عَوْجَة سَيِّد مرعي ومن جهة اليمين، كان هناك سرداب يستخدم للتعليم الخاص من قِبَلْ الأستاذ القدير أحمد محمد علي الديري المتخصص بتعليم اللغة الإنجليزية للمراحل كافة، وكنا في الثالث المتوسط، حيث كثير من الطلبة يعانون ضعفاً في اللغة الإنجليزية، وكنت أنا واحداً منهم. وكان آنذاك أستاذ جليل آخر يدرِّس اللغة الإنجليزية خارج المَدْرَسَة (تعليم خاص)، هو الأستاذ بشير القطان (رحمه الله). ومن الجدير بالذكر أن التنافس بين مَدْرَسَة القطان ومَدْرَسَة الديري كان في أوج عظمته. لكنه كان بلا شك تنافساً شريفاً بناءً يتمثل فيمن يحصل على أعلى نسبة نجاح بين طلبته، أو أعلى العلامات. ومع اقتراب موسم الامتحانات الوزارية كانت الإعلانات تنزل إلى المدارس والمكتبات والأسواق، ويستعرض كل واحد قائمة بأسماء طلابه، ويقدم ملازمه وملخصاته وأوراقه. كان الديري يتربع على عرش محلَّة خزْرَج والمشاهدة وحَمَّام المَنْقُوشَة في حين أن القطان يتربع على عرش شَارِع الفَارُوق والسرجخانة ومنطقة الجامع الكبير.

وعودة إلى واجهة الباحة لنقرأ لوحة كتب عليها (مَدْرَسَة ابن حيان الابْتِدَائِيَّة) وهذه المَدْرَسَة كانت في العهد الملكي مَدْرَسَة (فيصل الثاني الابْتِدَائِيَّة)، وبعد ثورة 14 تموز 1958م أصبحت مخزنا للكتب تابعا لمديرية معارف الموصل وقد أزيلت في السبعينات وبنيت بشكلها الحالي، وهذه المَدْرَسَة تتوسط المنطقة فيسير إلى جانبيها الأيمن والأيسر طريقان طويلان. الأيمن يبتدئ بـ(جامع خزْرَج)، وهو من الجوامع القَدِيمة في مَدِينَةٌ الموصل أسس في القرن الأول للهجرة/ السابع الميلادي وقد جددت عمارته آخر مرة في منتصف الستينات (كما أتذكر)، وأشرف على ذَلِك المرحوم عبد العزيز النومة (متولي الجامع). يليه دار عزيز الدمّار أبو أمجد (مسيحي)، وهو بَنَّاءٌ ماهر أنجب أبناء تفتخر بهم الموصل في علمهم ونجابتهم، وإلى جواره أخوه سليم الدمّار وهو نقار بارع خلّف نقارا أمهر منه هو نوري الذي تجد روائع فنه في تشكيلات الحلان التي تغلف جامع اليقظة ومنارته في الموصل الجَدِيدة، وهذه الأسرة كانت تواجه دار صديقنا العزيز الدكتور حكمت الحلو. يلي ذَلِك بيت سليم البَنَّاء ثم بيت سعيد الحَلّاق وبيت مشي ومجيد المعلم (أبو حميد)، ثم بيت الشرابي، وهكذا يستمر الطريق إلى (سقاق العغيض) أي الزقاق العريض حيث كنيسة مار توما للسريان الأرثودوكس وكنيسة مار توما للسريان الكاثوليك ومَدْرَسَة الغسانية للبنين ومَدْرَسَة الغسانية للبنات (التي ذكرناها في الفصل

الثالث عند الكتابة عن منطقة السَّاعَة)، ومن هناك تتفرع الطرق أحدها إلى السَّاعَة والثاني إلى حَمَّام المَنْقُوشَة.

لنعد الآن إلى نقطة البدء لاستعراض بيوتاته على الجهة اليسرى منه، فبعد جدار المَدْرَسَة يأتي دار المرحوم عبد شمومة، ثم بيت شيت البصو (والعائلتان تختصان بصناعة السجائر المْزَبَّنْ) ثم دار أيوب البصو (مختار خزْرَج سابقا) ونايف البصو ثم دار الحلو، تليها دار فرج إبراهيم المضمد (أبو نوزت) ثم بيت الطالب أهل المرحوم بشير الطالب آمر الحرس الجمهوري لغاية 17 تموز 1968، وبيت يحيى أبو الراديوات (خبير المقام) وأخيه محمود، ثم بيت حاج أعضيب أهل العقيد محمد طيب وهو من قدامى ضباط الموصل المقابل لبيت الشرابي ثم بيت القس بشارة ثم (سقاق العغيض).

أما الطريق الثاني على يسار المَدْرَسَة، فبعد عَوْجَة بيت سَيِّد مرعي يأتي بيت نعيم البنا، ثم عَوْجَة بيت أسوفي المغلقة والتي كان فيها (دنك) للبرغل، وماكينة للطحينية، يقابله بيت الطالب الذي كانت تسكنه اثنتان من العجائز هما أختا حميد ومجيد الطالب، وبجوار العَوْجَة يسكن السَّيِّد محمود محمد الحسون، ثم فرن خزْرَج. وبعد هذه العَوْجَة تأتي عَوْجَة بيت حسين الحلو (بيت جد الدكتور حكمت الحلو) وفيها عدة بيوت، منهم بيت علي الطعان والد صديقنا الدكتور المهندس سعد علي الطعان (وهو حاليا مُلْحَقٌ ثَقَافِيّ في

ماليزيا)، يليها بيت الأخوين محمود الطعان، أبي العقيد صبحي الطعان وهو من ضباط الموصل اللامعين آنذاك وأخيه مخلف الطعان أبو ثامر الطعان، ثم بيت النقار عزيز بنانة (أبو صلاح) وبيت حساني، ثم عَوْجَة بيت عبد القادر المصري (أبو محمد طاهر ورياض) تستمر حتى تصل إلى منطقة (الزوريين) التي كان يسكن فيها أهل المهندس الميكانيكي عبد الإله يحيى الزوري (أبو عماد) وهو حاليا مهاجر إلى أمريكا، وتنتهي في رأس الجادة.

أما إن أردت الاستمرار في هذا المسار فسيواجهك بيت سَيِّد غائب النعيمي الذي يتصدرها ومن أبنائه حاجم وحازم المشهورين في العربات والطنابر التي تجرها الحصن والتي تعد من وسائل النقل الأساسية في ذَلِك الزمان. وهناك مفترق طرق: الأيمن يصعد إلى بيت حديد وبيت العقيلي ومنه تنزل إلى حَمَّام المَنْقُوشَة ثم شَارِع الفَارُوق، أما الأيسر فيبدأ بمسجد صغير مجاور لبيت ودكان المرحوم الياس والد المشرف التربوي والأستاذ القدير خزعل الياس الذي كان يدرسنا رياضيات في الإعْدادِيّة المَرْكَزِيَّة، ثم بيت صديقنا ضابط التجنيد غصوب غانم الصبحة الذي بعد إصابته في أحداث الشمال نسب إلى دائرة تجنيد الموصل، ثم نصل إلى مَدْرَسَة الْحَدْبَاء الابْتِدَائِيَّة وندخل محلَّة المشاهدة التي سنتناولها فيما بعد.

لنعد إلى نقطة البداية من حيث انطلقنا وباتجاه اليمين، بعد سور المَدْرَسَة فيأتي بيت صمّو البنا (أبو أيوب) أو ما كان يعرف ببيت غالي المقابل لعَوْجَة بيت حسين الحلو، ويليهم بيت عبد الله الأمين (أهل دعدوش الصواف وأخويه إبراهيم وذنون) ثم بيت عارف الغنام (أبو مؤيد) وأخيه حسن ثم بيت سليمان حامد العلي ثم عَوْجَة بيت القس (نسبة إلى قس كان يسكن في العَوْجَة) وأخيه وديع الموظف في جمارك الموصل.

ومن العوائل التي سكنت منطقة خزْرَج، حسب ما جاء في موسوعة الأستاذ أزهر العبيدي [7] هي: آل العباجي، آل شمومة، آل نورة، آل الأرويّح، آل براوي، آل بكر الحشو، آل القصاب (عبّو النجم)، آل ملا سليمان، آلمصطاوي، آل خزْرَجي، آل الصفّار، آل سباهي، آل حامد العلي، آل حسو، آل عبوطة، آل الفارس، آل الملاّ عمر (السَّيِّد محمود)، آل شرفا، آل سرحان، آل فتاح، أل حبيطي، آل بصّو، آل حسين الحلو، آل حمّو القصاب، آل الحوران، آل الحيّاوي ، آل عضيب الحمد، آل شعيب، آل شيتي، آل العرجة، آل شكرجي، آل جرجيس، آل السَّيِّدية، آل صفّاوي، آل الكرّو، آل الحفّوظي، آل رحّاوي، آل زيادة، آل الزيدان، آل السَّيِّد مرعي (حمّودي)، آل الكَلّوت، آل نومة، آل النعيمي، آل الرماوي، آل دخيل، آل طالب، آل الطعّان.

تتميز منطقة خزْرَج بشكل عام ببساطة تركيبها السكاني، وفطرة ساكنيها، ورغم أن فيها بيوتات غَنِيَّة وميسورة إلا أن الواقع المعاشي كان متوسطاً، وأغلب سكان المنطقة من الكادحين والحرفيين الذين أنجبوا نخبا ممتازة من ضباط ومهندسين وأطباء وأساتذة وموظفين في مختلف المراتب والوظائف. كما أن الواقع الديمغرافي الاجتماعي لمحلَّة خزْرَج يشير إلى تجانس فريد بين العوائل من المسلمين والمسيحيين، وبيوتهم تجاور بعضها البعض فالعَوْجَة التي كان يسكن فيها الدكتور حكمت الحلو كانت جهتها اليمنى بالكامل للمسيحيين يقابلهم في الجهة اليسرى بيوت المسلمين وكان الجميع يتعايشون دونما كلفة أو سلوك مصطنع.

أما الطابع العام لمهن المسيحيين في خزْرَج فهو البناء والنقر (الفغش والحلان) وتقطيعه وصناعة الأباريز والنقوش الجميلة عليه، أو في النجارة. أما مهن المسلمين فكانت متنوعة ويغلب عليها (الصنعة والكار) مثل صناعة السكاير.

يقول الدكتور حكمت الحلو عن ذِكْرَيَاته في تلك المنطقة: ولعل أجمل الأيام والليالي لدى سكان المنطقة وصغارها بشكل خاص في تلك الأيام الطيّبة هي (أعراس المسيحيين) وليس غريبا أن تدخل إلى كنيسة مار توما مثلا عندما يكون فيها (براخ) حتى تجد أن من بين الحضور مسلمين جاءوا فرحين

ومباركين للعروسين وأهلهما، أما (قعدات) الليل والأغاني فيتناوب على إحيائها كل شباب المنطقة من الطرفين ولكن أبهى ما في تلك الأيام هو تلك الألفة والمودة والجيرة العفيفة النقية.

محلَّة المشاهدة

تقع محلَّة المشاهدة إلى الغرب من مَدِينَة الموصل القَدِيمة. سميت بهذا الاسم نسبة إلى سكانها الأوائل من عشيرة المشاهدة. يحدها من الشرق محلَّة حمَّام المَنْقُوشَة، ومن الشمال محلة باب المسجد ومحلَّة الشيخ فتحي، ومن الغرب باب سنجار ومن الجنوب محلَّة خزْرَج.

يمكن الدخول إلى المحلَّة من اتجاهات عدة، سوف نبدأ من حيث انتهينا في محلَّة خزْرَج. فبعد عبور بيت سَيِّد غائب والمسجد الصغير وبيت الأستاذ خزعل الياس وبيت ضابط التجنيد غصوب غانم الصبحة تأتي عَوْجَة إلى جهة اليسار تؤدي إلى منطقة بيت الحلاوجي الذين كانت تزدحم عندهم صواني الراغبين بحَلاَوَة الخضر المزينة بالجوز واللوز وقطع الحلوى، وفي هذه المنطقة أيضا بيت المربي محمود حامد سليمان الطائي ثم يمتد هذا الزقاق إلى باب سنجار، وبعد العَوْجَة مباشرة، وعلى الركن الأيسر نشاهد مَدْرَسَة الْحَدْبَاء

الابْتِدَائِيَّة للبنات وهي بيت كبير يشبه القلعة له نوافذ تطل على العوجتين، ثم بيت البقال الحاج عثمان ودكانه المُجتزَأة من بيته، ومقابل الدكان كراج واسع للعربات والطنابر يتولى مسؤوليته الحاج عثمان. ثم تأتي مجموعة بيوت، ثم إلى جهة اليمين دكان عبد الرحمن عبد القادر الأسْوَد (مختار المحلَّة آنذاك) وإلى جهة اليسار طريق رئيسي (يبدأ من شَارِع الفَارُوق) وينتهي في باب سنجار ماراً بهذه النقطة، ثم يليه مباشرة بيت قاسم الياس خضير الأسْوَد (أبو رشيد) صاحب معمل ثلج الرشيد في باب سنجار. وسوف نثبت الإحداثيات عند دكان عبد الرحمن المختار، ونعدها نقطة الانطلاق.

الفرع الأوّل إلى جهة اليمين طريق طويل يتفرع إلى فرعين يوسطهما دار حمدي عبودي الحلو وأبناؤه: جاسم، وغانم، وسالم، وحازم، وعبد، وهاشم، وناهي (لديهم مشاغل لصناعة الأحذية في باب السراي) كنا نفصل عندهم أحذية العيد، وهو بيت ضخم واسع يتألف من طابقين، ويتصل هذا الطريق بمنطقة الكشاملة ثم شَارِع الفَارُوق. أول بيت من جهة اليسار هو بيت علي الصبحة، وأبناؤه هم: إحسان وبلال (جد أحمد الصبحة من والدته)، ثم يأتي بيت يونس آل غرير (أبو ذنون) ومنهم زوجته القوية الشخصية تستعين بها بيوت المحلَّة عند الشدائد اسمها خيرية (تغمدها الله بوابل رحمته). يقابلهم انعطاف الطريق الرئيس على شكل زاوية إلى جهة اليمين منها بيت شيت الكَلّوت ومدخل محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة التي مر ذكرها سابقاً.

لنعد إلى عَوْجَة بيت صبحة ونستمر باتجاه الكشاملة وننتهي في شَارِع الفَارُوق، يأتي إلى جهة اليسار"حوش الجِمال" وهو فناء واسع يستخدم لتربية الجِمال للمرحوم إدريس كشمولة، وخلفه بيوت الكشاملة سنذكرهم فيما بعد، لأن الأبواب الرئيسية تقع على الجهة الأخرى، ثم تأتي بيوت الأعرج وبيت صبحة وبابه من الخشب الصاج (أبو صفاقتين) الدخول إِلَيْه نزولاً عبر درجتين ثم تأتي قنطرة طويلة مفتوحة على حوشين واسعين، كل واحد يضم عدة بيوت تعود إلى الأعرجي والصبحة، أذكر منهم بيت نجم عبد الله الصبحة، وأبنائه الأخ أحمد الصبحة وضياء ونبيل، الذي كان بيتهم على العَوْجَة الرئيسة ويحوي على بلكونات، ثم بيوت الأخوة عدنان وقحطان وراكان (يعملون صياغ في سوق باب السراي) وعدد من عوائل الأعرج الذين تربطهم القرابة والمصاهرة.

مقابل بيوت الأعرج والصبحة إلى جهة اليمين بيت تسكنه عائلة كردية، وأبناؤه حسن وحسين وحميدو (المطيرجي) وهو شاب معوق يتواجد على السطح طوال النهار يربي الطيور وبيتهم مجاور لبيت جدي أحمد كشمولة من الجهة الخلفية. ثم تأتي عَوْجَة بيت عبود (عَوْجَة مغلقة) في صدرها (بيتنا) بيت جدي المرحوم أحمد داؤود كشمولة (مر ذكره سابقا) وهذا الدار له بابان، حيث الباب الرئيسي يطل على محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة. في عَوْجَة بيت عبود، من جهة اليمين بيت خربة على شكل سرداب يتم النزول إِلَيْه عبر درجات،

يحوي غرفة واحدة تسكنه امرأة متدينة لم تظهر أبداً وتعيش على المساعدات اسمها خديجة. ثم بيت رشيد عبود ومن أبنائه: المرحوم موفق الذي توفي وهو شاب في المَدْرَسَة بسبب مرضه، ومحمد خيري (موظف في سمنت بادوش)، وأخوه محمد صبري (لديه محل كماليات في السرجخانة). ثم بيت محمود عبود (أبو ميسر) الذي هاجر إلى بغداد بعد ثورة الشواف مباشرةً، فسكنت في المنزل عائلة من بني طيّ (الطائي) من أبنائها: غانم وحازم.

ونستمر باتجاه شَارِع الفَارُوق، حيث تأتي إلى جهة اليسار، جوار بيوت الأعرج، مقبرة لأهل المنطقة، أي أن بيوت الأعرج والصبحة تقع ما بين حوش الجمال والمقبرة، وكنا صغاراً نقفز من المقبرة وندخل إلى بيت صبحة لنلعب مع من هم من جيلنا. مقابل المقبرة يأتي بيت سعد الله آل مَيّالة (أبو غانم) وأخيه الأستاذ محمد طيب آل مَيّالة (والد طبيب القلبية المعروف جاسم محمد طيب). ثم تأتي عَوْجَة بيت مَيّالة وتسكن فيها مجموعة من العوائل أذكر منهم الحاج عبد العزيز آل مَيّالة.

هنا أتذكر جيداً، أننا كنا شبانا في المَدْرَسَة وخلال العطلة الصيفية كنا نعمل وندخر مبلغاً من المال ننفقه خلال السنة أثناء الدراسة. من بين الأعمال الصيفية التي كنا نمارسها هي تفريغ حمولة الشمزي في الكب (علوة الشمزي والبطيخ في الجانب الأيسر عند نهاية جسر نِينَوَى الحديدي)، حيث كنا: أنا

وغانم سعد الله (الذي وقع في الأسر خلال الحرب العراقية الإيرانية ثم عاد بعد انتهاء الحرب) وغانم الطائي وغانم شيت الكَلّوت نتوجه في الصباح مشياً على الأقدام من محلَّة المشاهدة باتجاه السرجخانة ونقطع شَارِع نِينَوَى ثم نعبر الجسر الحديدي (العتيق) ونصل إلى الكب في الصباح ونعمل حتى المساء؟



يتوزع العمل بحيث كل أثنين يستلمان سيارة (لوري محمل بالشمزي) ذات النوعية الكبيرة الأخضر الغامق وعدد الحمولة (100) شمزية تسمى (زوج)، كل واحدة يزيد وزنها على 10 كغم وقد يصل إلى 15 كغم وأحياناً (20) كغم، وغالبيته من إنتاج مزارع (سالم نامق) في السلامية مقابل حَمَّام العليل. نتولى تفريغ الحمولة (نفض السيارة) بطريقة فنية بحيث يصعد أحدنا إلى أعلى السيارة والآخر في الأرض يستلم ما يرمى من السيارة بطريقة فنية سريعة

وبدون خسائر، ولكن تحتاج إلى لياقة بدنية وممارسة. بعد نفض السيارة نستلم أجورنا وهو أفضل شمزية في السيارة، ونتولى بيعها بسعر 70 فلس ويصل السعر أحياناً إلى مئة فلس. كنا نعود إلى البيت مساءً منهكين متعبين ولكن كل واحد منا قد حصل على أجور يومية قد تصل إلى دينار (يوم كانت للدينار قيمة وهيبة) ومعه شمزية كبيرة نحملها على الأكتاف إلى البيت؟ هكذا كنا نكافح من أجل الوصول إلى الأفضل ونعمل على تأمين مصاريف الدراسة في الشتاء، على الرغم من أن أهالينا لا يترددون عن تسديد مصاريفنا كاملة ولكن كنا نشعر بالنقص إن لم نحصل على تلك المصاريف بعرق جبيننا.

ويأتي بيت محمود آل عبار، وأبناؤه: الدكتور فيصل (خريج تركيا)، ونواف، وسعدون، ونزار، وأبنهم الأكبر دحام (قصاب) له محل في باب سنجار. ثم تأتي مجموعة بيوت وعَوْجَة القصابين (القصاصيب) إلى جهة اليسار تؤدي إلى محلَّة باب المسجد (منطقة حَمَّام الزوية)، في ركن العوجة بيت عزوز الجحيشي وابناؤه: جاسم وحامد ومحمود وملا قاسم، واجتزأ من البيت دكان محمد التمر (أبو راكان) قَبْل انتقاله إلى منطقة الساعة، ثم بيت درسك، وابناؤه: محمد وأحمد وخالد وعزيز، ثم بيت عزيزة بنت عزو (أم سالم وغانم)، ثم بيت محمد (سائق سيارة قلاب لنقل مواد البناء)، كما كان يسكن الأخوان: كريم (دلال في سوق المواشي) وأبناؤه: عبد الخالق (عبد الأعرج) وعبد الباسط وعبد القادر وعبد المنعم وفالح، وحسين وأبناؤه: طالب وبلال

(احد أبطال رفع الاثقال) وهلال. ثم يأتي بيت كبير يسكن فيه ثامر القصاب وأخوه يونس المعلم، ثم يأتي مسكن القصابين الأخوة الثلاث أولاد عزيز، وهم: عبد الجبار (الملقب جبوري) وعبد الستار (الملقب ستوري) وعبد الوهاب (الملقب وهبي)، ومسكن بيت اسماعيل المنقل وأبناؤه: حجي وخليل ونذير وغانم وهاشم، هنا يسكن بيت حبوبة وابناؤها: سالم وغانم وسعيد وطلال، كانت عمتهم امرأة مسنة تقية ورعة تصوم الدهر كله، اسمها كَطْمَة تتقرب إِلَيْها النسوة من أجل (الرُقْيَة) وينسب الناس إِلَيْها أنها تعالج الدَمَارْ (التشنج الحاصل في شرايين الجسم واوردته) وتزيل التشنج عن طريق مسكه بيدها المباركة وبعد فترة زمنية قصيرة يزال التشنج بمسكة واحدة، حيث ينتقل إلى يدها المباركة ويختفي نهائيا بعد بضع دقائق.

ونكون قد وصلنا بيت المرحوم محمد داؤود كشمولة الذي سنتناوله من الجانب الآخر حيث نكون وقد وصلنا نهاية حدود محلة المشاهدة والدخول في محلة باب المسجد (منطقة حمام الزوية). الآن في طريق عودتنا يأتي مسكن بشير عبد الله السنجري (الدلال في سوق المواشي) وأبناؤه هم: محمد والشهيد فارس وعزام والطبيب أحمد، ثم بيت أحمد العزيز السنجري وابناؤه هم: محمد وطه ومعن، ثم نصل بيت الشهيد عباد السنجري.

لنعد ونكمل مسيرتنا، حتى نصل إلى شَارِع الفَارُوق: إلى جهة اليسار يسكن عدد من عوائل آل سنجري، بدءاً بعَوْجَة بيت علي آل يونس، التي فيها منزل الشهيد عبّاد السنجري (أبو طلال وطارق) ذَلِك المنزل على انحِدار مرتفع ويمكن الوصول إِلَيْه صعودا بدرج وهو منزل ضخم يشبه القلعة وله بابان اثنان، وفي العَوْجَة نفسها يسكن ناصر السنجري (أبو عبد الوهاب) وبيت حاج يونس السنجري، ثم ننحدر قليلاً لنصل إلى بيت ركن يسكن فيه الأخوان أحمد وحامد النيلة (قصابون). ثم تأتي عَوْجَة السناجرة وهي عوجة مغلقة، يسكن فيها من جهة اليسار بيت اسماعيل الجحيشي ثم بيت فاضل كشمولة والد كل من الدكتور محمد فاضل وأخيه إبراهيم، ثم بيت أنس ناصر كشمولة (ضابط شرطة)، ثم بيت محمد الحسن (بيت أبو الفقارا) وبيت جهاد الصائغ (أبو محمد)، ثم بيوت السناجرة ومنهم: الشيخ إسحاق جار الله السنجري (إمام مسجد أم التسعة)، وبيت عبد المنعم محمد علي طه السنجري (أبو محمد علي، وإحسان، وعبد الرزاق، وداؤد)، وبيت أحمد السنجري (أبو خالد وعبد العظيم)، وبيت خالد السنجري، وبيت كل من عبد الغفور السنجري (صائغ) وأخيه عبد الكريم السنجري (نجار محله على شارع الفاروق).

أما إلى جهة اليمين فتسكن مجموعة من عوائل آل كشمولة، بدءا ببيت مصطفى أحمد كشمولة (الملقب بيت نيلة)، وابناؤه هم: أحمد (صائغ) وعبد الواحد (أبو لقمان) ثم انتقلوا إلى عَوْجَة حمام المنقوشة والمنزل الآن عبارة عن

أنقاض ومتروك، ثم تأتي عَوْجَة بيت نجم (مغلقة) يسكن فيها: عبد الرحيم كشمولة (أبو غازي) كان موظفا في شركة نفط عين زالة، ومحمد نجم كشمولة وأخوه حامد نجم، وأبناؤه: جاسم (موظف في البلدية) ونوفل، ثم بيت عبد اسماعيل كشمولة وابنه هشام (أبو نبيل)، وبيت أمين السعيد وأبناؤه هم: صالح (قصاب) وغانم (قصاب) وصبحي (قصاب) وعادل (قصاب) ومحمد (قصاب) ونجاح (ضابط) وفلاح (ضابط). ثم نخرج من عَوْجَة بيت نجم فينحدر الطريق نزولا، وإلى جهة اليسار بيت نجيب عبود (أبو عبد الله). عندئذٍ نصل إلى بيت المرحوم إدريس عمر كشمولة (الذي استشهد في ثورة الشواف مع أبنائه كل من محمد خيري والشاب فاروق الذي كان طالباً في المَدْرَسَة)، وأبناؤه هم: هاشم الذي انتقل إلى حَمَّام العليل، وزغلول كشمولة (أبو سعد) وخليل كشمولة (أبو منهل) وخالد كشمولة (أبو فراس)، وبعد أن تركوا الدار وتفرقوا إلى حي الثورة وشارع الفاروق في أول ستينات القرن الماضي، أشترى البيت محمد التمر (أبو راكان). ثم يأتي بيت خليل السنجري، وبيت اسماعيل السنجري، وينتهي الطريق عند جامع حَمَّام المَنْقُوشَة (مسجد سَيِّد محمد – الذي مر ذكره في الفصل الثاني وسنتناوله بالتفصيل في الفصل السابع)، حيث ينشطر الطريق إلى فرعين، الأيمن يمر من بيت حسن كشمولة ثم حَمَّام المَنْقُوشَة وينتهي بشَارِع الفَارُوق. والأيسر يمر من بيت الشاعرة الدكتورة بشرى البستاني وبيت

حازم الحَلَّاق زوج الممرضة شاهزنان ثم يصل إلى منطقة حَمَّام الزوية وحضيرة السادة.

لنعد إلى نقطة الانطلاق (الإحداثيات)، بدءاً من دكان عبد الرحمن المختار صعوداً باتجاه الشيخ فتحي، يأتي أولاً إلى جهة اليسار بيت قاسم الياس خضير الأسْوَد (أبو رشيد) ثم مجموعة بيوت إلى جهة اليسار. أما إلى جهة اليمين فنجد بيت كشمولة الواسع الكبير شبيه بالقلعة، عندما تدخله يواجهك إيوان واسع جداً يتوزع إلى ثلاثة بيوت، وهي:

- بيت إدريس محمود كشمولة، الذي استشهد في ثورة الشواف مع ابنه أحمد (طالب في كلية الشرطة قدم إلى الموصل في اجازة يوم استشهاده)، وأبناؤه هم: عزيز كشمولة (أبو محمد وأحمد)، وعدنان (أبو سيف)، والمرحوم زهير (توفي بحادث وهو شاب).



صورة الشـهيد إدريس كشمولة

- بيت المرحوم عبد الكريم محمود كشمولة الذي استشهد أيضاً مع أخيه إدريس في ثورة الشواف، وأبناؤه هم: عصمت (أبو علي)، وحكمت (أبو جمال)، وأحمد (أبو صبحي)، ومحمد (أبو نوزت)، وطارق (أبو زياد).
- بيت المرحوم شيت محمد طه كشمولة الذي استشهد هو أيضاً مع أبناء عمه إدريس وعبد الكريم، وأبناؤه هم: المرحوم عبد المنعم (كان يدرس الطب في ألمانيا وعاش في الموصل أعزب)، والمرحوم ميسر (أبو ربيع)، ومحمد خيري (أبو مهند).

ومن الذكرَيَات المحزنة التي وقعت أمام عيني وأنا آنذاك صبي صغير في عام 1959م (أحداث الشواف) أنني شاهدت مجموعة من المجرمين والحاقدين كالذئاب المفترسة، بعضهم يرتدون الزي الكردي ويتحدثون لغتهم وإن كان هذا العمل لا يرضي الغالبية الكردية، يحملون الحبال والسكاكين والسواطير ويهاجمون ذَلِك البيت في أحد أيام رمضان المبارك، ليصطحبوا معهم قسراً الشهيد إدريس (وهو رجل مسن) وابنه الشاب أحمد، نحو جهة مجهولة (ساحة القتل)، وكان رحمه الله لحظة دخول الذئاب الوحشية إلى البيت يتوضأ وهو بملابسه الداخلية (السروال والصدرية)، ولم يسمحوا له حتى بارتداء الزبون! كانت أياماً مؤلمة حزينة لن انسى مشاهد القتل والسحل التي ارتكبتها تلك المجموعة الحاقدة على البشرية والإنسانية. كما أتذكر أيضاً كيف أن أحد الحاقدين أرشدهم نحو بيت جدي أحمد داؤود كشمولة وخالي محمد وجيه اللذين كانا متواجدين في البيت وكنت معهم، وإذا بمجموعة من المجرمين يدخلون البيت وما أن شاهد أحدهم خالي محمد وجيه حتى تحدث إلى عصابته باللغة الكردية (سمعته يقول كاكا وجيه) وانصرفوا دون أن يؤذونا. وقد علمت من خالي أن هذا الرجل كان يعمل صباغ أحذية في منطقة السَّاعَة ويتردد كثيراً على مقهى السَّاعَة (العمال) العائدة لجدي أحمد كشمولة (وقد تناولنا ذَلِك بالتفصيل عند الحديث عن منطقة السَّاعَة) وكان مشرداً وغالبية الأيام ينام ليلاً في المقهى. وهكذا فان موقف خالي الطيب من هذا الرجل تشفع له ولجدي

وأنقذهما من موت محقق؟ وبعد مغادرتهم بيتنا، تبعتهم وشاهدت أفعالهم المشينة التي لا زالت راسخة في ذهني تداهم ذاكرتي بين فترة وأخرى مع الأسف الشديد.

ما زلت أتذكر جيدا المرحوم إدريس كشمولة وهو معلق على عمود كهرباء في ركن شَارِع الفَارُوق، ويقف إلى جانبه مجرم حاقد وبيده الساطور ينادي "الكيلو بعانة". رحم الله شهداء الموصل الأبرار في أم الطبول والدملماجة الذين قضوا في شوارعها سحلاً وتمثيلاً وتنكيلاً.

دعنا نخرج من بيوت آل كشمولة الثلاثة ونتوجه إلى محلَّة الشيخ فتحي، عندها نمر من جانب دكان حسون النعيمي (الملقب حسون الأعضب، حيث يسمى بذَلِك لأن ذراعه قطعت في حادث صعق كهربائي أثناء خدمته في الجيش العراقي)، وأبناؤه هم: نزار ونكتل وحسان ومحمد، لقد كان رجلاً رائعاً وإنساناً وديعاً، وكنا نشتري من دكانه مشروبات غازية منعشة (مشن وفانتا ناومليت) وكانت دكانه محطة استراحة لنا عند عودتنا من الإعْداديّة المَرْكَزِيَّة فكثيرا ما كنا نسلك ذَلِك الطريق. ثم يأتي دكان الشيخ أمين البقال، وبيت السَّيِّد محسن القصاب (قصاب متجول) الذي كانت عربته لبيع اللحوم مجاورة لبيته، ثم تتفرع العَوْجَة إلى ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأيمن ينتهي بتفرع أيضاً، الأيسر ينتهي في محلة الأحمدية (محلة الْيَهُود)، والأيمن ينتهي في منطقة حَمَّام الزوية ويمر من بيت زكي الحداد المعروف في صناعة الشبابيك والأبواب من الحديد ويقابله بيت محمود مسطاوي وابناؤه هم: عبد الرحمن وعبد اللطيف وحميد وعبد الكريم، ثم تأتي عَوْجَة مغلقة سكن فيها جبار الأسود (قصاب) وأبناؤه: فوزي وخيري ونضال. ثم يأتي منزل كبير تعود ملكيته إلى حسن الهبو، سكن فيه خضر (أبو عبود) المعروف باسم بيت ردودة، وأبناؤه: عبد وشهاب ومحمد. ثم يأتي دكان يونس الشيخ (أبو ذنون) البقال، وهي مجتزأة من بيت حسن الهبو، ويقابلها بيت محمود حياوي ودكان عبد المعين محمود حياوي (بقال) المجتزأة من البيت. ثم يأتي بيت سعدية الذي هو جزء من بيت حسن الهبو، وبيت رحماني (أبو غانم وهاشم). هنا قد وصلنا بيت عمي المرحوم محمد داؤود كشمولة (صاحب مقهى البلدية المجاورة للجسر العتيق)، وأبناؤه: دريد (ضابط متقاعد ومحافظ نِينَوَى سابقاً) (أبو محمد)، والشهيد زهير (أبو عمر وأحمد)، والمرحوم ليث (نفذ فيه حكم الإعدام في العهد السابق لأسباب سياسية وكان شاباً يافعاً)، والمرحوم عبد الغني (أبو علي) صاحب مكتبة قرطبة على شَارِع الفَارُوق سابقاً ثم محل أصباغ الفَارُوق، والعقيد عبد العظيم (أبو شداد) الذي زودني بالمعلومات عن هذه المنطقة، وهم جميعاً أخوال أولادي. ومقابل بيتهم كان يسكن الحاج داؤد التتنجي، وأبناؤه: الدكتور الحاج إدريس (طبيب مشهور في الموصل)، وحازم

(معلم متقاعد)، ولقمان، ومؤيد. ثم بيت الأفندي وأبنائه المعلمين التربويين: يونس وذنون وبشير، ثم تأتي عَوْجَة بيت الصفار التي يسكن فيها: شكر ومحمود وغانم وحازم، وكان يسكن هناك بيت سَنِية الخياطة، أم: اسماعيل وخليل وحكيم، ومقابلهم بيت نوح النداف وداخل البيت سرداب يستخدمه لندف القطن وعمل الإلحافات (الإفراشات والجودريات).

لنعد إلى دكان حسون (الأعضب) ونسلك الاتجاه الشمالي الذي يؤدي إلى القباب الثلاثة ثم محلَّة الشيخ فتحي ومرقده حيث يطالعك إلى جهة اليسار بيت المرحوم جاسم حلة (أبو هاشم وحاتم) الذي أعدم عام 1963. ثم تأتي مقبرة الكشاملة المدفون فيها جدي أحمد، ومقابر أخرى تعود إلى المنطقة، ثم نصل إلى باحة المشاهدة، أي منطقة الثلاث قبب (كبب)، حيث الباب الخلفي لجامع الإمام الباهر الذي يطل على باحة المحلَّة، ومن أشهر من تولى الإمامة والخطابة في ذَلِك الزمن الملا عمر، رجل عالم وفقيه كبير، كريم العين، ثابت على دينه وقول الحق في شتى الظروف.

ثم مقابل الباب الخلفي لجامع الإمام الباهر وإلى جهة اليمين يقع ضريح يسمى (أبو الحواوين) تطوف فيه الدواب المريضة طلبا للشفاء ببركة صاحب الضريح، لا يُعلم على وجه اليقين صاحب هذا الضريح وأن كانت الأحاديث تدور على أنه صحابي جليل. وبجوار الباب الخلفي للجامع إلى جهة اليسار

يسكن حمادة حمراوي وابنه لقمان. ثم نستمر باتجاه اليسار فتأتي مقبرة ثم مسكن بقية عائلة آل حمراوي، منهم الشيخ المهندس محمود شكر حمراوي وإخوانه محفوظ ومحمد وأحمد ولؤي وقصي وأبي، والمربي علي حمراوي وعبد حمراوي والشهيد جسام عبد حمراوي والمهندس أيمن علي حمراوي والمهندس محمد علي حمراوي والمهندس حكيم لقمان الجميلي.

ثم يأتي حوش الجمال يقابله مزار يقال له "السفير" ويلفظ من قِبَل بعض سكنة المنطقة (آل سفين)، وباتجاه اليسار، إذ أن الطريق عبارة عن دوران حول القبب الثلاث، يأتي بيت جرجيس أبو الفشافيش، ثم مزار أبو الحواوين. وعندئذٍ يأتي طريق يؤدي إلى ملجأ الفلسطينيين (الذي أزالته مقتربات الجسر الخامس)، وينتهي في الإعْدادِيّة المَرْكَزِيَّة من جهة اليمين أو الإعْدادِيّة الغربية (سابقا) من جهة اليسار، قرب باب سنجار.

أما الاتجاه الثالث (الغربي) فيمر من عَوْجَة كان يسكن هناك بيت عبد الله حسين (الملقب بالحسو) مرعي آل غرير، وأبنائه: الدكتور عبد اللطيف الحسو أستاذ الجيولوجيا في جامعة الموصل، وجمال الحسو وعبد الوهاب الحسو، وتوصل العَوْجَة إلى بيت سَيِّد توحي.

لنعد إلى منطقة الانطلاق دكان عبد الرحمن المختار: إلى جهة اليسار، حيث الطريق الرئيسي الذي يؤدي إلى باب سنجار ويمر من المناصرة وبيت

سَيِّد توحي، تدعى عَوْجَة سَيِّد توحي. على هذا الطريق يسكن المرحوم عبد الرزاق عبد القادر الأسْوَد الملقب بالطحان (أبو عبد الستار) وأخوه عبد الرحمن عبد القادر البقال (مختار المحلَّة) الرجل التقي الورع الذي نال حب عوائل المنطقة جميعها وحصل على ثقتهم، كان يحضر إلى البيوت ليأخذ الحنطة المغسولة على ظهر حماره الأبيض ليطحنها في مكينة الطحين (لصاحبها عبد القادر الأسْوَد) المجاورة لمعمل ثلج الرشيد (لصاحبها قاسم الياس) على الطريق نفسه، ويعود بها في المساء. كما يسكن أيضاً بيت ملاّ توحي، وهم أبناء الملاّ فتحي بن جمعة بن صالح، منهم: العميد الركن غانم خضر ملاّ توحي، والعميد إدريس خضر الملا توحي، واللواء نايف سالم ملاّ توحي، وعبد السلام ملاّ توحي (الملقب برجس) الذي هو أيضا يعمل طحانا وينقل الحنطة من البيوت إلى ماكينة الطحين ليطحنها ويعود بها، وأخوه عبد النافع.

كما يقع على الطريق نفسه بيت السَّيِّد توحي (من أبناء السَّيِّد فتحي) وهم من السادة المشاهدة، وأسرتهم دينية عرفوا بالرقية على مرض يعرف بالمخبّث، منهم: السَّيِّد علي السَّيِّد توحي، والحاج هزاع السَّيِّد توحي، والسَّيِّد حمدون مصطفى السَّيِّد توحي، والسَّيِّد مهيدي صالح السَّيِّد توحي، والمربي حاجم السَّيِّد توحي.

وعلى الطريق نفسه يسكن آل مصطاوي وهم من السادة المشاهدة أيضاً، منهم: العميد المهندس طه سوادي طه المشهداني، والرائد المهندس أحمد طه سوادي، والضابط محمد طه سوادي، والضابط زكريا طه سوادي، والمربي هيثم طه سوادي، والأستاذ زيد طه سوادي، والنقيب علي محمد سوادي. ثم بيوت آل المناصرة، منهم: الحاج حازم السَّيِّد حامد، الشيخ حسين الشيخ محمد المنصور المشهداني، ومحمد يونس طه المشهداني، واللواء محمد نوري حمادي، والدكتور صبحي حمادي، والدكتور فارس حمادي، والعقيد المهندس حسام الدين حمادي. وكذَلِك تسكن عائلة آل خضير الأسود، وهم أبناء خليل بن محمد بن خضير الأسْوَد، منهم المختار خليل محمد خضير الأسْوَد والمزارع ذنون خليل المختار والموظف جار الله خليل المختار واللواء الركن نعمة الله خليل المختار وعميد الشرطة عبد المحسن خليل المختار (مدير الشرطة العام سابقا) الذي كان ضابطاً يافعا يرتدي زي الشرطة ويمر من أمام بيتنا ومسدسه ظاهر للعيان (كنت معجبا بطريقة سيره)، والخطاط عباس الطائي والتاجر الياس خضير الأسْوَد وعبد القادر (الملقب عبد) صاحب مكينة طحين وقاسم الياس خضير صاحب معمل ثلج الرشيد وعبد الرحمن عبد المختار واللواء الركن عبد الكريم عبد الرحمن الطائي وعبد الرزاق عبد الطحان والمربي عبد الستار عبد الرزاق الطحان (زميلي في المَدْرَسَة) والشهيد العقيد طارق حميد الطائي والعقيد الركن محمد حميد الطائي.

كما يسكن أيضاً بيت جاليخ، منهم: ياسين طه الجاليخ، وأحمد إسماعيل الجاليخ، وحميد عبد الله الجاليخ شيخ الفلح (شيخ الفلاحين)، وقادر عمر الجاليخ، والمربي طارق باهر الجاليخ، وأخوه الدكتور عامر باهر الجاليخ، والمربي فاضل ياسين الجاليخ، وسبهان عبد الهادي الجاليخ، وعبد الغني يحيى الجاليخ. كما يسكن في المنطقة نفسها بيت آل جادر، ومنهم: الحاج جادر سلطان (صاحب مطحنة)، والعميد ذنون يونس أحمد الجادر، والعميد محمد سعيد محمود الجادر، والمربون: محمد نوري الجادر ومحمد طاهر الجادر، ومحمد زكي الجادر، وعبد القادر الجادر، والدكتور سالم محمد سعيد الجادر، والدكتور بشار محمد زكي الجادر، والدكتور محمد ذنون الجادر، وعمار محمد زكي الجادر (مختار حي المثنى والْحَدْبَاء)، والرائد سنان محمد سعيد الجادر.

وسكنت أيضا عائلة آل العباجي ومنهم الدكتور فارس العباجي (عميد كلية الصيدلة وصاحب براءات الاختراع العديدة)، ثم نصل إلى منطقة الكصيل حيث تسكن هناك أسرة بيت سْعَيِّدْ (وأفرادها مشهورون بنقش الشراشف واللحافات وتطريزها)، ثم يأتي بيت آل غرير التي يسكن فيها صابر الغرير، وأبناؤه: الصحفي والمهندس محمد فوزي صابر، والدبلوماسي راكان صابر، والدكتور ثامر صابر (مهندس ميكانيكي)، والدكتور جمال صابر، وعامر

صابر، وعقيد الشرطة أحمد حسين يونس آل غرير. وينتهي الطريق الرئيسي في باب سنجار، ماراً بجانب معمل الطحين ومعمل ثلج الرشيد.

وسكن في محلَّة المشاهدة أيضاً: آل ذنونة – هم أبناء محمد ويونس ابني اسماعيل بن يونس آل ذنونة، انتقلوا إلى سنجار في مطلع القرن العشرين لأسباب تجارية وعادوا في مطلع السبعينيات، منهم التاجر محمد يونس الذنونة وأولاده جاسم وحازم وقاسم واسماعيل وأبناء عمهم صبري يونس الحاج زكي والحاج طاهر والحاج غانم والحاج حازم باعة الأدوات الاحتياطية المستعملة للسيارات والضابط ماهر جاسم الذنونة والمزارع حازم الذنونة والموظفون في الكمارك طلال حازم الذنونة وقاسم الذنونة واسماعيل الذنونة والدكتور لؤي اسماعيل الذنونة والدكتور نواف اسماعيل الذنونة والشيخ الدكتور فواز اسماعيل الذنونة والأستاذ المساعد الدكتور محمد اسماعيل المشهداني.

من العوائل التي سكنت محلَّة المشاهدة، حسب ما جاء في موسوعة الأستاذ أزهر العبيدي [7] هي: آل كشمولة، آل أسود، آل الأعرج، آل الأعزب، آل البكر، آل جاليخ، آل الجاويش، آل چبان، آل الحاج جادر، آل الحافظ ، آل الحامد، آل الحبّو، آل حمراوي، آل الحسو، آل الخياط، آل الرحاوي، آل السليم، آل السنجري، آل شريف أفندي، آل الشيخ عبّار، آل الصبحة، آل الطائي، آل العبايجي، آل العتّاز، آل الفارس، آل الكَلَوْ، آل

متعب، آل محمد الاسماعيل، آل الحمّاوي، آل الرحّاوي، آل صوفي، آل حسين العبد الله، آل العمر، آل الناصر، آل ملاّ توحي، آل المؤمن، آل مَيّالة، آل الميلاجي، آل هزاع، آل المشهداني، آل الافتيحات، آل البنّا، آل حسين الناصر، آل حماشي، آل الرفاعي، آل زمّو، آل السَّيِّد فتحي، آل مناصرة، آل مصطاوي، آل شوكة، آل الشيخ جادر، آل الملا حسين، آل وهب اللماع، آل النجار، آل ذنونة.

تعد محلَّة المشاهدة من المحلَّات العريقة في الموصل وغالبية سكانها من العرب المسلمين، ومن أهم معالمها: وجود جامع الإمام الباهر، وجامع المشاهدة، وكذَلِك مرقد أبو الحواوين، ومرقد الشيخ منصور، ومرقد الشيخ إبراهيم، ومرقد الإمام الباهر، ومعمل طحن الحبوب، ومعمل ثلج الرشيد.

شَارِع الفَارُوق القَدِيم (الجنوبي)

سنتناول في هذه الصفحات وصف شَارِع الفَارُوق خلال العقدين الخامس والسادس من القرن الماضي أي خلال المدة (1940–1960). وحيث أن شَارِع الفَارُوق يمتد من دورة باب الجَدِيد إلى المستشفى (المستشفى الملكي سابقاً ومستشفى الزهراوي التعليمي حالياً) وينقسم عند تقاطعه مع شَارِع نِينَوَى (عند منطقة السَّاعَة تحديداً) إلى قسمين:

القسم الأوّل: من الباب الجَدِيد مرورا بمنطقة (شهر سوق) وصولاً إلى دورة السَّاعَة إذ يسمى هذا القسم بشَارِع الفَارُوق القَدِيم (الفَارُوق الجنوبي) الذي افتتح يوم السبت في الاول من محرم، الموافق 1946/11/24م بعد تبليطه والانتهاء من انجازه، وفي الساعة 3 ونصف عصراً، تم افتتاحه من لدن متصرف اللواء (مصطفى اليعقوبي) وبحضور عدد من المتصرفين السابقين للموصل، وألقى كلمة الافتتاح مدير البلدية (خير الدين العمري). بلغ طول هذا الجزء (800) متر وعرضه (20) مترا وبكلفة بلغت جمعا (74) ألف دينار ونيف، واستغرق العمل تسعة أعوام.

القسم الثاني: يبدأ من دورة السَّاعَة مروراً بحضيرة السادة إلى نهاية دورة المستشفى، ويسمى بشَارِع الفَارُوق الجَدِيد (الأوسط والشمالي)؛ حيث بدأ العمل به عام 1948م وانتهى كاملاً عام 1950م، ويبلغ طوله 1575م. والذي سنتناوله في الفصلين القادمين وعلى مرحلتين.

سمي هذا الشَارِع بهذه التسمية "شَارِع الفَارُوق" تيمناً بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (عمر الفَارُوق). ويعد من الشوارع المهمة في الموصل وشريانها الرئيس إذ يتصف باستقامته ويكتسب أهمية تَارِيخية وجغرافية واجتماعية واقتصادية وسياسية.

في هذا الفصل نتناول شَارِع الفَارُوق القَدِيم (القسم الجنوبي) في منتصف القرن الماضي، بدءاً من دورة السَّاعَة وانتهاءً بالباب الجَدِيد، ثم نعود مروراً بشهر سوق إلى نقطة الانطلاق (دورة السَّاعَة).

بادئ ذي بدء، علينا أن نوضح مسألة مهمة جداً وهي أننا سنتناول شَارِع الفَارُوق القَدِيم والمعالم التُراثية التي تقع على الشَارِع من بيوت قَدِيمة ودكاكين ومساجد وغير ذَلِك. كما نود الإشارة إلى أن هناك كتابات تلتقي مع كتابنا هذا منها:

1. كتاب "**محلَّة الباب الجَدِيد**"، تأليف أزهر العبيدي [6]، المكتبة الوطنية 2001م الذي تناول فيه محلَّة الباب الجَدِيد من جميع اتجاهاتها وتعمق في الداخل بشرح وافي.
2. المقالة الموسومة "**محلَّة شهر سوق**" التي أعدها المهندس سالم الحسو [13]، ونشرها على موقعه الخاص.

لننطلق من دورة السَّاعَة قرب مقهى السَّاعَة (العمال) التابعة لمحلَّة المياسة، التي لم تعد آثارها موجودة وقد حولت بعد ثورة الشواف إلى محل باتا لبيع الأحذية وسبق أن تناولناها بشيء من التفصيل في الجزء الخاص بمنطقة السَّاعَة. لنبدأ من هذه المنطقة التَارِيخية والمهمة في حياة العديد من الكتاب والمثقفين في الموصل باعتبارها ملعب صباهم ولهم فيها ذِكْرَيَات. لنبدأ من جهة اليمين بعد مقهى السَّاعَة مباشرة باتجاه الباب الجَدِيد، يأتي محل لبيع القهوة يدعى كوريا القهوجي، ثم يليه صَالُون الحِلاَقَة لصاحبها محمد يونس الظاهر ولايزال الصَالُون قائم ويديره ابنه ماجد، ومعمل سعيد النجار ثم يتبعه فرن للشوي وخبز الصمون. ويتبعه عَوْجَة تؤدي إلى محلَّة المياسة (عوجات السَّاعَة)، كان يسكن في هذه العَوْجَة خليل إبراهيم جلو (ومن أبنائه الدكتور ماهر والتاجر فارس)، ثم على قرب منها تأتي عَوْجَة خلفية تؤدي إلى كنيسة شمعون الصفا التي تعد أقدم كنيسة للكلدان في الموصل وقد ورد ذكرها سابقا، وكنيسة (كاثيدرائية) مَسْكَنْتَة.

بعد العَوْجَة على الشَارِع الرئيس يأتي فرن لصاحبه سعيد الفرنجي ثم محل سالم جاسم لبيع مستلزمات وأدوات النجارة، يتبعها دنك (دنج) لطحن الجريش والحبية (المدقوقة) لصاحبه الحاج معيوف. يأتي بعدها عَوْجَة تدعى "شَارِع الشهيد اسماعيل هرمز"، المنسوبة إلى الشهيد المقدم اسماعيل هرمز – أمر الفوج الثالث/ اللواء الخامس من شهداء أم الطبول، وكان في هذه العَوْجَة

مقر "جريدة الفكر العربي" لصاحبها أحمد عبد الله الحسو ورئيس تحريرها، ثم من بعده تولى رئاسة التحرير المرحوم الأستاذ سالم عبد الرزاق ثم انتقلت الادارة إلى عَوْجَة خلفية قريبة من كنيسة شمعون الصفا أي بعد صَالُون حلاقة علي الحَلَّاق.

يلي شارع الشهيد اسماعيل هرمز صَالُون حلاقة لصاحبها علي حسين الحَلَّاق وهو خال الشاعر المخضرم والإعلامي المعروف أمجد محمد سعيد والأخ غير الشقيق لسَيِّد صِدِّيق محمد الحَلَّاق (مختار محلة الرابعية) الذي كان يؤذن في جامع الرابعية ويكبر في ليالي رمضان الصافية وهو يدور حول قبة الجامع وكان له صوت طيب شجي، ثم محل محمود النجار ويتبعها مجموعة بيوت سكن في احدها صالح المتيوتي عندما كان طالباً في المَدْرَسَة الفيصلية، ومنها بيت محمد الزبيدي خال كل من علي الحَلَّاق وصِدِّيق الحَلَّاق وكان يعمل سائقا لدى الجليليين، بعد ذَلِك يأتي محل محمد الكبابجي الذي انتقل إِلَيْه بعد هدم سوق شهرسوق، وبجانب المحل دكان لأخيه، ثم دكان عمر البقال التي انتقل إِلَيْها أيضاً بعد هدم سوق شهرسوق، ثم محل طه شيال العلم. ثم تليها عَوْجَة ودكاكين عبو اليسي ثم محل شمعون النجار. بعدها مباشرة يأتي مقهى اسماعيل الحجار الذي استضاف مطرب العراق حضيري أبو عزيز وأحيى فيها حفلا غنائيا رائعا، ما زال أهل الموصل يتذكرون تلك الليلة ويستمتعون بما جرى فيها، خاصة أنها تسببت في غلق شَارِع الفَارُوق من شدة

الازدحام. ويقول الشاعر أمجد محمد سعيد الذي كان يسكن في هذه المنطقة، إنه شاهد حفلة أخرى اقيمت في بيت يقع في العَوْجَة التي تلي عَوْجَة بيت خاله صِدِّيق ومن على سطح البيت. من المؤسف هو أن معالم المقهى، التي كانت مكاناً لتجمع الشيوخ والشباب وتقام فيها الأنشطة الثقافية والإجتماعية، قد محيت تماماً وأصبحت محلا لبيع المواد الصحية لصاحبه سالم المنصور ثم يتبعها عَوْجَة.

بعد العَوْجَة مباشرة يأتي دكان حسان البقال والد زميلنا وصديقنا الدكتور أكرم حسان أستاذ الرياضيات في كلية التربية بجامعة الموصل. ثم يليها دكان اسماعيل البقال ودكان محمود البقال ودكان الشيخ طه البقال، ثم يأتي مسكن آسرة الشيخ الجليل أحمد أفندي الجوادي والد كل من طبيب العيون الدكتور عبد القادر الجوادي والطبيب المعروف الدكتور عبد الإله الجوادي. وقد كان الشيخ الجوادي مشهورا باناقته وجبته البيضاء، حدثني الأستاذ الدكتور أحمد الحسو أنه كان في طفولته متاثراً بشخصيته الوديعة التي تحترم الكبير والصغير، كما تسكن أيضاً في عَوْجَة تقع خلف بيت الشيخ الجوادي أسرة حسن العثمان المعروفة بنشاطها التجاري والصناعي، واسرة صاحب معامل النسيج المعروف مال الله كما سكن فيها التاجر الطيب الحاج يحيى الطالب وتتصل هذه العَوْجَة باخرى تسكنها أسرة التاجر المعروف ورجل البر الحاج

هاشم وأولاده، ثم بيت محمد أيوب (ضابط تجنيد) ومجموعة دكاكين اشتراها شكر البنا – وهو اخ للبقال حسان– عام 1970م.

عندئذ تأتي عَوْجَة يسكن فيها فخري بشير المختار، مدير الإعْدادِيّة الشرقية آنذاك والده المرحوم بشير المختار، مختار محلَّة شهر سوق، الذي كان شخصية اجتماعية بديعة وله مكانته بين النّاس فهو رجل محبوب همه الكبير خدمة النّاس. يأتي بعدها منزل الحاج يونس (صاحب معمل نسيج الأقمشة) الذي أصبح فيما بعد شركة نسيج الشمال ذات السمعة المعروفة والتي كان يديرها المرحوم عز الدين الطالب كما كان الصناعي المعروف المرحوم فؤاد الخطيب مديرها المفوض. يليها بيت محمود الحاج سعيد (أبو خالد) الذي كان يتاجر بالبطانيات المرعزية الشتوية. ثم يأتي بيت شكر البنا (عم الدكتور أكرم حسان) ويليها بيت الحاج محمد سعيد الأطرقجي، ثم مجموعة بيوت تتبع بعوجه ضيقة (رفيعة جداً) يقع في آخرها بيت المرحوم محمود الحسن ومجموعة دكاكين يتبعها منزل محمود الحاج رشيد (بزاز في سوق العَتَمِي) ثم يليها عَوْجَة علي باك، يتبع ذَلِك بيت حَمُّوَكة.

ثم مَدْرَسَة ومسجد التاجر المعروف الحاج زكر الدينية، التي أنشأها وبناها ورعاها الحاج زكريا بن الحاج أحمد سنة 1201هـ الموافق 1786م، وقد كتب عنها حفيده الخامس الباحث معن زكريا [22]: مدارس الموصل في العهد

العثماني الثاني/ مَدْرَسَة الحاج زكريا التاجر الدينية أنموذجاً؛ حيث ذكر: تطالعنا فوق باب مسجد المَدْرَسَة أربعة أبيات من الشعر محفورة على حجر من الحلان، ساعد على قراءتها فضيلة الشيخ الخطاط علي الراوي (جزاه الله خيراً):

لقد وقف المحتاج عفو إلهه / مقاماً لتدريسٍ تكامل وصفه

به زكريا الخير قد كان مخلصاً / ورامَ لقاء الله فازداد خوفه

جزاه إله العرش قصداً ومنّةً / وعامله باللطف دوماً يحفهُ

لذَلِك دع برجاً ونادي مؤرخاً / نجا زكريا حيث قد صحّ وقفه

ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ سعيد الديوجي [15]، قد كتب عنها أيضاً. كما أن وضع المَدْرَسَة لم يبقَ على حاله إذ هدمت بسبب قيام بلدية الموصل بشق شَارِع الفَارُوق وافتتاحه، ثم أُعيد بناؤها سنة 1953 في مكانٍ قريب من مكانها الأصلي. كان يُعَّلِم في هذه المَدْرَسَة الكثير من الشيوخ، أخرهم الشيخ عبد الله الأربيلي. وممن درس فيها من الشيوخ المعروفين: الشيخ عمر النعمة والشيخ الضرير عبد الله سليمان أحمد الدوسكي.

ومن المعروف عن هذا المسجد أنه كان يوزع للناس شورية في صباح كل يوم جمعة، كان الأولاد يتجمعون عند باب المسجد حاملين معهم الأواني

(سطلة) للحصول على حصتهم الأسبوعية، هكذا كانت المحلَّة في ذَلِك الزمان كأنها عائلة واحدة.

يأتي بعد المسجد مكوى اليكانس (أوتجي) ولا نعرف سبب هذه التسمية. ثم تأتي عَوْجَة بيت دبان (العربنجية) الذي يربط بين شَارِع الفَارُوق وزقاق الطوالب، ويسكن في العَوْجَة كل من: محمد المصطفى خضير وحسن الأحمر وأحمد الدبان والحاج شاكر العربنجي، ثم يأتي مسجد الشيخ شمس الدين بن حسن بن عدي الهكاري الذي بني سنة 1294هـ/1876م، وكان في أربعينات القرن الماضي من أشهر الكتاتيب في الموصل، وممن كان يُدَّرِس فيه الملا عثمان الموصلي ويقع بيته في عَوْجَة مقابل الجامع، وهو من شخصيات المنطقة المهمة.

ومن أشهر من تولى إدارة مسجد شمس ملا محمود أفندي في اربعينات القرن الماضي وكان يستقبل الأطفال من البنين والبنات في كتابه لتعليمهم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وكان الأستاذ الفاضل الدكتور أحمد الحسو ممن درس عليه في مرحلة صباه.

يلي المسجد محل لتفريخ الدواجن (مفرخة) ثم بقالة الحاج يحيى (أولاد شيخة عزيزة)، ثم عَوْجَة باب العراق وفيها عدة بيوت مهمة للتكارتة (العوائل المهاجرة من تكريت) وكنيستهم المرحوديني وبعد إسلامهم بنوا لهم جامعا سمي

جامع التكارتة، أزهر العبيدي [6]. وكان هناك مسقط رأس الشاعر المخضرم ذنون يونس الأطرقجي الذي ولد عام 1939م وقرب منزل أسرته بيت أهل والدة الشاعر معد الجبوري، وقد سكنه الشاعر في عقدَي الستينات والسبعينات من القرن الماضي وولد له فيه كل من ابنيه: الشاعر حارث معد، والفنان المسرحي رائد معد.

ثم يأتي بيت طه عبد الله المَلَك المشهور ببيع الطرشي والمخللات، ولقب بالمَلَك لأنه هادئ الطبع (مثل المَلَك)، وكانت والدته (رحمها الله) تقِّية ورِعّة صوفية مشهورة يقصدها الناس للرقية. أما أبناء طه المَلَك، فهم: ياسين، عبد الله، خليل، سعد الله، بدر، عادل، داؤد، علي، محمود، أديب، وفوزي. ثم يأتي دكان عبد الكريم قاسم (المنَقِّل) ودكان شيخ طه البقال، والبقال سَيِّد أحمد بن سَيِّد علي وهو يرقى على الثآليل (الفالول) وهي حبيبات لحمية صلبة حميدة تظهر على سطح الجلد، ويعد أحد أعلام المنطقة.

ثم مكتبة الزهراء التي يرتقى إليها بدرجتين. أسست المكتبة سنة 1954م وصاحباها هما الإخوان أحمد وراقي عبد الله، في سنة 1959م افتتح محل للتصوير مقابل المكتبة من قِبَلْ الحاج أحمد، وفي أحداث الموصل أثناء ثورة الشواف تم مهاجمة المكتبة وتدميرها، وفي عام 1960م جددت ووسعت وسميت "مكتبة الآداب العربية"، ثم قام بعد ذَلِك أبناء راقي: عامر وماهر

وثامر وأسسوا مكتبة لهم باسم "مكتبة راقي" وذَلِك في نهاية تسعينات القرن الماضي. أما المطبعة (مطبعة الزهراء) التي تعود ملكيتها إلى المرحوم أحمد (شقيق راقي) فقد استقرت في شَارِع النَجَفي.

ثم نصل إلى عاصم الحَلَّاق بن سَيِّد مجيد الذي يعد من قدماء مختاري الموصل وأحد أعلام المنطقة، بعد ذَلِك يأتي مسجد صفو الزيدان الذي عليه كتابة تقول: جددت عمارته وزارة الأوقاف سنة 1400هـ/1980م، ثم عَوْجَة سكن فيها المرحوم الحاج حامد حسين محمد العناز منذ عام 1945، ثم غادر وعائلته المنطقة عام 1967م إلى حي الضباط وتم تأجير المنزل إلى عائلة المرحوم شيت محمد الطويل، ثم عاد إلى البيت ولده عبد الغني العناز (أبو أياد)، وكان مقابل المنزل محل شربت زبيب صفو. ثم يأتي بيت الجعيدي الذي أصبح خربة فيما بعد، وصَالُون حلاقة لصاحبها عزيز الحَلَّاق ثم بعده انتقلت إلى صبري الحَلَّاق وابنه مثنى، ثم دكان حمد البقال، ومحل طرشي لأحد أحفاد طه الملك مع أفران للخبز والصمون.

ثم يأتي بيت جد ووالد الفنان المسرحي شفاء العمري الذي ولد فيه، وبعده مسجد الشاعوري، ويقال أن تسمية المسجد مشتقّة من مهنة الساعور وهو الرجل الذي كان يخدم الكنيسة قَبْل أن تتحول إلى مسجد، كتب على بابه (مسجد الشاعوري) تطوع بعمارة هذا الجامع الشريف الحاج محمود الرضواني

سنة 1365هـ/ 1945م، وتطوع بتجديده لوجه الله تعالى ورثة الحاج خليل غزال رحمه الله سنة (1407هـ/ 1987م).

تأتي بعد ذَلِك عَوْجَة الحويرة، ومن أشهر البيوت فيها: بيت محمد البصيري، وأبناؤه هم: إبراهيم وفاضل وصبحي ومحمود، وكان يسكن فيه ابن أخته الشاعر عبد الوهاب إسماعيل مع أمه بعد وفاة والده ، وهناك بيت شيت البصيري والد كل من الطبيبين الدكتور خالد والدكتور صلاح ويؤدي فرع البيت إلي بيت الفنان النحات طلال الصفاوي على البَدَن. وفي الحويرة بيت حامد الحاج سعيد ، ومن أبنائه: التربوي سعيد الحامد والرياضي صباح، ومن بيوت الحويرة بيت شيت العثمان والد القصاب المعروف صالح أبو عادل، ويسكنه حاليا ابن عمه أحمد الرشيد العثمان، ومقابل البيت ، بيت الأطرقجي الذي ولد وترعرع فيه الفنان التشكيلي حازم الأطرقجي.

وفي الحويرة بيوت لها أبواب ثانية على منطقة البَدَن، مثل بيت عبود الملا صالح الجبوري والد الشاعر الشعبي طلال عبود الذي ما زال يسكن في البيت نفسه. ثم بيوت العبدلي: عبد الرزاق العبدلي، وأبناؤه هم: ناظم الرجل المصرفي المعروف، ووليد المحاسب، وخالد ونزيه وسمير... وفيها بيت ابراهيم العبدلي وابنه صايل العبدلي، وبيت المعلم بدر العبدلي، وأبناؤه هم: عدنان ولقمان والدكتور قحطان المقيم حاليا في أميركا.

ومن البيوت بيت آل خليفة، ومنهم ذنون خليفة مدير النشاط الرياضي في تربية نينوى سابقا، والرياضي محمود خليفة، ومحمد خليفة المحاسب، ومقابل بيتهم بيت جميل شهاب الفهادي والد الشاعر سيف الدين جميل الذي ولد وترعرع في ذلك البيت، وبجواره بيت محمد علي الملا حمدون الجبوري البزاز، عم الشاعر معد الجبوري ووالد الموسيقار خالد محمد علي الذي نشأ وترعرع في ذلك البيت، الموسيقار المعروف عربيا وعالميا، فهو مؤلف موسيقي كبير درست أعماله في العديد من الرسائل الجامعية، وعازف عود وكمان من الطراز الأول وحائز على أرفع الجوائز العربية والدولية... بدأ العزف وهو في السادسة من عمره... وهو، كما أرى، (بيتهوفن العرب).



وفي المنطقة بيوت من أسرة (الفهادي) ومنها بيت سعيد عبد الفتاح الفهادي والد الدكتور قبيس سعيد الرئيس الأسبق لجامعة الموصل، والذي ولد ترعرع في ذلك البيت، وبيت كمال الدين الفهادي والد الدكتور علي الفهادي الأستاذ في جامعة الموصل، والذي ولد وترعرع في ذلك البيت أيضا.

تؤدي محلة الحويرة إلى محلتي القنطرة وباب البيض، ثم مجموعة دكاكين وعَوْجَة البدن وفيها عائلة من العمرية وبيت إبراهيم الجلبي صاحب جريدة فتى العراق وابنه أحمد سامي الجلبي. وقريباً من هذا المكان (محلَّة القنطرة) حيث كان يسكن أمير القوافي شاعر العراق الكبير معد الجبوري، ويعدها نقطة انطلاقه نحو العالم الفسيح، وظلت المنطقة تنبض وتتوهج في أعماقه وبين ثنايا قصائده. وحين يعود بالذكرى إِلَيْها، يقول:

تحتَ تلكَ القناطرِ،

بين شقوقِ حوائطِها الغائِرَهْ..

كِسَرٌ مِن فؤادٍ قديمْ..

كِسَرٌ نادِرَهْ..

*

أينَ ذاكَ الصبيُّ،

وكيفَ طوَتْهُ الدروبُ القصيَّهْ ؟

يا ملاعبَ صحبي، ودار صباي َ

عليكِ السَّلامْ..

لمْ يزَلْ في عيوني فضاءٌ،

لِطيَّارةٍ ورقيَّهْ..

وعلى غصنِ قلبيَ فرخُ يَمامْ..

وفي محلة القنطرة، ولد وترعرع الشاعر الدكتور حيدر محمود عبد الرزاق، وفي المنطقة نفسها بيت الشاعر ادهام هادي الذي توفي عام 1974 وبيت (سَيِّد عبد) وابنه الشاعر محمود فوزي عبد القادر الصراف والد الشاعر الدكتور وليد الصراف.

ثم يليها باب العراق الذي ما زالت آثاره موجودة لحد الآن. ثم تأتي بعد ذَلِك مجموعة دكاكين وسوق القصابين (القصاصيب)، وفي الزاوية تقع مقهى واسعة لأصحاب الصنف (النجارين والبنائين والحجارين والعمال) وهي تتألف من طابقين أسفل شتوي يرتفع عن الرصيف وأعلى صيفي مفتوح تعود إلى علي حسين (باطي) أبو محسن. بعد المقهى مباشرة يأتي مسكن ذو باب كبير تعود ملكيته إلى محمد سعيد الأسعدي والد الدكتور نزار محمد سعيد طبيب العلاج الطبيعي، ثم دورة الباب الجَدِيد الذي يجلس على رصيفه باعة الخبز واللَّبَن وشربت الزبيب، وتقف هناك عربتان خشبيتان لبيع السندويج لصاحبها أحمد حنش وشريكه دحام.

عرفت محلَّة باب الجَدِيد قديماً باسم باب العراق، وتشمل: باب العراق والقنطرة، وجزء من محلَّات المياسة والمنصورية والسجن الحالية كما كانت عليه في خمسينات القرن الماضي، أزهر العبيدي [6].

لننتقل الآن إلى الجانب الآخر عبر الشَارِع عائدين إلى منطقة الانطلاق (منطقة الساعة). تعد منطقة الباب الجَدِيد من أشد مناطق الموصل سخونة آنذاك، فهي منطقة تجمع الأحزاب السياسية ذات الاتجاه القومي، وفي هذا الشارِع بالذات وقعت أحداث مؤلمة تزامنت مع ثورة الشواف، سوف لن أتناولها في هذا المقام.

نبدأ من الباب الجَديد متوجهين إلى منطقة السَّاعَة مرورا بشهر سوق، هنا موقع باب العراق (باب عغاق) الذي رفع وتم تجديده وسمي باب الجديد كما أشار إلى ذلك الأستاذ أزهر العبيدي [6]، نقلاً عما جاء في كتاب الأستاذ الديوه جي [15].

في الركن الشمالي الشرقي من دورة الباب الجَدِيد يوجد محل يونس سَيِّد سعيد لبيع الأدوات الصحية، ثم دكان الشيخ نعمان بن حسين خطيب جامع الرابعية، وجامع الباب الجَدِيد (خارج الباب) وقد تم تجديده وتبديل أسمه إلى جامع البشير، وعَوْجَة حَمَّام الباب الجَدِيد (حَمَّام العمرية) وهناك يقع بيت الفنان التشكيلي والنحات هشام سيدان، ودكان طرشي ومخللات طه المَلَك

(داخل الباب) ومَدرَسَة الصديق للبنات، ثم عيادة الطبيبة مدركة رشيد الخطيب تليها عَوْجَة تؤدي إلى جامع العمرية الشهير وصولاً إلى محلَّة الشيخ محمد، تسمى هذه المنطقة بمحلَّة العمرية. في الجهة اليسرى من الزقاق يوجد معمل النامليت وكوين كولا العائد إلى فاضل وعلي، والذي يعد المعمل الأوّل من حيث التأسيس في الموصل.

لنعد إلى الشَارِع الرئيسي ونمر عبر صيدلية باب الجَدِيد، بعد ذلك تأتي مقهى صفو الجايجي لصاحبها مصطفى داؤد، التي كان يؤمها المطيرجية، ثم تم تحويرها إلى محل لبيع شربت الزبيب (محل صفو) والطرشي، ثم تتبع بعَوْجَة بيت النومة وكان في مدخلها قنطرة لا وجود لها اليوم، ويصعد إليها بدرجتين ثم تليها مجموعة دكاكين تليها عَوْجَة ثانية ثم محل لصنع الحَمَّامات والسمكرة، ثم جامع الجويجاتي الذي بناه أبو بكر بن إبراهيم الجويجي سنة 1060هـ/ 1650م. ويسكن على مقربة منه الشيخ عبد الهادي العمري (جد الأستاذ الدكتور أحمد الحسو لأمه) والد المرحوم الإداري المعروف عبد المجيد العمري الذي كان قائمقام مدينة تكريت في العهد الملكي.

ومن الشخصيات المشهورة في محلَّة باب عغاق والتي كانت تسكن على الشَارِع الرئيس مقابل جامع الجويجاتي الحاج مهيدي جد الدكتور عبد الله مهيدي. كما كانت بيوت آل الرضواني، وهي ثلاثة، مجاورة لجامع الجويجاتي

تمتد موازية لركنه الأيمن، أولها دار كبيرة يسكنها الشيخ محمد الرضواني واسرته، وهي دار ذات ريازة عمرانية عثمانية ومن الضرورة ترميم هذه الدار فهي معماريا متميزة. يلاصق هذه الدار، دار اخرى للاسرة يسكنها اخو الشيخ الرضواني وهو والد السَّيِّد رؤوف الذي كان صاحب بقالة تقع مقابل جامع الجويجاتي. وتواجه دار الشيخ الرضواني في العوجة نفسها دار كبيرة يطلق عليها اسم (القاوون)، وقد سكنها ردحا من الزمن احد ملازمي الشيخ والذي كان يتولى رعاية مصالحه وهو الحاج موسى، والد النجار المعروف عبد الوهاب ومحله قرب الساعة.

تنتهي العَوْجَة بالمدرسة الشهيرة التي تخرج منها كبار علماء الموصل وهي المدرسة التي عرفت بمدرسة آل الرضواني والتي تولى التدريس فيها شيخ هذه الأسرة الكريمة الشيخ محمد افندي الرضواني (رحمه الله). ومن أبرز السمات التى غرسها الرضواني في منهجية مدرسته الشهيرة، انفتاحها على المعرفة، فقد وفر لطلبتها مكتبة احتوت على كل جديد في مجال الدراسات الإسلامية على اختلاف توجهاتها، أما الصفة البارزة الأخرى فتتمثل بروح التسامح واحترام الآخر التي اشاعها هذا الشيخ الجليل بين طلبته. وقد كان لمنهجه القويم هذا أثره الكبير عندما نشأ في الموصل تيار ديني إصلاحي جديد إلى جانب التيار الصوفي المحافظ الذي كان هو على رأسه بل كان رمزا له، فقد استطاع احتواء التيارين جنبا إلى جنب، في اطار من الاحترام المتبادل والعلاقات

الطيّبة. ثم تلاه في تولي إدارة المدرسة والتدريس فيها أكثر من ربع قرن الشيخ عبد الله الحسو (رحمه الله)، أنظر أحمد الحسو [5].

ويعد الشيخ عبد الله الحسو أحد أكابر العلماء في مدينة الموصل، وهو من مواليد الموصل في حدود عام 1890م ودرس في كتاتيب مدينته على عدد من شيوخ عصره، ثم ارتبط ارتباطا كليا بأستاذه الشيخ محمد الرضواني الذي اخذ عنه الإجازة العلمية.

لقد لعب الشيخ الحسو دوراً مهماً في ترسيخ الحركة الفكرية في الموصل في النصف الأول من القرن العشرين متأثراً بشيخه الرضواني وباسلوبه ومنهجه الوسطي في إيصال افكاره متخذاً من الحوار المتزن سبيله الوحيد. استمر الحسو في ادائه لمهامه مدرساً في مدرسة آل الرضواني منذ عشرينات القرن العشرين حتى صدور قرار مديرية اوقاف الموصل في الخمسينات بوقف التدريس في مدرسة الرابعية بعد مرور أكثر من عشرين عاماً على تدريسه فيها وهو قرار تقبله بمرارة، فقد كانت صلته بهذه المدرسة ذات جذور عميقة في حياته.

عاش الحسو حياته في شبه عزلة فكرية متفرغا للبحث ولتعميق فكره الإصلاحي ومن ثم إيصاله إلى المحيط المحلي والعربي والإسلامي عن طريق ما كان ينشره في مجلة التمدن الإسلامي ومجلة الحج ومجلة الهدي النبوي

إضافة إلى مجموعة من الرسائل التي الفها ونشرها وإلى ما كان يلقيه من خطب في جامع عمر الأسوَد، ومن خلال دروسه في مدرسة ال الرضواني وغيرها، أنظر أحمد الحسو [5]، حتى وافته المنية بتاريخ: 18 جمادى الثاني 1379هـ، الموافق 1959/12/18 حسب ما ذكره ابنه الأصغر عبد الإله الذي كان حاضراً عند وفاته.

تليه عَوْجَة ثالثة تلتقي بعَوْجَة بيت الرضواني لوقوع بيت الرضواني في نهايتها، بعدها مباشرة يأتي فرن للشوي ثم منزل الفنان المطرب محمد حسين مرعي الملقب (بلبل الحَدْبَاء) والد الفنان المسرحي بيات مرعي الشخصية الموصلية المعروفة، ثم عَوْجَة رفيعة (ضيقة) يتبعها سرداب للحياكة (الجومي) ثم تتبع بمجموعة بيوت منها بيت المرحوم الحاج أحمد جد المربي المعروف جميل خليل الحاج أحمد، وتوفيق الحاج أحمد (والد كل من الدكتور الشيخ ريان والمهندس رغدان والمهندس ربيع والأخ عبد الله)، ثم بيت أمين سفر (مسيحي) وبيت عزيز أحمد السعيد النعيمي، وابناؤه: أحمد (كهربائي) وعباس (بَنَّاء)، وبيت زميلنا وصديقنا الدكتور عصام أحمد المحمود آل كشمولة (أستاذ الفيزياء في جامعة الموصل ومقيم حاليا في بريطانيا)، وبيوت عديدة اخرى لا اتذكرها.

هنا لا بد من الإشارة إلى مقالة المهندس سالم الحسو [13]، الموسومة "**محلَّة شهر سوق**" وفيها وَضَعَ الحدود الجغرافية للمحلَّة واصفا إياها. " محلَّة شهر سوق هي إحدى محلَّات الموصل الشعبية القديمة التي نشأت حول السوق المعروف بسوق شهر سوق ونلفظه بلهجتنا المحببة: (شغسوق)، كما كان يسمى قديما بجهار سوق ويعود تاريخه إلى العصر العباسي حيث كان احد الأسواق المعروفة في الموصل. وحدود محلَّة شهر سوق تمتد من منطقة السَّاعَة شمالا إلى محلَّة باب العراق وباب الجديد جنوبا ومن محلَّة إمام عون الدين والرابعية شرقا إلى اقل من خمسين متراً وراء الجانب الأيسر لشَارِع الفَارُوق غربا".

ثم تأتي عَوْجَة تضم بيوتا عديدة تؤدي إلى حَمَّام عبيد أغا ومنها بيت ملا عبد (عبد الجواد الجوادي) والد كل من: التاجر محمد العطار، والمتخصص بصناعة آلة العود إبراهيم، وعبد الباري أستاذ اللغة العربية، والمهندس ذاكر. ويقع في نهاية العَوْجَة بيت إسماعيل الباطي وابنه عبد الرحمن البقال، وكانت هناك سَيِّدة مسيحية اسمها زريفة تسكن في الدار الملاصقة لداره، و تمارس مهنة الخياطة. كانت تتكلم لغة غريبة وكانت تسكن معها سَيِّدة اخرى تصنع الحلويات وقد ذكر لي الأستاذ عبد الإله الحسو: أنه تعلم منها كيف تتم صناعة السجقات. يقع قبالة هذه الدار دار صغيرة من طابقين لما تزل قائمة،

ونعني بها دار الشيخ الحاج بشير الصوفي وزوجته اللذين شكلا علامة خير وبركة وكانا يفيضان حبا على الجيران من مسلمين ومسيحيين.

قَبْل أن نصل إلى حمام عبيد اغا هناك عَوْجَة موازية للكرخان الخاص بها وكان فيها داران أو ثلاثة تسكن فيها أسر مسيحية، في احدها سَيِّدة اسمها (ذيبة) وكانت فعلا اسما على مسمى لقوتها وصرامتها. كان لديها ولد اسمه مالك يحب صيد الحمام و شَيِّهِ وكان قعيد البيت لا يعمل. في يوم من الأيام، حلت بهذه العائلة كارثة بسبب غرق ابنها الأكبر عندما كان يسبح في نهر دجلة مقابل عين كبريت وقد شهدت المحلة بكل اطيافها والعائلة بخاصة حزنا وبكاء ونحيبا لم يعهده احد من قَبْل حيث مزقت بعض النساء ملابسهن ولطمن صدورهن.

تستمر هذه العَوْجَة في الجهة الموازية لشارع الفاروق عائدة إلى مدرسة آل الرضواني التي تحدثنا عنها ومن ابرز من أتذكرهم ممن كانوا يسكنون فيها بيت حجية مريم، وأسرة آل الشماع ومنهم الشيخ عبد الوهاب الشماع، كما تتصل العَوْجَة بما يؤدي إلى محلات أخرى والتي يقع في أولها سكن الحاج يحيى الملاح والد كل من حازم والأستاذ الدكتور هاشم الملاح والسَّيِّد ناظم.

نعود الآن إلى حمام عبيد اغا... كانت هذه الحمام تستخدم من قِبَل النِّسَاء والرِّجَال حيث تتكون من فرعين لهما مدخلان منفصلان واحد للنِّسَاء والآخر

للرجال وكانت بمثابة مركز يزوره معظم أهل المحلَّة للاستحَمَّام والتدليك والراحة بعد ذَلِك، ثم تناول استكانات الحامض (نومي بصرة المجفف بعد نقعه وغليانه) والشاي والدارسيني كما كان سطح الحَمَّام وقبابها الملعب المحبب للصغار أما كورخانها فكان يستقبل مساء كل يوم (براني) أَكْلَة (البُرْمّة) الملطخة بالطين حيث اعتاد أهل المحلة وضعها في الرماد الساخن لكي يتسلموها في الصباح وهي مطبوخة طبخا لا مثيل له، ويتناولونها في الإفطار الصباحي أو عند الغذاء ظهراً.



ولابد لنا قَبْل أن نعود إلى جهة شارع الفاروق المجاورة لجامع شهرسوق أن نذكر البيوت التي كانت تقع بين الحمام وبين قنطرة الجامع وأولها بيت لا

استطيع أن أتذكر اسم صاحبه ثم بيت خلوق وطيفور وبيت آخر... ثم (حوش) كبير تابع إلى بيت سليمان بك الجليلي وكان يسكنه بعض من كان يعمل معهم ومنهم السَّيِّد ذنون والسَّيِّد علي الذي اشتهر بطربوشه الجميل وكان حين يسير به يعطي نكهة خاصة للمحلة. عرف هذا الحوش جريمة قتل يوما ما فقد تسرب أحدهم ليقتل امرأة ارملة شهد لها الجميع بخلقها العالي وبدأبها على تربية ولديها ويقال أن قاتلها فعل ذلك لرفضها الزواج منه. أحدثت هذه الحادثة فعلها الكبير ليس في محلة شهرسوق بل في المدينة كلها وشكل ذَلِك حزنا وألما وإستنكاراً من جمهور الموصليين.

يقع قبالة الحوش سكن الشيخ عبد الله الحسو وهو سكن يحتل زاوية تلاصق جامع عمر الأسْوَد في جهته اليمنى ودير مار بيثون في جهته اليسرى. كانت هذه الدار بمثابة ندوة علمية التقى فيها كثير من العلماء والأدباء وشاركوا في حوارات ونقاشات كانت علامة بارزة في الحركة الثقافية والعلمية للمدينة.

وبجوار الحوش الكبير الذي تحدثنا عنه، دار كبيرة اشبه ما تكون بقلعة، وتعد معلماً تَاريخيا فريدا يعود إلى العصر العثماني، وهي دار آل الجليلي... تحتل الدار مساحة كبيرة تتجاوز محلة شهرسوق كما أنها تتصل ببيوت أخرى لهذه الأسرة بمجموعة من الانفاق. ويسكن فيها محمود بك الجليلي، وهو بيت

كبير ذو فناء خارجي يؤدي إلى فناء أخر مخصص لسكن العائلة. كما أنه محاط ببيوت عدة تسكنها عوائل جليلية أخرى منها بيت فنان الكاريكاتير والرسام المبدع عامر رشاد الجليلي. وهنا لا بد أن نشير إلى دور هذه العائلة التي حمت الموصل من شرور الأعداء زمن غزو نادر شاه وهي عائلة معروفة عبر التاريخ انطلقت من هذا البيت الذي أصوله تعود إلى والي الموصل حسين باشا الجليلي.

إن الحديث عن هذه الدار لابد أن يوصلنا للقنطرة الشهيرة قنطرة شهرسوق



التي تصل الباب الرئيس لجامع عمر الأسْوَد بممر قصير يؤدي إلى الباب الرئيس لبيت آل الجليلي كما أنه يوصلنا إلى سوق شهيرة بنيت في العصر العباسي وظلت مزدهرة حتى عهد قريب. من ابرز معالم هذه السوق محلات

بيع الخضار وبقالة الشيخ محمود والد عمر البقال ومحل بيع الكباب الشهير لصاحبه محمد الكبابجي ابن شيخ مرعي ومحل المضمد الشهير سَيِّد مجيد ويقع في آخره محل عطار يهودي اسمه يونان وآخر اسمه سليمان.

كانت هذه هي الصورة في الجهة الخلفية لجامع شهرسوق فاذا ما اتجهنا إلى الجهة التي تطل على شارع الفاروق وجدنا انفسنا امام مقهى المصبغة والتي هي جزء من اوقاف الجامع. كانت المقهى بمثابة مجمع لأبناء المحلة ولمن يرد من ابناء المحلات الأخرى فيها يتسامرون، وفي لياليها كانوا يستمعون إلى قراء العنتريات وكان العم مشتاق الدليمي واحداً من روادها.



يعد جامع عمر الأسْوَد (جامع شهر سوق)، الذي احتوى على رفاة بنات مؤسسه الحجيات الثلاث، من المعالم المهمة التي يعود بناؤها إلى العصر العثماني، وقد شيده الحاج عمر الأسْوَد من أبناء محلَّة شهر سوق، وهو من تجار الموصل المعروفين، وقد تم بناء الجامع وقفاً خيرياً وترك شأن إدارته وتولي أوقافه إلى الأصلح من ذرية بناته الثلاث وهم ينحصرن بآل الشبخون وآل الحسو وآل طرية وآل العبدلي، و يجدر بنا هنا أن نشيد بدور الحجيات الثلاث (رحمة الله على أرواحهن الطاهرة وأن تكون منزلتهن في عليين بإذن الله) في هذا العمل الخيري وفي غيره وبما تم وقفه من أملاك لإدامته واستمراره في أداء مهامه.

يتبع جامع عمر الأسْوَد، جامع صغير اسمه: جامع ملا محمد ثم دكان صفار، كما كان يسكن بالقرب منه السَّيِّد إبراهيم الجوادي بن ملا عبد الجوادي الذي كانت أسرته تعمل في صناعة النسيج وكان الطابق الأرضي من دارهم مشغلاً للنسيج وكانت تقوم بإدارته السَّيِّدة الفاضلة أم محمد ربة هذه الأسرة وعضيدة لزوجها في هذا العمل. ومن الجدير بالذكر أن السَّيِّد إبراهيم الجوادي تخصص منذ خمسينات القرن الماضي بصناعة آلة العود وله محل معروف في منطقة السَّاعَة مقابل دكاكين بيت حنون وسبق أن تطرقنا إلى ذَلِك عند تناول منطقة السَّاعَة.

ثم يأتي منتزه هو حديقة تعود ملكيتها إلى بيت محمود بك الجليلي الذي أوصى بأن تكون متنزها، والعديد من الزملاء والأخوة والقراء لهم ذِكْرَيَات في هذا المتنزه الذي يعتبر المتنفس في تلك المنطقة ويزوره الطلبة للدراسة وقضاء الوقت، ولكنه الآن يئن ويصرخ من ضوضاء المولدات الكهربائية الجاثمة على أنفاسه.

ثم تأتي عَوْجَة تؤدي إلى السرجخانة، في رأس العَوْجَة محل مكوجي (أوتجي) وصاحبها رجل تقي حافظ للقرآن الكريم، ثم على شارع الفاروق يأتي بيت الأستاذ عبد الله أفندي (معلم الأحياء في مدرسة الوطن الابتِدَائِيَّة). وفي وسط العَوْجَة يأتي بيت صبحي علي، وتنتهي العوجة بانعطاف فيه بيتان يعودان إلى آل حنون. ونعود إلى الشارع الرئيس، حيث يأتي بيت صالح حازم عبيد أغا، ثم قهوة سالم الحجار (أخ اسماعيل الحجار) ويتبعها محل عبد الوهاب بن شيخ موسى النجار، ثم مجموعة دكاكين، ثم محل عبد الرحمن النجار، وهنا تأتي مَدْرَسَة الوثبة الابتِدَائِيَّة التي تقع تحت كنيسة السَّاعَة (كنيسة اللاتين)، ثم ننتهي عند طليع أبو السندويج في ركن السَّاعَة.

اشتهرت محلَّة شهر سوق باهتمام أبنائها بصناعة النسيج ومن أبرز الشركات التي كانت تقع على شَارِع الفَارُوق مقابل جامع عمر الأسْوَد شركة نسيج الشمال التي كان يديرها الصناعي المعروف المؤرخ المرحوم عز الدين

الطالب وكان من أبرز أعضاء مجلس إدارتها المحاسب القانوني المعروف محيى الدين الطالب والمرحوم فؤاد الخطيب.

هنا لابد أن نذكر مَن تستطيع ذاكرتنا المتعبة والمغيبة عن الزمان والمكان ذكره من الشخصيات والعوائل التي قطنت تلك المنطقة، أمثال: آل جليلي، آل الحسو، آل الرضواني، آل العبدلي، الجوادي، العمري، غربي الحاج أحمد، الطالب، الدبوني، العناز، المختار، آل جبوري، وغيرهم من الشخصيات والعوائل الموصلية الأصيلة... ومن مشاهير شَارِع فاروق الكبابجي توفيق الذي توفي قَبْل سنة رحمه الله.

كما أن شارِع الفَاروق ضم عوائل كثيرة لم استطع التوصل إلى معلومات كافية عنها وبخاصة الأسر التي كانت تعيش في الداخل على يمين وشمال شَارع الفاروق، مثل بيت الفنان الموسيقي الشهير عازف العود أكرم حبيب.

وأرحب بأي إضافات أو تصويبات أو صور تعزز من مكانة الكتاب لنأخذ بها عند تجديد الطبع.

عَرفَ شَارِع الفَارُوق القَدِيم أجمل صوتين في أداء التكبيرات والقصائد الخاصة بالتمجيد في رمضان والعيدين أولهما صوت الشيخ المقري والمفهرس المعروف المرحوم الأستاذ سالم عبد الرزاق الذي عرفته منارة جامع

الجويجاتي أبان شبابه متألقا (كان صوت والده رحمه الله هو الأصل وكان صوته رنانا على منارة الجويجاتي)، وثانيهما هو الشيخ المقري الحاج بشير محمد الذي ذكرناه آنفا والذي كان يصدح بصوته العذب وهو يعتلي منارة جامع عمر الأسْوَد (جامع شهر سوق). كان للحاج بشير، تأثيره الكبير على عدد من شباب المحلَّة الذين كانوا يرافقونه في الإلقاء ويحذون حذوه ومنهم الشاعر الأديب محمد عبد الله الحسو والدكتور عبد الرحمن الحسو والأستاذ الدكتور أحمد عبد الله الحسو الذي حدثنا عن ذِكْرَيَاته هذه، فذكر أنه حين كان في السابعة من العمر رعاه الحاج بشير وشجعه على الصعود أواخر الليل في رمضان المبارك لكي يطلق العنان لصوته مناديا الله العلي القدير في قصيدة معروفة تقول:

طرقت باب الرجا والنّاس قد رقدوا / وبت أشكو إلى مولاي ما أجد

وفي ليالي العيد كان الأستاذ الدكتور أحمد عبد الله الحسو صبياً يردد:

يا راحلين إلى مِنى بقيادي هيجتمُوا يوم الرحيل فؤادي

ولقد عَرفَ شَارِع الفَارُوق القديم نخبة متميزة من شعراء الموصل الشباب آنذاك، وهم: أمير القوافي الشاعر معد الجبوري والشاعر المخضرم ذنون الأطرقجي، والشاعر عبد الوهاب إسماعيل، والشاعر الإعلامي أمجد محمد سعيد والشاعر الصحفي حيدر محمود عبد الرزاق، فضلا عن الشاعر محمد

الحسو والأديب الشاعر الدكتور أحمد عبد الله الحسو اللذين سبقا مَنْ ذكرناهم بالظهور.

وقد كان كل من المذكورين يمثل جيلا من المبدعين، ففي خمسينات القرن العشرين برز أحمد الحسو شاعرا رائدا في قصيدة النثر ومذيعا وإعلاميا مشهورا، وفي الستينات برز ذو النون الأطرقجي صوتا شعريا متميزا استطاع أن يتطور ويشتهر بعد مجايلته الجيل الذي تلاه متمثلا بالشاعر معد الجبوري الذي برز منذ أواخر الستينات صوتا تصدر المشهد الشعري العراقي والعربي بعد انتشار اسمه خارج العراق وداخله، وريادته أصعب جنس إبداعي هو المسرح الشعري، وجايله جيل أوائل السبعينات متمثلا بأبرز شاعرين متميزين، هما: عبد الوهاب إسماعيل، وأمجد محمد سعيد المقيم حاليا في مصر.



عبد الوهاب اسماعيل/ امجد محمد سعيد/ معد الجبوري/ محمد عطاء الله/ شفاء العمري
1978

والجدير بالذكر أن هؤلاء الشعراء الذين تواصلت الأجيال من خلال عطائهم، كانوا قد عملوا في دوائر الثقافة والإعلام وتبوأ كل منهم موقعا مهما فيها وساهموا في هيئات تحرير الصحف والمجلات. كما عملوا في مجلس اتحاد الأدباء في العراق، وإدارة فرعه في نينوى.

شارع الفَارُوق الجديد (القسم الأوسط)

سأتناول في هذه الصفحات شَارِع الفَارُوق الجَدِيد (القسم الأوسط) بدءً من حضيرة السادة وانتهاء بمنطقة السَّاعَة، مقسمين الشَارِع إلى جهتين: جهة اليمين التي تمر من خلال العَوْجَة المؤدية إلى منطقة حَمَّام الزوية ثم مدخل محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة (الكشاملة) ومدخل محلَّة المشاهدة (آل حديد)، وآخر يمر من عَوْجَة النصارى التي تؤدي إلى كنيستي مار توما للسريان الأرثوذكس ومار توما للسريان الكاثوليك. وجهة اليسار التي تمر بالعَوْجَة التي توصل بالجامع الكبير مقابل مدخل حَمَّام المَنْقُوشَة ثم شَارِع الجامع الكبير الذي يوصل بالسرجخانة مرورا بالجامع الكبير من الجهة الجنوبية وحَمَّام الْحَدْبَاء للرجال، وأخيراً تنتهي عند جامع الصفار.

سميت المنطقة بحضيرة السادة (حضيغة السادي باللهجة الموصلية) (الحضائر هي مساحات بين البيوت يلعب فيها الأطفال، وتجري فيها

الاحتفالات والاجتماعات لأفراد المحلَّة). وحضيرة السادة سمّيت باسم السادة الأعرجية الذين سكنوا المنطقة. وتعد منطقة حضيرة السادة من المناطق الاستراتيجية في الموصل لأنها تقع على تقاطع شَارِع المكاوي مع شَارِع الفَارُوق وهي نقطة تجمع لبيع الخضار والفاكهة حيث تتجمع العربات في الصباح والمساء محملة بالفاكهة والخضار حسب الموسم. في فصل الصيف يعرض البائعون بضاعتهم التي تشمل شتى أنواع الخضراوات (باذنجان، فلفل أخضر، قرع، بصل، كرافس،...الخ) والفواكه، والشمزي، والبطيخ، والخيار، والترعوز. أما في الشتاء فيعرض الشوندر، والشلغم، والسلق، والبصل اليابس،... وغير ذَلِك. وقد اعتاد سكان تلك المنطقة على شراء حاجياتهم اليومية من هذا السوق الشعبي الكبير المتكامل.

نبدأ من تقاطع حضيرة السادة وبالتحديد من مطعم هاتف أبو السندويج إذ تقع دكانه في الركن الشمالي الشرقي من حضيرة السادة وعلى تقاطع شَارِع المكاوي مع شَارِع الفَارُوق.



يتمتع هاتف بشخصية رائعة على الرغم من بدانته ووزنه الثقيل الذي يصل إلى 150 كغم إلا انه خفيف الدم وطيب القلب وكريم النفس وعندما تسأله عن ثمن وجبة السندويج يجيب بدون تفكير: (على حسابي أخوي العزيز). كان يقدم السندويج بأنواعه وأثناء المغرب يتجمع عنده الزبائن لتناول السندويج وسماع إحدى نكاته الرائعة أو قصصه التي ينسجها من خياله. وما يزال مطعمه يدار من قِبَل أبنائه الذين تحدثوا لنا عن والدهم الطيب وذِكْرَيَاته عن المنطقة وناسها التي حكاها لهم... وهو حي يرزق في بيته ولكنه مريض ولا يمارس عمله الآن.

وعلى مقربة من محل هاتف أبو السندويج باتجاه الفرع الذي يؤدي إلى منطقة المكاوي توجد مَدرَسَة الحرية الابتِدَائِيَّة للبنات والآن هي متوسطة تحمل

اسم متوسطة الحرية للبنات ويشير تَارِيخ تأسيسها إلى عام 1948 ولها مدخل من شَارع الفَارُوق في العَوْجَة المقابلة لمحل علاوي البايسكلجي.

ننتقل إلى الجهة المقابلة أي في الجانب الأيمن (الركن الشمالي الغربي) حيث علاوي البايسكلجي الذي تقع دكانه الواسعة عند بدء حضيرة السادة على شَارِع الفَارُوق، وهو يتولى بيع الدراجات الهوائية وتأجيرها. كان شخصا محبوباً من قِبَل الجميع ويعد أحد الربَّاعين المشهورين في فعالية رفع الأثقال مارس الرياضة منذ طفولته حتى وصل إلى مرحلة متقدمة بين أبطال الموصل في فعالية رفع الأثقال، ثم اعتزل الرياضة وفتح محله. كان الصبية والشباب في تلك الفترة يقومون باستئجار الدراجات الهوائية (البايسكلات) وخاصة في العيد، إذ بلغ إيجار الساعة الواحدة (عانة) وكانوا يستمتعون بهذه الرياضة الشَعْبيَّة البسيطة ويمارسون التسابق فيما بينهم في شوارع الفَارُوق ومنطقة السَّاعَة، وأحيانا يسلكون الاتجاه الآخر المؤدي إلى المستشفى.

لنعد إلى حضيرة السادة، ومن الركن الجنوبي الشرقي، مقابل هاتف أبو السندويج وعلى شَارِع الفَارُوق يوجد مقهى الحضيرة العامرة بزبائنها من أجيال مختلفة. أما في شهر رمضان فهي ساحة وملعب لمباريات المحيبس وغير ذلك ويتنافس اللاعبون من محلَّات مختلفة ويكثر الصياح والهتاف ويعم الجو الرمضاني المملوء بالفرح والسرور. وقد اعتاد زبائن المقهى على مواصلة

السباق في شهر رمضان حتى الفجر، ومن التقاليد المتبعة في المقهى تخصيص إحدى زواياها لشخص يحكي قصصاً من الماضي تسمى (عنتريات) كنا نتمتع بها ونسهر عليها. كذَلِك توجد بالقرب من المقهى (بآتِجاه المكاوي) مجموعة دكاكين لبيع المواد المنزلية الاستهلاكية والفواكه والخضراوات، ثم عَوْجَة ضيقة تؤدي إلى شَارِع الفَارُوق ثم منزل يستخدم (عيادة شَعْبِيَّة طبية) تقدم خدمات طبية علاجية للمنطقة وتعود ملكية هذا البيت إلى آل كشمولة وهي مخصصة لمديرية الصحة لتقديم تلك الخدمات الطبية.

لنبق في الجانب الأيسر... حيث يوجد بعد المقهى مباشرة على شَارِع الفَارُوق وباتجاه الجامع الكبير، فرن للخبز لصاحبه إبراهيم (أبو عدنان) وهو من بيت الرفاعي، ثم متنزّه الفَارُوق الصيفي الذي انتعشت سمعته في أواسط الخمسينات ثم هجر في بداية الستينات لينتهي إلى جعله موقفاً للسيارات لصاحبه عبد السنجري (أبي نجم) ثم يأتي معمل للدوندرمة لصاحبه حازم طه، ثم مطعم زكي الباججي، ويقع محل زكي الباججي في الجانب الأيسر من شَارِع الفَارُوق، ويسمى باجة الفَارُوق الشهيرة.



يقدم زكي باجته المعهودة التي تشمل الرأس والكيبايات والمَقِيِدِمْ واللسانات والمخ والبمْبَارات وغير ذَلِك من ملحقات الباجة. وقد اعتادت بعض عوائل المنطقة على شراء الباجة بالجملة (في دست فافون منزلي) إذ يقومون بأخذها جاهزة إلى البيت ليتناولوها بعد عودة الرِّجَال من العمل. إضافة إلى حضور عدد كبير من العمال في الصباح لتناول وجبة دسمة قَبْل ذهابهم إلى العمل.

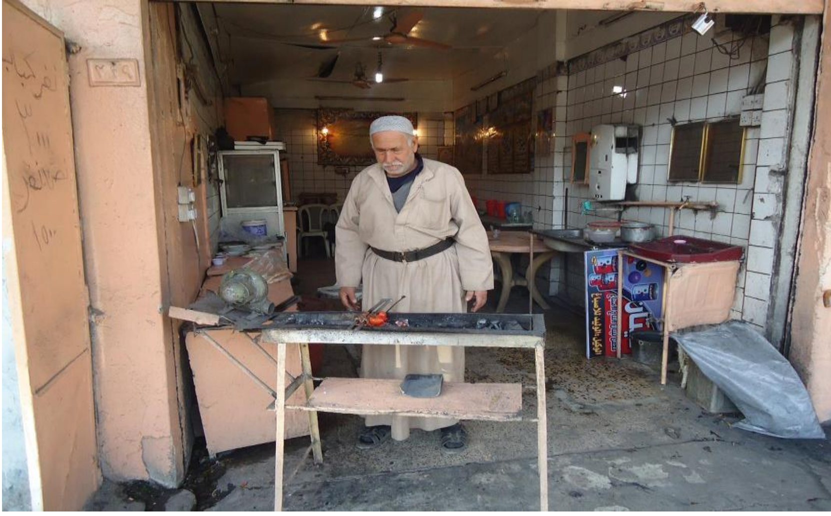
على مقربة من زكي الباجچي يقع دار السَّيِّد محمد علي أمين السردار، إمام وخطيب جامع الصقال وكذَلِك إمام جامع جمشيد (جيمع شمشيط): نسبة إلى شخص صالح اسمه جمشيد سكن الجامع سابقاً... ويقع في العَوْجَة الخلفية التي تؤدي الى بيت جَدِي قرب مقهى السويدية. ويقابل دار السَّيِّد محمد علي السردار منزل الحاج عبد الله أفندي آل زكر، والسردار والد كل من:

- الحاج سعد الدين محمد علي السردار، وأبناؤه كل من: فارس السردار (كاتب ومدرس في النشاط المدرسي) وأسامة (معاون إداري في مستشفى الموصل) وأحمد (ضابط متقاعد) ومحمد (مدرب رياضي وأحد أبطال الساحة والميدان).
- الأستاذ عز الدين محمد علي السردار (أستاذ الرياضيات) في المتوسطة المَرْكَزِيَّة وإعدادية المستقبل ومن ثم أصبح مديراً للتربية في كركوك ودهوك ثم مشرفا تربويا اختصاصيا، وله من الأبناء: نصار (مهندس مدني)، ويسار (أستاذ في جامعة الموصل كلية الهندسة قسم الكهرباء).

تطل واجهة منزل السردار على مدخل منطقة حَمَّام الزوية ودكان المرحوم غازي الحساوي، أما نوافذ الجهة المعاكسة فتطل على بيت المرحوم علي تنك الذي كان يبيع العتيق من سكراب الأبواب والشبابيك، وعلى بيت أبو اركيبة عبر عَوْجَة مائلة. والبيت كان ولا زال معلما من معالم شَارِع الفَارُوق لسببين: الأوّل أنه كان يطلق عليه بيت (الأُوتي) نسبة إلى المكواة، لان شكله بإطلالته على شَارِع الفَارُوق من جهة وعلى الزقاق المائل منحه شكلا أشبه بالمكواة القَدِيمة التي كانت تعبَّأ بالفحم وتكوى بها الملابس... أما السبب الآخر الذي يدعوني لاعتباره معلما من معالم شَارِع الفَارُوق أنه مبنيٌّ من الطابوق الأحمر خلافا للأبنية حوله، وقد كان هذا البيت في الحقيقة يمتد إلى شَارِع الفَارُوق

وعند فتح الشَارِع اقتطعت منه مساحة كبيرةِ وما تبقى منه استدعى أن يُترك بهذا الشكل.

لننتقل إلى الجانب الأيمن، ونبدأ من حضيرة السادة. إذ يأتي طريق يؤدي إلى محلة الأحمدية وسوق اليَهُود، ثم نواصل سيرنا على شارع الفاروق الرئيسي، فيأتي بعد ذَلِك دكان طه (أبو حازم) بائع الجرزات وابنه حازم صاحب معمل الدوندرمة مقابل دكان والده قرب زكي الباججي، ثم يأتي فرن علي قايا يختص هذا الفرن في إعداد الرشتة (تصنع من عجين الطحين على شكل معكرونة رفيعة)، ثم يأتي دكان البير الحداد (مسيحي) ودكان زكي الحداد (يختص بصناعة الأبواب والشبابيك من الحديد) ثم صَالُون حلاقة حازم. ونكون قد وصلنا دكان الكبابجي محمد عبد الله النعيمي شقيق المرحوم الصحفي عبد الوهاب النعيمي، الذي كان ولا زال يقدم كبابا مشويا على الفحم مع كاسة شربت زبيب. وفي الزمن السابق كانت الدكان (مطعم الكباب) مقابل الدكان الحالية، أي ضمن دكاكين كراج الفَارُوق والذي كان سابقاً منتزها، وكان يديرها كل من محمد شاهين الكبابجي ومحمد عبد الله النعيمي، وبعد أن توفي محمد شاهين (رحمه الله) انتقلت إلى مكانها الحالي في عمارة البك... وعند جولتنا الميدانية رأينا أن المطعم ما زال موجودا في المكان نفسه وصاحبه أيضاً (محمد الكبابجي) الذي يتولى إدارته،



ثم تأتي دكان سالم العلاف لبيع الحنطة والشعير، ودكان جبار (أبو جمال) التتنجي ثم اربع دكاكين تشكل علوة صغيرة لبيع الحنطة والشعير لصاحبها اسماعيل العلاف. ثم تأتي عَوْجَة تؤدي إلى منطقة حَمَّام الزوية ثم يأتي محل جرجيس الحَلَّاق (أبو خالد) الملقب جَجُّو الحَلَّاق الذي يعد حَلَّاق المحلَّة، ثم تأتي دكان (بقالة) كبيرة تتألف من بابين لصاحبها عبودي الأشرم (أبو صباح) ثم يأتي مسجد العراقي.

بني مسجد العراقي سنة 1377 هـ الموافق 1956م، من قِبَل صديق حسن حسين العراقي، وهو مسجد صغير له باب على شارع الفاروق الرئيسي.

لنعد الآن إلى العَوْجَة التي تؤدي إلى منطقة حمام الزوية يتبعها عَوْجَة العراقي إلى جهة اليمين، وهي موازية إلى شارع الفاروق تنتهي في حضيرة

السادة كان يسكن فيها صديق العراقي والد كل من: حسام وفاروق وعماد، وأخيه ذياب العراقي الذي تطوع في بناء جامع العراقي الكبير في حي المحاربين القدماء.

تأتي بعد ذَلِك دكان تعود إلى السَّيِّد اسماعيل البقال، ثم محل غازي الحساوي (أبو ثائر وعم الدكتور وعد الله عزيز الحساوي الأستاذ في كلية الزراعة والغابات) الذي يقع في رأس عَوْجَة منطقة حَمَّام الزوية ومحله الواسع يحتوي على المواد الاستهلاكية الأساسية من الرز والسُّكَّرِ والشاي، أما في الصباح فالمحل عامر بالقيمر والحليب والقِشْطَة (القِشْفي) واللَّبَن والطحينية وغير ذَلِك من المواد الأساسية، وقد اعتاد سكان تلك المنطقة في حالة شراء القيمر أن يحجزوا طلبهم قَبْل يوم لأن الطلب عليه كبير.

ثم تأتي عَوْجَة ثانية تؤدي إلى مدخل منطقة حَمَّام الزوية (أي منطقة حَمَّام الزوية لها مدخلان على شَارِع الفَارُوق). هناك داخل المنطقة أي في ظهر محل غازي الحساوي يوجد محل ذنون عباوي وعزيز المالو لبيع المواد الاستهلاكية ودكان المرحوم علي العمر ومحل القصاب محسن الحساوي، وبجوار القصاب محل حجي عبد الرزاق (أبو عراج) لبيع الإطارات والبطاريات، كذَلِك دكاكين آل حندك وآل جاليخ.

هنا يأتي محل كبير سمي وقتها بمعمل الموطا وهو معمل لإنتاج الدوندرمة (كريما ستيك، أو حدباء ستيك) وهو تقريبا من المعامل الأُولَى لإنتاج الدوندرمة في الموصل في تلك الفترة أنشأه أبناء الحاج حمدون ملا علو(الأخوين سالم وغانم). ثم تأتي عمارة تتألف من شقق سكنية ومجموعة دكاكين تعود ملكيتها إلى نزار النقيب وهي عبارة عن وقف خيري. ثم تأتي قبة ذات نافذة صغيرة على الشارع الرئيسي تدعى (دوسة علي) تزورها النساء للتبرك والنذر، وقد محيت هذه القبة وأسست فوقها عمارة. ثم دكان صغيرة يصعد إليها بثلاث درجات لبيع الخضراوات لصاحبها السَّيِّد حسين، ثم دكان السَّيِّد عباس لبيع الفاكهة. وبعدها تأتي مكتبة قرطبة لبيع القرطاسية وكان صاحبها آنذاك المرحوم عبد الغني محمد كشمولة (أبو علي). كانت المكتبة تجهز المنطقة بالقرطاسية اللازمة طوال العام الدراسي، وخلال الموسم تعرض الدفاتر والأقلام وبقية مواد القرطاسية خارج المكتبة وعلى الرصيف لسهولة التجهيز والبيع. وما زالت هذه المكتبة تعمل تحت نفس الاسم (مكتبة قرطبة) ويملكها حالياً محمد أمين فاضل السنجري وهو شقيق المرحوم المخرج التلفزيوني الموصلي طارق فاضل السنجري (أبو زياد).



ثم يأتي محل الطائي للأصباغ لصاحبه رافع راكان ذنون، ثم بيت كبير طابق واحد له حوشه خارج السياج وعلى شَارِع الفَارُوق (مسجل في دائرة الطابو مقبرة، رقم القطعة: 38/4/368)، أي أن البيت مدفوع نحو الداخل وليس على استقامة الدكاكين والبنايات، ثم تأتي عَوْجَة ضيقة مغلقة كان فيها بيت غَنِيَّة الخياطة وبيت سعيد الأسْوَد (مسيحي).

ثم تأتي دكان سمكرة وصنع خزانات الماء وسخانات الحمامات لصاحبها ذنون أحمد كشمولة (أبو بشار) ثم يأتي محل قاسم رشيد النجار الذي يقوم بتفصيل السرير الخشبي والقنصور وغير ذَلِك من الموبيليات وعلى الرغم من

تعامله السهل وروحه الطيّبة إلا انه كان غير دقيق في مواعيده مما جعله على خلاف دائم مع زبائنه وان كانوا قد تعودوا على مواعيده غير المضبوطة.



وهناك موقف طريف حصل لشاب كان قد حدد يوم زواجه بعد تسلم التجهيزات التي فصَّلَها عند قاسم النجار بثلاثة أيام، غير أنه اضطر إلى تأجيل موعد زواجه بسبب عدم التزام النجار بموعد تسليم التجهيزات! ولا يزال قاسم رشيد النجار على قيد الحياة غير أنه لا يمارس عمل النجارة التي اصبحت تدار من قِبَلْ ابنائه في الموقع والبناية نفسها، وصاحبها هو حسام عبد الله أفندي، ثم محل أصباغ لصاحبه نجاح الصباغ، ومحل مكوى (أوتجي) لصاحبه حميد الخيرو، ودكان بقالة محمد علي (أبو ادهام).

بعدها يأتي منزل عمر كشمولة (والد الطبيب إبراهيم كشمولة الذي تولى مسؤولية رئاسة صحة الموصل عام 1952م وأكمل بقية خدماته الطبية في بغداد). شيد المنزل على ارض كانت تستخدم مقهى في عام 1920 تدعى مقهى حمام المنقوشة، وهو منزل ذو طابع عمراني رائع مطل على شَارِع الفَارُوق ويتألف من طابقين يتوسط الطابق الأرضي فناء (حوش) واسع جداَ. أما الطابق الثاني فهو مجموعة شقق استخدمت كعيادة طبية للدكتور ابراهيم عمر كشمولة. ويقع على ركن، حيث في الزاوية التي يطل جزء منها على شَارِع الفَارُوق والجزء الآخر يمتد حتى منتصف العَوْجَة التي تؤدي إلى حَمَّام المَنْقُوشَة، والذي أصبح متوسطة الملكة عالية للبنات، وفي العهد الجمهوري استبدل الاسم إلى متوسطة الحرية للبنات، ثم انتقلت في نهاية الستينات إلى محلها الحالي في مدخل شَارِع المكاوي قرب حضيرة السادة. وفي العقد السابع من القرن الماضي أصبح الجزء السفلي من المنزل مَدْرَسَة (الفنون البيتية) الابتِدَائِيَّة للبنات والتي تعنى بالفنون البيتية والفنية، وبعد البدء بخدمات مصلحة نقل الركاب التي كان يديرها المرحوم فتحي عبد المجيد من بداية تأسيسها إلى أواخر الستينات، تم تحديد منطقة الوقوف تحت المنزل المذكور.



دعونا ندخل إلى محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة (منطقة الكشاملة)... تأتي باحة واسعة جداً مربعة الشكل، على جهة اليمين بيت عمر كشمولة، ثم في الصدر يأتي منزل المرحوم فضل محمد آل طِلِي. ثم إلى جهة اليمين تأتي عَوْجَة مغلقة كان يسكن فيها عبد الرزاق محمد (أبو سمير) احد أشهر بائعي الطرشي في سوق باب السراي وأخواه عبد الجبار وحسن، وبيت كان يسكن فيه محمد علي طه حبش (أبو ادهام) وأبنه ادهام الذي يعمل حالياً مديراً في مطار الموصل، ثم بيت عبد الله الكهربائي (أبو حازم) وتنتهي العَوْجَة. لنستمر إلى جهة اليمين: يأتي بيت داني ثم بعده بأمتار قليلة وباتجاه المشاهدة وحَمَّام الزوية يوجد جامع حَمَّام المَنْقُوشَة (المعروف باسم جامع سَيِّد محمد، رقم القطعة: 119/110/11) إذ انشأ هذا الجامع عام 1186هـ الموافق 1869م (كما هو مثبت على باب الجامع) من قِبَلْ المرحوم محمود طه كشمولة وكان

بجوار الجامع منزل يعود إلى رجل تقي ورع يسمى سَيِّد محمد وأخيه سَيِّد حمدي، كان لهم دكان للمواد التموينية على شَارِع الفَارُوق عند مدخل محلَّة المشاهدة.



فلقد تولى سَيِّد محمد الإقامة وخدمة الجامع وفتح له باباً من منزله للدخول إِلَيْه لكي يقوم بواجباته الخدمية للجامع وبهذا العمل اكتسب صفة تسمية الجامع باسمه إذ شاعت تسميته في تلك الفترة بجامع سَيِّد محمد، ولكن الحقيقة تشير إلى أن عائدية الجامع وبناءه لآل كشمولة واسمه جامع حَمَّام المَنْقُوشَة، ويلاحظ أن الجامع والعَوْجَة التي يقع بها تؤدي إلى اتجاهين: الأيمن إلى حَمَّام الزوية، والأيسر إلى محلَّة المشاهدة التي تناولناها. ومن العوائل التي سكنت

بالقرب من ذَلِك الجامع عائلة بيت الفخري وكان لديهم (تكية) ومن أبنائهم القاضي المعروف الشيخ عبد الوهاب الفخري.

لنعد من الجامع بالاتجاه المعاكس إلى شَارِع الفَارُوق، حيث تأتي عَوْجَة مغلقة تسكن فيها عوائل آل كشمولة، ثم على الزاوية بيت حسن كشمولة (وقد سبق أن تناولنا سيرته)، ثم بيت فؤاد كشمولة ثم تأتي عَوْجَة الحَمَّام وهو طريق موازٍ لشَارِع الفَارُوق في بدايته الحَمَّام المَنْقُوشَة وبعد الحَمَّام تأتي عدة بيوت وينتهي الطريق بالطريق الرئيسي الذي يربط شَارِع الفَارُوق بمحلَّة المشاهدة.

ونعود إلى الحَمَّام باتجاه شَارِع الفَارُوق، إذ يأتي منزل عبيد السنجري (مقابل بيت عمر كشمولة) الذي كان يسكن فيه (استئجاراً) حازم حسن كشمولة (أبو وليد) وهو يقع في ركن يطل جانبه الثاني على شَارِع الفَارُوق. ونستمر باتجاه السَّاعَة، حيث تأتي مكتبة القومية العربية، وهي مكتبة سياسية أسسها طارق عبد الكريم كشمولة (رحمه الله) ومجتزأة من بيت حازم كشمولة، وبعد افتتاحها ببضعة أشهر تعرضت خلال فترة الشواف إلى الحرق والتدمير وأصبحت في طي النسيان. وتلاصق المكتبة مقهى صغيرة لصاحبها عزيز الحسينات وقد تعرضت هي الأخرى إلى الحرق مع احتراق المكتبة. ثم يأتي محل نجارة كريم السنجري أخ الصائغ عبد الغفور السنجري، ثم يأتي سِيف (علوة) السناجرة التي تستخدم لتجميع العدد الزراعية والحاصدات وبقية وسائل

النقل. ثم يأتي دكان صغير لصاحبه طارق السنجري وهو مجتزأ من (العلوة). ثم دكان شكر السنجري (بقال)، وفرن الحَدْبَاء لعمل الصمون الحجري لصاحبه حازم متي (أبو ناظم) وهو من العوائل المسيحية التي تقطن في منطقة السَّاعَة إذ يقوم هذا الفرن ليس فقط بتقديم الصمون الحجري بل يشوي القوازي في المناسبات ويعمل على شوي صواني الكليجة في الفترات التي تسبق العيد، وهو فرن معروف من قِبَل أهل المنطقة إذ لا زالت معالمه باقية على الرغم من تحويله الآن إلى محل سمكرة لإنتاج التانكيات والحَمَّامات. ثم يأتي الحَلَّاق محمد يونس، ومحل سَيِّد حمدي (أخو سَيِّد محمد) البقال ودكانه الواسعة التي باعها إلى أحمد غزال كشمولة (رحمه الله) وما تزال موجودة لكنها تحولت إلى مكتب للعقار يديره ابنه يونس أحمد غزال كشمولة، وكانت هذه الدكان الكبيرة محلا لتجهيز المواد الغذائية والقيمر و(القِشْفي) واللَّبَن، وهي شبيهة بمحل غازي الحساوي التي مر ذكرها.

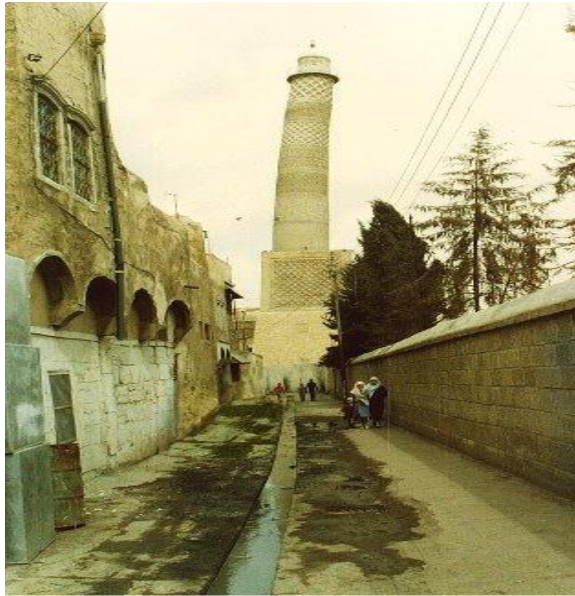
بعد المحل يأتي مدخل المشاهدة، ثم الطريق الرئيسي المهم جداً لأنه يربط شَارِع الفَارُوق بباب سنجار ماراً بمحلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة ومحلَّة المشاهدة، ويعد طريقاً سالكا لمرور العجلات. كما يوصل بعوجات النصارى ومحلَّة خزْرَج والجماسة. في بدء الطريق على جهة اليسار يسكن المضمد بشير الصميدعي، ثم عَوْجَة مغلقة. ثم تأتي باحة واسعة عليها دكانان إلى جهة اليسار إحداهما تعود إلى سلطان البقال، ويقابلها دكان وحَلَّاق، ثم مدخل العَوْجَة التي تؤدي

إلى الكنيستين ومحلَّة خزْرَج وفي رأس العَوْجَة تسكن الحاجة سامية (أم سامي) التي تتولى سنوياً حملة الحج إلى مكة المكرمة والمَدِينَةٌ المنورة، ثم بيت كل من محمد الغزال كشمولة (أبو غزال) وأحمد الغزال كشمولة (أبو يونس)، والمحامي حميد الغزال.

ونعود إلى الجهة اليمني من الطريق، فتأتي عَوْجَة حَمَّام المَنْقُوشَة التي تؤدي إلى الحَمَّام ثم بيت عمر. وباستمرارنا باتجاه محلَّة المشاهدة يأتي صعود، وعند بدايته يسكن علي الغزال كشمولة (أبو هاشم) ثم يستمر الشَارِع نحو المشاهدة مرورا بمحلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة وبيوت آل حديد.

لنعد إلى الباحة الواسعة عند مدخل محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة، وهناك (بيت عمر كشمولة)، وعبر الشَارِع وعلى رأس العَوْجَة أي في الجانب الأيسر من شَارِع الفَارُوق الذي يؤدي إلى الباب الخلفي للجامع الكبير يوجد مسكن الدكتور خيري الدين محي الدين (عميد كلية الطب البيطري سابقا) وأخيه المشرف التربوي مصطفى محي الدين، ومسكن الشيخ غانم العيثاوي إمام وخطيب الجامع الكبير في ذَلِك الوقت، وبيت القصيري ثم تنتهي العَوْجَة بالجامع الكبير. ومقابل الجامع الكبير وإلى جهة اليمين كان هناك خان الدقاقين قَدِيما حسب ما يذكره المرحوم سعيد الديوه جي، وهو يقع يسار الداخل إلى زقاق الكشاملة (محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة) من الجامع الكبير، وعلى يمين الداخل إلى

محلَّة المشاهدة (الطريق الرئيسي) من اتجاه منارة الجامع الكبير، أي أنه يقع بين زقاقين يشكلان امتداداً لزقاقي الجامع الكبير، وبذَلِك يكون الجامع الكبير مقابل الخان تماماً، وكان خان الدقاقين يدقّ فيه القماش المنسوج بالجُوَم لتنعيمه كما يقول المرحوم الديوه جي [15]، ولم يهتم به أهل المنطقة آنذاك لمجيء الأقمشة المستوردة التي لبت حاجاتهم.



وكان بالقرب من الجامع الكبير تحت منارة الحَدْبَاء بأمتار قليلة (دنك) وهو محل كبير لعمل البرغل والحبية والجريش من الحنطة وكان صاحب هذا الدنك هو حامد الحّميد، ومن العوائل التي سكنت قَدِيما قرب منارة الْحَدْبَاء سَيِّد أحمد الموصلي قارئ المقام المشهور، وهناك مسكن أستاذ اللغة الإنكليزية المعروف

الشاعر بشير القطان (رحمه الله) والد الدكتور عبد الحق بشير، ومسكن الحاج محمد صالح افندي الجوادي. وفي واجهة الجامع دكاكين منها دكان للقصاب محمود العيدة ودكاكين أخرى.

ونعود إلى شَارِع الفَارُوق من الجانب الأيسر، حيث يوجد على الركن دكان بقالة لصاحبه (أبو نيلة) المولع بتربية الأغنام (الطليان) فكان دائما يربط الطلي بجوار المحل ويوميا يتولى غسله وحلقه وصبغه وكان يهتم بنظافته وتربيته كثيرا. وبعد الدكان يوجد بيت كبير يطل على شَارِع الفَارُوق يعود إلى آل كشمولة أصبح في تلك الفترة ملجأ للفلسطينيين المهاجرين ثم تحول إلى مَدْرَسَة ابْتِدَائِيَّة تدعى مَدْرَسَة الخالدية، والمنزل لا يزال موجودا ويستخدم لتصليح الطباخات وصناعة أفران الخبز الغازية.

عندئذ نكون قد وصلنا الركن الشمالي من تقاطع شَارِع الفَارُوق مع شَارِع الجامع الكبير، حيث يوجد محل آخر كبير لصناعة تانكيات الماء (محل تنكجي) لصاحبه ذنون أحمد كشمولة (أبو بشار). ومقابل المحل، أي مقابل الدخول إلى المشاهدة، يأتي محل حازم أبو الدوندرمة الذي يقع على الجانب الأيسر من شَارِع الفَارُوق عند ملتقى شَارِع الفَارُوق بشَارِع الجامع الكبير. وكان يشتهر بتقديم أطيب المثلجات (الدوندرمة) المصنوعة يدويا والمعطرة بالهيل والفانيلا في فصل الصيف. ولكن محل سكنه انتقل إلى منطقة الحي العربي

وعمره قد وصل الثمانينات وهو ما زال يرتاد منطقة الفَارُوق ومنطقة السَّاعَة. يقول الأستاذ رائد الطائي: لقد اتفقت مع أحد أقرباء حازم من المتواجدين هناك أن التقي به وحددنا موعداً بعد أن اتصل به لكن في الزيارة الثانية لي للمنطقة لم يستطع الحضور لإصابته بوعكة صحية وهو بين فترة وأخرى يرتاد المنطقة ويتواجد في مقهى قرب جامع الصفار مع أناس من جيله يتحدثون عن تلك الأيام الطيّبة والذِكْرَيَات الجميلة. كان حازم ضعيف السمع فتجده يفتح المذياع بأعلى صوته إذ يمكن للشخص البعيد عنه بعد مئات الأمتار سماع إذاعة صوت العرب التي كان يعشقها. ومما اذكره أنني كنت خارجاً من محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة ذاهبا إلى الجامعة في الصباح الباكر من يوم 28 سبتمبر من عام 1970، متوجها نحو السرجخانة باتجاه نهاية شَارِع النجفي وعند عبوري شَارِع الفَارُوق وإذا بالأخ حازم واضعا المذياع بأعلى صوته يسمع ترتيل القرآن الكريم فلما اقتربت منه وجدته غارقا بالدموع والبكاء فسألته: ماذا حصل عمو حازم؟ فأجابني بحزن شديد: اليوم توفي جمال عبد الناصر وكان الأخ حازم يحبه حبا لا يوصف حيث إن التيار القومي في تلك المنطقة متعمق ومتجذر.

وبعد دكان حازم وباتجاه منطقة الساعة (على الجانب الأيسر) محل كبير لبيع الحديد والمواد الإنشائية وفوقه مجموعة شقق تعود إلى عبد الكريم كشمولة وفي احدى هذه الشقق سكن لفترة قصيرة المرحوم طارق عبد الكريم كشمولة، ثم تليه عَوْجَة تؤدي إلى فرعين، الأول ينتهي في محلة الأوس والثاني في

شارع جامع الكبير. بعد ذَلِك يأتي محل لبيع المواد الصحية ثم جمعية للموظفين تحتوي على تجهيزات كهربائية وملابس (على شكل اورزدي باك)، ثم بيت لعائلة مسيحية يصعد إِلَيه بدرجات عدة وهذا البيت يقابل العَوْجَة التي تؤدي إلى الكنيستين.

لنعد إلى شَارع الفَارُوق ونعبر إلى الجانب الأيمن عند مدخل محلَّة المشاهدة، وبعد المدخل مباشرة يأتي محل واسع لبيع الأدوات الكهربائية من أسلاك ونقاط كهرباء وغير ذَلِك مما هو متوفر في ذَلِك الوقت وصاحبه أبو أسامه. ثم يأتي الحَلَّاق محمد طيب يونس أحمد الظاهر أخو الحَلَّاق محمد يونس وأخو علامة الرياضيات محمد واصل الظاهر، الذي وردت سيرته في (محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة). ثم يأتي محل دلالة لبيع وشراء الأراضي والعقارات ثم تأتي العَوْجَة التي تؤدي إلى كنيستي مار توما للسريان الأرثوذكس ومار توما للسريان الكاثوليك التي ورد ذكرها في (منطقة السَّاعَة).

ثم يأتي دكان محمد سليمان العزو، الملقب محمد التمر (أبو راكان) الذي سمي بهذا الاسم نسبة إلى مهنته السابقة بيع التمور، ثم مقهى العمال الصغير ولا نريد تكرار الحديث حيث ورد ذكرهما في (منطقة السَّاعَة). بعد ذَلِك يأتي محل لبيع الأصباغ لأصحابه: إيليا ونوري ومتي وقرياقوس شماس بهنام الذين، وكانوا وما زالوا مشهورين ببيع الأصباغ وصبغ البيوت والبنايات منذ

الخمسينات، ثم يأتي محل محسن حمودي (أبو صلاح) لبيع أحدث الأدوات المنزلية الكهربائية مثل التلفاز والثلاجة والمذياع... إلخ، ومقابل ذَلِك يأتي جامع الصفار وكان زميلنا الدكتور عبد الرزاق الصفار (رحمه الله) يلقي خطبة الجمعة فيه.



وتحت الجامع مقهى فاضل التي اختفت معالمها وأصبحت محلا لبيع الأصباغ، وبجواره يوجد مركز الشرطة وبجوار المركز كانت هناك دكان تتونجي اسمه (عبد الطه) وهو من أهل خزْرَج، وعلى مقربة من هذا المكان محل ابراهيم الجوادي (أبو صفوان) النجار الفنان المتخصص بصنع العود وهو حتى اليوم على عهدنا محتفظ بنشاطه مستمر بمهنته في صناعة العود بعد أن أغلق محله ويسكن الآن منطقة الباب الجَدِيد. ثم مقهى السَّاعَة التي

أصبحت فيما بعد باتا للأحذية التي استأجرها والد الدكتور هشام الصواف وهو على ما أظن ضابط متقاعد، كذَلِك محل عبد الباسط لبيع السندويج الذي انتقل إلى محل مجاور لجامع الصفار حاليا ويدار من قِبَل ابنه أحمد الذي يمارس مهنة والده نفسها، ولم يزل يقدم السندويج ومعه كأسة الحمص (اللبلبي) ولا ننسى دكان الكبابجي التي تعود للعالم الجليل الشيخ عبد الله الأربيلي (الذي مرّ ذكره سابقاً) وثانوية الموصل الأهلية التابعة للآباء الدومنيكان وبهذا نكون قد وصلنا إلى تقاطع أو دورة منطقة السَّاعَة.

ثمة أحداث دموية وقعت في هذا الشارع بسبب الخلافات السياسية بعد ثورة الشوَّاف مباشرة اتسمت بالعنف والقسوة ولم تجن الموصل منها إلاّ الفرقة والكراهية والبغضاء ونحن نحمد الله على أن تلك الفترة قد مرت وتعافت مَدِينَةٌ الموصل من آثارها وعادت اللحمة إلى أهلها، وقد أطلق على الشَارِع المؤدي من تقاطع السَّاعَة باِتّجاه الفَارُوق اسم شَارِع الشهيد اسماعيل الحجار إذ تشير اللافتة في تقاطع السَّاعَة إلى اسم هذا الشَارِع.

وعن ذِكرَيَاتي في تلك الأيام: أنني عندما كنت صبياً بعمر (11) سنة وأثناء عبوري شَارِع الفَارُوق خارجا من محلَّة حَمَّام المَنْقُوشَة ذاهبا إلى الجامع الكبير وبمجرد وضع قدمي على الشَارِع انهال عليّ الرصاص من جهة حضيرة السادة باتجاه شَارِع الفَارُوق، وفي تلك اللحظة قفز رجل بشجاعة وبسرعة البرق إلى منتصف الشَارِع متوجها نحوي لإنقاذي من المأزق المميت حاملاً رشاشته وموجها إطلاقاته نحو النار المهاجمة مما أخرس نار الجهة المعادية وفي الوقت نفسه ضربني برجله اليمنى بركلة تشبه ركلة الجزاء البرازيلية في مباراة

كرة القدم النهائية لكأس العالم مما جعلني أتدحرج بعيدا عبر الشَارِع وهو مستمر في إطلاقاته النارية. بعد أن نهضت واقفا أعالج جروحي والرضوض التي أصابتني متأملاً الوضع المرعب متذكرا (الركلة) التي انقذت حياتي من موت محقق محاولا معرفة الرجل الشجاع الذي أنقذني بقدمه المباركة فإذا هو العم سالم حمدون الملا علو (أبو ثامر) المعروف بشجاعته ورجولته، وكان متخذاً موقفاً قتالياً مع خصومه السياسيين ويتبادل معهم وحده إطلاق النار.

على الرغم من أن شَارِع الفَارُوق هو شَارِع تجاري إي ان عدد السكان على الشَارِع مباشرة محدود والسكن يتسع ويزداد كثافة في العمق والمحلّات إلا أن العوائل التي سكنت على الشَارِع هي: الأعرجي، آل حساوي، آل العاني، آل كشمولة، آل سنجري، آل حديد، آل القطان، آل القصاب، آل العبيدي، آل البستاني، آل الظاهر، آل جَدِي، آل طِلِي، آل ملك، آل مالو، آل عباوي، آل زكو، آل الرفاعي، آل الفخري، آل الهدو، آل المولى،... الخ.

ومن خلال الزيارات التي أجراها الأستاذ رائد إبراهيم الطائي، لاحظنا أن شَارِع الفَارُوق عام 2011م ومن تقاطع منطقة السَّاعَة إلى تقاطع حضيرة السادة، تنتشر فيه نقاط أمنية للشرطة كثيرة في وسط الشَارِع على امتداد تلك المنطقة، لذا كانت المهمة صعبة في القيام بالتصوير الخاص بالمنطقة، مما يعطيك تصورا وكأنك ذاهب إلى ساحة عسكرية وأنت تشهر الكاميرا وكأنها سلاح.

شارِع الفَارُوق الجديد (القسم الشمالي)

في هذه الصفحات أتناول شَارِع الفَارُوق الشمالي في منتصف القرن الماضي، بدءاً من حضيرة السادة وانتهاءاً بالمستشفى الجمهوري (مستشفى الزهراوي التعليمي) وكلية الطب في جامعة الموصل مروراً بدورة قاسم الخياط، ثم نعود مروراً من تحت الجسر الخامس من جانب سوق الْيَهُود (الأحمدية) وانتهاءًا بحضيرة السادة.



نبدأ من تقاطع حضيرة السادة وبالتحديد من مطعم هاتف أبو السندويج إذ تقع دكانه في الركن الشمالي الشرقي من حضيرة السادة وعلى تقاطع شَارِع المكاوي مع شَارِع الفَارُوق. نتوجه باتجاه الشمال صوب المستشفى مروراً من تحت الجسر الخامس الذي شيد حديثا ولم أشاهده قط حيث غادرت العراق قَبْل

استكماله وافتتاحه، وقد غير هذا الجسر الكثير من معالم تلك المنطقة وفقدت الكثير من تُراثها ومعالمها القَدِيمة؟



بعد هاتف مباشرة يأتي دكان سمكري مختص بصنع السخانات والخزانات يدعى شكر محمود الصفار (أبو لقمان وفيصل) ثم دكان المكوجي (الأوتجي) غانم آل عذيباني (أبو عدي) وبعدها هناك عَوْجَة تؤدي إلى دور آل شلاوي (المشهورين بعمل اللَّبَن والكيمر والكشوة) وبيوت العانية وبيت علولي وبيت الغضنفري وبيت النجار وبيت عبد الله طبو الجماس ونهايتها إلى بيوت الطوالب ومنهم مسكن المرحوم الحاج جار الله الطالب وطاولة (اسطبل الخيول) الطوالب ومقهى الطوالب، وبالاستمرار باتجاه الجسر الخامس تأتي مقهى (جايخانة) عبيد، وبعدها فرع يؤدي إلى الدار التي استشهد بها المرحوم

جبوري العاني الذي ينتهي إلى بيت عباوي، ثم دار المرحوم الحاج حسن العاني (الذي تم هدمه بالكامل وهدم المنطقة لبناء الجسر الخامس)، ثم منزل الدكتور محمد باسل الطائي، أستاذ الفيزياء في جامعة الموصل ويعمل حاليا في الأردن، كان مسكنهم تحت الجسر الخامس وهو من البيوت التي اختفت نتيجة إنشاء الجسر، وبيت عبد تون العجيلي، وأبناؤه هم: المهندس سعدون والمهندس محمد وأحمد (مدير أملاك البلدية سابقا) الذي يقع تحت الجسر ومن البيوت التي اختفت أيضا. وبعد الجسر مباشرة إلى جهة اليمين تأتي ساحة البقجة (ارض البقج)، والبقجة هي البستان الصغيرة التي تزرع بالخضراوات... وتعد رافداَ أساسياَ لتزويد المناطق المجاورة والمَدِينَة بالسلق والخس والفجل والبصل والكرافس... إلخ، أما الآن فقد أصبحت مواقف للسيارات والشاحنات (كراج).

ثم تأتي دورة قاسم الخياط التي سميت بهذا الاسم، فأثناء فتح شَارِع الفَارُوق في المَدِينَة كان لابد لهذا الشَارِع أن يلغي بيت قاسم الخياط فتشكلت مكانه (استدارة – فلكه – دورة) فأطلقوا عليها (دورة قاسم الخياط) وأصبحت منطقة مشهورة ونقطة دالة واضحة لأنها تتوسط المَدِينَة القَدِيمة والجَدِيدة. وقاسم الخياط أب لسبعة أبناء احدهم الأستاذ الدكتور مزاحم قاسم الخياط عميد كلية الطب في جامعة الموصل (سابقاً) ورئيس جامعة تكريت حاليا.

عند دورة الخياط يتفرع الشَارِع إلى عدة اتجاهات من جهة اليمين عَوْجَة ترتبط بشَارِع النبي جرجيس وتؤدي إلى جامع الإمام محسن وكنيسة الطهرة (الطاهرة) الفوقانية للكلدان وهي مقر المطرانية... تقع بالقرب من باشطابيا في

الشمال الشرقي من مَدِينَة الموصل... وهي كنيسة شهيرة نظراً لما لها من أهمية تَارِيخية وآثاريه... كانت تسمى (الدير الأعلى) أقام فيها البطريرك إيشو عياب الثالث الحديابي سنة 650 م، وكان يعرف بدير مار كبرئيل، ثم أصبحت مقراً لمطرانية الموصل في عهد المطران الشهيد فرج رحو الموصلي، وقد فجرت قَبْل سنوات !! خدمها سنوات طويلة الخوري الراحل أفرام رسام الموصلي. سميت على اسم مريم العذراء، ويؤمها المسيحيون والمسلمون ليتبركوا بها. ثم تأتي قلعة قره سراي ومستشفى الأطفال التي تحولت فيما بعد إلى دائرة صحة نِينَوَى ومسجد الإمام يحيى أبو القاسم ثم قلعة باشطابيا، ويقابلها بيت رؤوف المفتي.

أما الفرع من جهة اليسار فيؤدي إلى مَدرَسَة الحَدْبَاء الابتِدَائِيَّة للبنين (مَدرَسَة الْيَهُود) ومتوسطة الموصل للبنين ومطبعة جامعة الموصل، ومقابل المَدرَسَة كان منزل الدكتور يونس بشير والد الدكتور فارس يونس بشير.

أما الشَارِع الرئيس بعد دورة قاسم الخياط فيستمر باتجاه المستشفى، وعلى جهة اليمين كنيسة الطاهرة (التحتانية) للأرثوذوكس ثم مَدرَسَة القحطانية والعدنانية ثم فرع ضيق يؤدي إلى متوسطة الجمهورية للبنين التي أنهيت فيها دراستي المتوسطة، ثم نصل إلى منطقة تجمع باصات نقل الركاب وملتقى الشوارع الرئيسة الأربعة: شَارِع النبي جرجيس وشَارِع الفَارُوق وشَارِع المستشفى وشَارِع ابن الأثير. وفي نهاية شَارِع النبي جرجيس قرب المستشفى تأتي بيوت الدكتور عبد الله سرسم والدكتور ناجي سرسم وآل نقيب، وعند نهاية شَارِع النبي جرجيس باتجاه المستشفى يأتي فرع ضيق يؤدي إلى نهر دجلة وبه بيوت عائلة الشهيد غالب عتو والمرحوم محمود الجماس، وأولاده هم: المهندس شكر والدكتورة هيفاء، ثم دار الأيتام الإسلامي ودار الوجيه عبد العزيز السنجري

والمرحوم أحمد السنجري والحاج منعم السنجري ودار المرحوم خالد العاني (على الجهف)، ثم امتداد الشَارِع الرئيس الذي يؤدي إلى بيت الوجيه محسن العاني.

ويعد الوجيه عبد المحسن حسن بن يحيى بن وهب العاني من رجالات الموصل الذين يُشهد لهم بعطائهم وحبهم للموصل والموصليين وعمل الخير وزرع المحبة. والده هو الحاج حسن العاني (1878–1959)، واخوانه هم: عبد القادر (1904–1968)، وعبد الجبار (الملقب جبوري، شهيد ثورة الشواف، 1914 –1959)، وخالد (1919–1986)، وعلي (1924–1991)، وأبناؤه هم: مكي وذاكر وبراق والمهندس الاستشاري ربيع، وخلفه منزل أخيه المرحوم علي العاني وبعدهما فرع يؤدي إلى عين كبريت وهناك تقع دور المرحوم محمد العلاوي ونذير وأحمد التك على الكهف (الجهف) وفي الجهة المقابلة نزولاً إلى الدورة تقع دور المرحوم عبد الستار وعبد اللطيف الطالب، ثم دار المرحوم محمود عبد الله وأبنائه العسكريين عصام وعدنان والمرحوم رمزي والدكتور المهندس الميكانيكي فوزي محمود، ثم بيت الحجار ومن أبنائه السَّيِّد علي والشهيد الطيار مظهر، وبيت الصائغ وصولاً إلى دار الحاج عبد القادر سعيد المجاور لمقهى أبو عبد (جيخانة أبو عبد) ودكانه الواقعة على الدورة، ثم بيوت المرحوم عبد المجيد توحلة وعبد المحسن توحلة ومحمود توحلة وتقع بينهما دكاكين محمود قنديل وأبو هشام.

وقَبْل المستشفى هناك فرع باتجاه نهر دجلة يوصل إلى دور الزرقي وآل فخري والمرحوم الدكتور عبد القادر الجوادي، وينتهي الشَارِع أخيراً في المستشفى الجمهوري وعندئذٍ يكون قد انتهى شَارِع الفَارُوق من الجانب الأيمن. ولا ننسي الكباب السوري المشهور لصاحبه أبو عبدو ومطعمه الواقع على دورة

المستشفى المجتزأة من دار المرحوم غياث الدين صالح طاهر بك الذي يقع على الركن:



والد كل من الإخوان رعد (دكتوراه هندسة ميكانيك) وسالم (دكتوراه طبيب) وزميلاتنا الدكتورة روعة (زوجة المرحوم الدكتور موفق شندالة) والدكتورة ليليان (زوجة الدكتور الطبيب عزيز علي غالب عزيز كتانة)، ثم الدار التُراثي للمرحوم مراد المراد (المعروف ببيت قزانجي) والد الأخوين عماد وزياد، ثم بيت عبد النافع شندالة على الدورة مباشرة. أما دار المرحوم أحمد السنجري فهي بالأصل تعود إلى المرحوم الدكتور المعروف يوسف زبوني، وأرض دار الوجيه عبد العزيز السنجري بالأصل هي دار بيو (ماما تيس) والد الدكتور مارسيل بيو. ثم نصل المستشفى الجمهوري (مستشفى الزهراوي التعليمي):



ولنبدأ بطريق العودة: تسمى هذه المنطقة بمحلَّة الشفاء، سميت بهذا الاسم لقربها من المستشفى الجمهوري الواقعة في نهاية شارع الفاروق شمال مَدِينَةُ الموصل، وكانت تدعى سابقاً ميدان الجيش، إذ كان الجيش العثماني يتدرب فيها ويعسكر. مجاور المستشفى الجمهوري تقع كلية طب الموصل وكلية الصيدلة سابقاً ومعهد المهن الصحية سابقاً ومَدْرَسَة الممرضات، وهي من أقدم كليات جامعة الموصل، ثم تأتي مساكن (قسم داخلي) لطلبة وطالبات كلية الطب، ثم بيت داؤد النعيمي ومجموعة دكاكين على الشَارِع الرئيس غالبيتها توفر احتياجات منزلية وما يحتاجه الزوار للمستشفى والمرضى، ثم تأتي بيوت آل شندالة (منهم عبد النافع شندالة) ومراد آل مراد ثم منطقة تجمع باصات مصلحة نقل الركاب (الأمانات) التي تنطلق من هناك باتجاهات متعددة نحو مركز المَدِينَة وخارجها، ولا ننسى باص رقم (9) الذي ينطلق من المستشفى

ويمر من شَارِع الفَارُوق ومن جانب المجموعة الثَّقَافِيّة ثم ينتهي بالرشيدية. بعد تقاطع شَارِع الفَارُوق مع شَارِع ابن الأثير يقع بيت المرحوم غياث الدين صالح بك ثم عمارة تحتها مركز سيطرة (إدارة وتنسيق) خطوط سير الأمانات، ثم مجموعة شقق وتحتها دكاكين، ثم يأتي الشَارِع الفرعي الذي يربط شَارِع الفَارُوق بشَارِع ابن الأثير.

ثم نواصل باتجاه حضيرة السادة، فقَبْل الجسر الخامس يقع مركز شرطة باب الشط ثم فرع يودي إلى متوسطة الحَدْبَاء بالتناوب مع متوسطة الفَارُوق (على باب المَدْرَسَة مكتوب: مَدرَسَة ريما خضوري)، ثم يأتي الجسر الخامس:



ثم عَوْجَة تؤدي إلى منطقة الشيخ فتحي وهناك بيوت آل حسنكو وطاولة أحمد الخطاب ثم جايخانة صالح القدوري التي تم هدمها لبناء الجسر الخامس. وبالقرب منها كان يسكن الفنان المسرحي الإعلامي صبحي صبري والفنان

ياسين طه والكاتب المسرحي محمود فتحي والفنان والإعلامي الراحل محمد زكي اسماعيل والكاتب عبد الباري عبد الرزاق النجم والسَّيِّد إدريس مقيم الشيخ فتحي وبطه البقال وهاشم أبو دحدوح البقال والسَّيِّد أحمد (أبو وعد) مصلح (البايسكلات)، وزكريا وحصانه الأشهب، وحضيرة خيول أحمد الخطاب ومقهى أحمد التي تقع بالقرب من مكينة الطحين، وحَمَّام حامد النسلي وحَمَّام السعادة وحَمَّام النسوان التي كانت تقع بالقرب من مركز شرطة الشيخ فتحي في الفرع المؤدي إلى سوق اليَهُود ومختار المحلَّة رمضان (أبو مؤيد) وعادل الكبابجي وعزيز البقال في سوق اليَهُود وبيت حسنكو المبني بالفرش الأبيض الموصلي، ومسكن الأديب القاص الأستاذ الدكتور نجمان ياسين والقاص الأستاذ ثامر معيوف والدكتور حسيب الياس حديد.

ومن المعالم الأساسية في هذه المنطقة حَمَّام اليَهُود وحوش الجمس (خان لتربية الجاموس) ثم إلى جهة اليمين تأتي عَوْجَة تؤدي إلى سوق اليَهُود (الأحمدية)، وغالبية سكان تلك المنطقة من اليَهُود الذين هاجروا خارج العراق بعد عام 1948م.

وعلى الشَارِع الرئيسي، ونحن نعود إليه، تسكن عوائل النقشبندية ومنهم محمد طاهر النقشبندي وهو أحد القضاة المشهورين في الموصل، ومنزله مجاور للتكية النقشبندية التي كان يتولى شؤونها.

ثم تأتي مقابر حضيرة السادة، وهناك يوجد مرقد باسم النبي دانيال في منطقة محلَّة اليَهُود (الأحمدية) قرب حضيرة السادة وهو قَدِيم جداً يعود إلى مئات السنين، ويحكى أنه كان كنيسة، ويرتاده الكثير من الزوار من البلدان المجاورة ومثبت رسمياً في دوائر التسجيل العقاري وبلدية الموصل باسم جامع

النبي دانيال. ويسكن في هذه المنطقة أيضا شيخ المؤرخين الأستاذ سعيد الديوه جي، وكذَلِك دور آل حساوي وقارئ الكف المشهور هاشم؟ ومساكن آل زكو ومنهم جراح التجميل الدكتور سعد الله الزكو.

وبذَلِك نكون قد استكملنا جولتنا في شَارِع الفَارُوق على ثلاثة مراحل، ومن المؤكد أن ذاكرتي المتعبة والمغيبة عن الموصل الحبيبة قد أغفلت الكثير، عليه نرجو من الأخوة القراء إضافة أو تصويب ما لديهم من المعلومات التي سوف استفيد منها عند إعادة طبع الكتاب مستقبلا...

الـفـصـل الـثـالـث

الأكلات الموصلية الشعبيَّة

في هذا الفصل نستعرض عدداً من الأكْلات الموصلية التَقْليدية القديمة المتوارثة التي تستحق أن توثَّق في التراث الموصلي؛ لما لها من طقوس خاصة في تحضيرها، وأسرار نكهتها وتقاليد تناولها التي لا يعرفها إلا الموصلي، ومواسم معينة لصناعتها، وشهرة طارت في الآفاق على جميع المستويات داخل الموصل والعراق وعموم البلاد العربية، ورغبة في إعطاء فكرة عن الموصل وما فيها من عادات وتقاليد تستحق أن تعرف وتشتهر، وخشية الاندثار في ظل هذه العولمة المنتشرة انتشار النار في الهشيم، دون أن تراعي قيم المجتمعات، وطقوس الشعوب، وعادات الناس، وتراث الأمم.

ولقد ارتأينا توثيق هذه الأكْلات، مع التركيز على تقاليد أهل الموصل في تحضيرها، وربطها بالطقوس الدينية والعادات المرافقة لها، كما أن هذه الأكْلات مهمة ومحببة لنفوسنا، لارتباطها بمدينتنا التي نعشقها، والحالة النفسية التي تربطنا بوشائج قوية بالزمان والمكان، يضاف إلى ذَلِك كله تلك الذِكْرَيَات الجميلة التي لا يمكن أن تنتزع من الذاكرة. والأكْلات التي سنتناولها هي:

(البَسْطِرْمة)

طيّبة وزكيَّة وتَسْنِد المَعِدَة

تختلف تقاليد عمل (البَسْطِرْمة) وفق تقاليد المجتمعات وعاداتها، لكن تبقى البَسْطِرْمة الموصلية هي الأطيب والأزكى، لاسيما المصنوعة في البيت، لنظافتها واختيار نوعية اللحوم من العجل الخالص الطري القليل الدسم، ولا تكاد تشكل كمية الشحوم فيه إلا نسبة قليلة جدًّا.



وهناك اختلاف واضح بين (البَسْطِرْمة) الشرقية في كل من: العراق وبلاد الشام ومصر، وبين (البَسْطِرْمة) الغربية في كل من: أوربا والمغرب العربي. كما أن هناك اختلافاً في التسمية أيضاً، فهي في المشرق العربي (البَسْطِرْمة) وتدعى بـ(الصاصيج) أو (النقانق) (Sausages) في الغرب وأروبا، وفي أمريكا تدعى بـ(هوت دوك).

وصناعة (البَسْطِرْمة) كما أشرنا تختلف من مكان إلى مكان حتى في البلاد العربية نفسها، فمثلاً في (مصر) تصنع من قطع اللحم البقري دون ثرمه ثم تجفيفه، وهي تختلف تماماً عن (البَسْطِرْمة) العراقية لاسيما الموصلية الصنع. يضاف إلى ذَلِك كله أن طريقة طهي (البَسْطِرْمة) وأكلها لها طقوس خاصة بها، ومناسباتها الخاصة ومواسمها الخاصة أيضاً.

والبَسْطِرْمة معروفة في مطابخ الدول العثمانية السابقة. فاسم بَسْطِرْمة بالتركي (pastırma) أتى من الشكل الأصلي للغة "bastırma et"، الذي يعني "اللحم المضغوط" حسب قاموس جمعية اللغة التركية. والبَسْطِرْمة انواع منها: النوعية الحادة جداً وتدعى"" بَسْطِرْمة قيصري" وقيصري مدينة تركية حاليا تعرف قيصرية. وهناك النوعية قليلة الحدادية وقليلة الثوم أو بدون ثوم وتعرف بالنقانق أو السجق. والأهم من كل هذا أن أصل البَسْطِرْمة- كأَكْلَة عراقية وعالمية – عراقية بابلية حيث أن هناك رقيم طيني يتحدث عنها وعن صنعها.

تصنع (البَسْطِرْمة) الموصلية من لحم العجل الطازج الذي يفرم جيداً باليد أو ماكنة فرم اللحم، يضاف إِلَيْها كمية من الملح والبهارات السبعة الخاصة بها: كمون، وكزبرة، وفلفل أسود، وكبابة، وجوزة الطيب، وقرفة، ومسمار أسود (أو كبش القرنقل)، مع كمية من الثوم الذي يهرس ويعجن مع بقية المكونات،

وتحشى العجينة بمصارين العجل أو البقر في حالة توافرها، وتدعى بـ(الشردانة)، أو تحشى بأكياس نايلون شفافة، يكون عرضها بحدود 5 سم وطولها بحدود 30 سم. في المرحلة الأخيرة من صنع البَسْطِرْمة وقَبل غلق "الشردانة" وشد نهايتها توضع على " تختة خشب كبيرة " و" تشوبك " وذَلِك لتأخذ شكلها النهائي وطرد الهواء وإملاء "الشردانة" باللحم الصافي " الشرح " والخالي من الدهونات، وبعد شدّها بإتقان يتم مسك إبرة والبحث عن أي فقاعة صغيرة لثقبها بثقب صغير جداً وطرد الهواء منها ثمّ تسوية محل الفقاعة لمنع دخول الهواء مرّة ثانية، ثُم وضع جميع الشرادين الجاهزة للتعليق في صينية كبيرة ثمّ توضع صينية أخرى فوق الشراديين ويوضع ثقل معيّن فوق الصينية لفترة زمنية معينة للتأكد من طرد الهواء، وأخيرا يُراعى المكان الذي تُعلّق فيه البَسْطِرْمة حيثُ يكون جاف وبارد، ثم تعلق على الحبل، وتعرض في الهواء الطلق، وتنشر لمدة بضعة أيام لتجف، وعندئذ تصبح جاهزة للأكل. وبعد ظهور المجمدات يمكن وضعها داخل المجمدة؛ لاستخراجها من التجميد، واستعمالها قَبْل طبخها ببضع ساعات.

كما أن المناخ العام في الموصل ووجود اماكن خاصة محافظة على درجات حرارة مناسبة كالسراديب وغيرها ساعد على حفظ البَسْطِرْمة وخزنها. إلا أن البَسْطِرْمة ومذاقها الطيب ورغبة الموصليين بها، اغتالتها حديثاً مع الأسف بعض سلوكيات القصابين، مما جعل المتميزين بها هم القلة ويعرفهم أهل

الموصل، والباقون موضع شبهة، وكان القصابون يستعجلون بيعها وهي طرية خشية أن ينقص وزنها.

اعتاد الموصليون على صناعة (البَسْطِرْمة) في فصل الشتاء أو أواخر فصل الخريف، وتصنع في البيوت أو عند القصابين، وتباع في محلات خاصة، أذكر منها على سبيل المثال المحلات في: منطقة حضيرة السادة وخزرج والساعة القريبة من محل سكني. كما أذكر من هؤلاء الذين اشتهروا في بيعها ابن حنون في الساعة. ومن الجدير بالذكر أن هناك مجموعة من القصابين كانوا يجهزون (البَسْطرْمة) للبيع بالكيلو إلى الأهالي أو إلى أصحاب المطاعم ومحلات السندويج الذين يقدمونها إضافة إلى السندويج في موسم الشتاء. وتقدم (البَسْطِرْمة) عادة مع الطرشي الموصلي الطازج، ذي النكهة الخاصة، ولونه الأصفر المميز الذي يغلب عليه لون الكركم، أو مع المخللات التي يغلب عليها اللون الأحمر من الشوندر الأحمر ويتميز طعمها بالحموضة الطيّبة، والفجل الموصلي الأسود الكبير الذي لم أجد مثله في العالم. وتقدم مع الخبز الموصلي أو الصمون الذي يحتوي على الألياف (النخالة) التي تساعد على امتصاص الدهون.

وهناك طقوس خاصة عند الموصليين لتحضير (البَسْطِرْمة)، وطرق معينة عند تقديمها للأكل. فهي تقدم في الصباح الباكر مقلية بالطاوة مع البيض

(بَسْطِرْمة وبيض) وتقدم مع الخبز الحار الذي يجهز في الصباح أو الصمون الموصلي الحار. ويقول أهل الموصل (تَسْنِد المعدي)؛ أي: تحميهم من الجوع لفترة طويلة. أما في المساء فتقدم مقلية مع الطماطم التي تضاف إِلَيْها، وتقلى أيضاً في الطاوة نفسها، كخليط من (البَسْطِرْمة) والطماطم، وتصبح لَذِيذة جداً، لا سيما إن كان الخبز أو الصمون طازجاً وحاراً.



أما إذا صادف وجود (البَسْطِرْمة) في شهر رمضان المبارك فتقدم في السحور، إما مع البيض، أو مع الطماطم، على الرغم من أن تناول (البَسْطِرْمة) في أوقات السحور قد يؤدي إلى العطش الشديد، لكنها أَكْلَة محبوبة ومُفَضَّلة لديهم وتَسْنِد المَعِدَة، وقد اعتاد عليها الموصليون وأصبحت لازمة من لوازم العادات التي جرت في الموصل كلها، ولا يكاد المرء يعثر على بيت يخلو منها في مواسمها لا سيما في رمضان المبارك، وهذا يدل على أن

أهل الموصل يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم على اختلاف طبقاتهم، وحالاتهم المادية، ولكن كل بطريقته الخاصة وطقوسه المعتادة التي ألفها، وارتضاها لنفسه.

ومن الأمور التي أتذكرها، وقد حصلت قَبْل نصف قرن أو يزيد أو ينقص قليلاً، حين كنا طلاباً في المرحلة المتوسطة والإعْدادِيّة، ما كنا نقوم به بعد دوام المَدْرَسَة (أي: بعد الظهر)، إذ كنا نتوجه إلى حديقة الشهداء، لغرض الدراسة، وعندما كان الظلام يبدأ بإرسال أثوابه، ويداهمنا شيئاً فشيئاً، كنت مع أصدقاء من محلتي وأقاربي نقتحم ظلماته، منطلقين إلى (الدواسة)، حتى نصل إلى نهاية الشارع، فنتوجه إلى الركن الأيمن منه مقابل سينما حمورابي، قاصدين ذَلِك المطعم الشعبي الذي يقدم (البَسْطِرْمة) مع الطماطم. وما أن نصل إِلَيْه، وندخله، ويأتي صاحبه ليتعرف على طلباتنا، حتى تهدأ نفوسنا، ولكن المعد الخاوية لا نفتأ نؤملها بتلك الوجبة التي خرجنا من أجلها، ولا يمكننا أن نقبل إلا أن نعود بطاناً بعد أن قدمنا خماصاً في هذا الوقت من الليل لتناول وجبة العشاء. وسرعان ما يلبي صاحب المطعم طلباتنا، فنبدأ بالتهام ما طلبناه، حتى نفرغ الصحون من محتواها، لجودة الطبخ، ومهارة المقدِّم، ومغريات المشهيات من طرشي وما إلى ذَلِك. وكم كان بودي أن أذكر اسم المطعم وصاحبه أيضاً، لكن الذاكرة لم تسعفني الآن، وآمل أن أتذكرهما. وعلى أية حال فقد علمت أن المطعم تحول إلى مطعم لتقديم الفلافل (فلافل بدر)

بدلاً من (البَسْطِرْمة) التي أضحت أَكْلَة مترفة بعد الحصار اللعين على العراق في نهاية القرن الماضي.

وينتعش بيع (البَسْطِرْمة) في الموصل ببيع (الطرشي والمخللات) فهما مقترنان معاً، ولا يكادان ينفصلان عن بعضهما بعضاً، وعادة ما نجد أن المحل الذي يبيع (البَسْطِرْمة) يبيع (الطرشي والمخللات) أيضاً في المحل نفسه وفي الوقت ذاته.



ومن الباعة المشهورين في الموصل: المرحوم الحاج شيت صاحب محلات بيع الطرشي في منطقة النبي شيت، وطرشي الشفاء، كما أن كل منطقة في الموصل لها باعتها المعروفون في بيع (البَسْطِرْمة)، وعادة ما يكتسب أحدهم

شهرة، ويحصد ترويجاً جيداً نتيجة جودة (البَسْطِرْمة) التي يقدمها. كما أن مطاعم السندويج تشترك أيضا بتقديم (بَسْطِرْمة) إضافة إلى السندويج وماعون الطرشي، وتتبع عادة بـ(استيكانين): (شاي زنكين من يد الجايجية) أو المقاهي المجاورة عادة للمطاعم ومحلات السندويج.

كما تجدر الإشارة إلى أنه من عادات أهل الموصل وتقاليدهم أثناء السفر إلى بغداد أو البصرة أو حتى خارج العراق أن يأخذوا معهم كمية من (البَسْطِرْمة) لتقديمها هدية إلى معارفهم وأقاربهم ، كما فعلت الأخت الفاضلة الدكتورة إلهام الدباغ التي أرسلت كمية من (البَسْطِرْمة) إلى أخيها الأستاذ الدكتور رياض حامد الدباغ في دولة الإمارات العربية المتحدة عام 2010م، وأصابنا كمية من كرم هذه العائلة الأصيلة. كما أتذكر في منتصف سبعينات القرن الماضي عندما كنا ندرس الدكتوراه في جامعة لندن في بريطانيا، كانت (البَسْطِرْمة) متوافرة عندنا معظم أيام السنة إذ كانت الوالدة (رحمها الله) ترسل لنا كمية منها بين فترة وأخرى، هذا بالإضافة إلى قدوم كثير من الأصدقاء والأهل والأقارب والزوار والوافدين إلى لندن، وأول ما يأتي على بالهم هو جلب كمية من (البَسْطِرْمة) إلينا، وكنا نفرح بها ونستمتع بأكلها. ولا شك أن (البَسْطِرْمة) الموصلية مميزة، ولذَلِك كان أهل الموصل، ولا يزالون يحملونها معهم، لأنهم يعدونها هدية لها قيمتها، لا سيما عند أهل الموصل في الداخل

أو الخارج، لأنها متقنة كل الإتقان، من جميع النواحي، ومضمونة الجودة، ومشهورة المنشأ.

وما دمنا نتحدث عن (البَسْطِرْمة) الموصلية، فلا بد من الإشارة إلى أن (البَسْطِرْمة) معروفة على صعيد العالم، ففي تركيا مثلاً تعد من الأكْلات المحببة لديهم، وقد شاهدت خلال زيارتي مرات عديدة إلى تركيا، لا سيما آخرها التي كانت في نهاية القرن الماضي أن الأتراك يصنعون أكياساً لتعبئة (البَسْطِرْمة) لا تستطيع أن تفرقها عن مصارين البقر، وهي أكياس رقيقة طولها حوالي 30سم وعرضها حوالي 5 سم ومُجَفَّفة ورقيقة جداً، يستخدمها الأتراك في تعبئة (البَسْطِرْمة) التركية. وفي اسكتلندا شمال بريطانيا التي تشتهر بـ(البَسْطِرْمة) (الصاصيج) أو النقانق المحشوة بلحم الغنم أو العجل، فإنها تعد من أهم مناطق تصديرها إلى جميع أنحاء أوربا، وتقدم (البَسْطِرْمة) مطهية إما باستخدام القلي أو الشوي على الفحم. أما (البَسْطِرْمة) الأمريكية التي تدعى (هوت دوك) فإنها تقدم مسلوقة على شكل سندويج أو مقلية بالطاوة أو مشوية على الفحم، ولكن نكهتها وطريقة تصنيعها تختلف عن (البَسْطِرْمة) الموصلية. كما أن هناك بَسْطِرْمة تصنع من لحم الدجاج، والديك الرومي وتنتشر في أوربا ومنطقة الخليج.

أما (البَسْطِرْمة) الشامية فهي لا تختلف من حيث طبيعة المحتويات والتصنيع عن الموصلية ويكمن الفرق بطبيعة النكهة (البهارات) المميزة التي يستخدمها أهل الموصل. أما (البَسْطِرْمة) المصرية فهي تختلف تماماً عن البَسْطِرْمة العراقية والشامية وتتكون من شريحة لحم بقري كبيرة الحجم مملحة بتركيز شديد ومُجَفَّفة، تباع بعد تقطيعها على شكل شرائح.

أعود وأقول: إن (البَسْطِرْمة) الموصلية لها خاصية ونكهة وشهرة تميزها من غيرها، ولذَلِك تكاد تكون فريدة في صناعتها. وقد قيل في البَسْطِرْمة:

بَسْطِرْمة هي أَكْلَة أتقنتها .... فهي العزيزة من نبوغ عزيز

جدرت بخير شهادة فنسجتها ... بأنامل التفويف والتطريز

ما تلك من شبه ولا من فضة ... لكنها من عسجد إبريز

*

الكمأة (الكمي)
أَكْلَة شعبيَّة مفضلة

الكمأة أو(الكمي) في اللهجة الموصلية، وفي لهجة سكان حمام المنقوشة (الجما)، أو (الفقع) في اللهجة الخليجية، هي نبات فطري موسمي ربيعي، ينتظره الفُقَرَاء وسكان البادية والجزيرة وكثير من بلدان العالم، لا سيما العربية منها بفارغ الصبر؛ لكي يستخرجوه من باطن الأرض، ويعرضوه للبيع بأسعار مغرية، ليعيشوا من ثمنه، أما الأغنياء فإنهم ينتظرون موسماً تلو الآخر بفارغ الصبر، لشرائه مهما غلا ثمنه، وكأنهم فازوا بصيد ثمين، ليعودوا به إلى بيوتهم، مستبشرين فرحين، مؤملين أنفسهم بأَكْلَة شَهيَّة بعد طهوه بطريقة خاصة، لطعمه الطيب، وفوائده الصحية الجمة.

و(الجما) أنواع كثيرة، وأشكال متعددة، وألوان مختلفة، ويعرف بحسب لون القشرة، فمنه الأسود والأبيض والأحمر. فهي غذاء صحي متكامل.



يطلق عليها هنا في دولة الإمارات العربية المتحدة بالفياجرا وتستخدم كمنشط جنسي، لأنها تحتوي على البروتين بنسبة 9% ومواد نشويه بنسبة 13% ودهن بنسبة 1% وتحتوي على معادن مشابهة لتلك التي يحتويها جسم الإنسان مثل الفوسفور والصوديوم والكالسيوم والبوتاسيوم. كما تحتوي على فيتامين "ب1 و ب2" وهي غَنِيَّة بفيتامين أ. كما تحتوي على كمية من النيتروجين بجانب الكربون والأكسجين والهيدروجين، وهذا ما يجعل تركيبها شبيهاً بتركيب اللحم، تحتوي أحماض أمينية الضرورية لبناء خلايا الجسم.

بعد الحصول على (الجما)، توضع في إناء عميق، وتنقع في الماء؛ لكي تتخلص أم البيت من الرمال العالقة بها، ثم تتولى حكها أو تقشيرها؛ لتتأكد من تنظيفها من التربة العالقة بها،



ثم تقطع، أو تطهى دون تقطيع حسب حجمها. ومن عادات أهل الموصل طبخها مع البرغل وعدها وجبة غذاء رئيسة، تجتمع العائلة على المائدة لأكلها والتمتع بمذاقها. وفي شهر رمضان تطبخ مع المرقة والطماطم والبصل وتقدم مع البرغل أو الرز وتعد وجبة رئيسة في الفطور خلال شهر رمضان:



وتتبع بكأس (طاسة) شنينة من لبن الخَاثِر في الربيع خاصة. ولا بد من الإشارة إلى قضيتين: الأُولَى تتعلق برائحتها الطيّبة التي تملأ المكان الذي تطبخ فيه، فلا يستطيع الإنسان المقاومة، ويظل يتلمظ إلى أن تجتمع العائلة، وإذا حل رمضان الكريم فلا بد من انتظار موعد الإفطار. والأخرى: الطعم اللذيذ الذي يحدّث النفس بالتهام أكبر كمية ممكنة منها. وما أن يجلس أفراد العائلة حول المائدة حتى يبدؤوا بتناول (الجما) ليسكتوا عصافير معدهم، فتمتلئ البطون، وتهدأ العيون، وتقر بها الجفون. ولا يمكن لأي إنسان أن يصف (الجما) وصفاً مفصلاً، بيد أنه لا بد من أن يقوم بالتعرف بنفسه على هذا الطعم اللذيذ من خلال الحصول على وجبة مطبوخة على الطريقة الموصلية، حتى يمكنه الحكم على صحة ما ذكرناه. وقد تأكل (الكمأة) نية دون طبخ، لكنها عسرة الهضم، أما إذا طبخت فإنها تصبح سائغة الطعم، لَذِيذة المذاق، سهلة الهضم.

لقد اعتاد الأغنياء والميسورون من أهل الموصل، بعد ظهور المجمدات والثلاجات، على شراء كميات كبيرة من (الجما) أثناء ورودها إلى السوق في موسمها وعرضها للبيع، من أجل تخزينها مجمدة في المجمدات، وإخراجها وطبخها في الفصول التي تختفي فيها، ذَلِك أن موسمها ربيعي فقط، أما في الفصول الأخرى فإنها لا تظهر في الأسواق. ومن أشهر من كان يخزنها في

منزله مجمدة هو طبيب العيون المشهور الدكتور عبد المنعم عبد الحميد (رحمه الله).

إن أفضل وقت للبحث عن (الجما) هو عند الفجر أو الأصيل حين تكشف أشعة الشمس الخفيفة، أي تغير بسيط يعتري سطح الرمال. وعند العثور عليه يجب حفظه في مكان مظلم، وبارد والأفضل وضعه في سلة، وعدم وضعه في كيس بلاستيكي، لتجنب فساده وتغير مذاقه.

ويبدو أن العرب كانت تعرف كيف تحتفظ به برهة من الزمن. يقال: إن الخليفة هشام بن عبد الملك كتب إلى عامل قد بعث إِلَيْه بكمأة: قد وصلت الكمأة وهي أربعون وقد تغير بعضها. فإذا بعثت شيئاً فأجد حشوها في الظرف بالرمل حتى لا يضطرب ولا يصيب بعضها بعضاً.

وقد ورد في الصحيحين عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ». وفي رواية: «دواءٌ للعين». يقال: إن الكَمْأة من المَنِّ، أي: من جنسه، تشبيها بالمنِّ الذي أُنزل على بني إسرائيل، لأنها لا تُغرس ولا تُسقى، ولا تُعتَمل، كما يُعتمل سائر نبات الأرض، وقد يكون معناها مِن مَنِّ الله وتَطَوُّلِه وفضله ورفقه بعباده، إذ هي من جُملة نِعمه. ويقال: "مِنَ المَنّ" أي مما منَّ الله به على خلقه بلا زرع ولا تكلف سقي.

هذه جولة سريعة مع (الكمأة) أو(الجما) أو(الفقع) أرجو أن أكون قد أعطيت نبذة سريعة عنها، وعن طرق طبخها، وطقوس أكلها، وفوائدها وأهميتها.

الكِشْك... أَكْلَة تُراثية
طَي النسيان

إن المصادر التي تتحدث عن أَكْلَة (الكِشْك) أو تشير إِلَيْها، نادرة سوى ما أشار إِلَيْه المؤرخ التراثي الأستاذ أزهر العبيدي [8]، فقد أضحت هذه الأكلة في طَيّ النسيان، وعلى وشك أن تنقرض، حيث لم يعد الموصليون من أجيالنا يتذكرونها إلا ما ندر، أما الأجيال التي ستعقبنا (أجيال أولادنا) فلم يسمعوا بها!.

طريقة عمل أَكْلَة (الكِشْك) كما ذكر الأستاذ أزهر العبيدي، مع التصرف والإضافة:

1. يسلق البرغل (الحبية، أو المدقوقة، أو الكَشْكَا، أو الهريس) أولا، ثم يوضع جانباً؛ ليبرد.
2. ينقع البرغل المسلوق المبرد باللَّبَن البقري (أو الخَاثِر إن وجد) لفترة من الزمن.

3. تؤخذ كمية من سيقان الشلغم الأحمر الطازجة الصغيرة المسماة (عضود)، فتقطع ناعماً، ثم تضاف إلى البرغل المنقوع باللَّبَن.



4. تجهز الخميرة بأخذ قطعة عجين مختمرة (خميرة)، وتذوب بالماء حتى تصبح سائلة كاللَّبَن وتخلط مع الجميع.

5. يترك الخليط في صينية لمدة يوم واحد ويغطى؛ ليختمر.

6. توضع المكونات في جرة أو برنية (بغنيي) وتغلق، أي: تكبس، لمدة اسبوع حتى تظهر حموضته (يطرشن).

7. يكون صالحاً للأكل مكبوساً (نيئاً)، أو يطبخ مع اللحم، وعصير ورق السلق الأخضر.

8. قَبْل أن ينضج الطبخ يضاف له السفرجل، أو حبة الخضراء الطرية المطحونة؛ لإعطائه نكهة خاصة، ثم تضاف حبات الكبة الصغيرة المسلوقة، أو اقراص الكبة الكبيرة المسلوقة، ويرش فوقها مسحوق أوراق النعناع.

تعد أَكْلَة الكِشْك من الأكْلات التي يُحِبُّها قدامى أهل الموصل، ويشترك في طبخها وأكلها كل من المسلمين والمسيحيين، ولكن لكل طائفة منهم طقوسه في طبخها ومواقيت أكلها. فقد اعتاد المسلمون على طبخها مرة واحدة في السنة، وعادة ما تكون في عز الشتاء (المغبعانية)، عندما يكون الطقس بارداً جداً، والأمطار تهطل بغزارة، فيجتمع أهل البيت، لاسيما يوم الجمعة لتناول هذه الأَكْلَة التي يُحِبُّها الكبار، ولا يُحِبُّها الصغار، ثم تصب في الصينية وتوضع على السجادة في وسط الغرفة، وتجتمع العائلة حولها، ويكون قد تم تهيأة المنقل واشعال الفحم حتى ينضج، ويصبح جمراً، ثم يدخل إلى الغرفة، ويوضع على النار إبريق ماء (قوري)؛ لتحضير الشاي، وتقديمه بعد الغذاء. أما إذا كان الجو صحواً، لكنه بارد ومشمس، فإن العائلة تجتمع في فناء الدار (الحوش)، ويجلس كل واحد على فرشة موضوعة على الأرض، أو على مقعد خشبي (تختة)، ويتجمعون حول الصينية؛ لتناول وجبة الطعام، ثم تناول الشاي. ما أجمل تلك الجلسات التي يجتمع فيها أفراد الأسرة على مثل هذه الأَكْلَة الشَعْبيَّة...! ما أحسن هذا الترابط الأسري والمحبة العائلية...! ما أروع

الحديث الذي يدور في هذا التجمع...! ما أعظم الإحساس... وما أرق الشعور في هذه الحياة...!!

ولا يفوتني هنا، أن أذكر تلك الأُغْنِيَّة التي تجسد عدم حب الصغار لهذه الأَكْلَة الشَعْبيَّة، أنظر العبيدي [8]، الموصل أيام زمان، صفحة 208:

كشك وعدس ما احبّو ...يويا

يغلي غلي وأصبّو...يويا

اصبّوا بالبواطي...يويا

واطعموا لخواتي...يويا

خواتي ما يأكلونه...يويا

طاف القدح بالمعين...يويا

وأشهدوا يا مسلمين...يويا

حس الجنيجل بالشط...يويا

كل من ما يلعب بنبط...يويا

اطشو بالبلوعة...يويا

وايد ججّو مقطوعة...يويا

أما المسيحيون فقد اعتادوا على تناولها مرتين في السنة على الأقل، لاسيما في الأعياد والمواسم الدينية. إذ كانت تطبخ وتوزع على الجيران

والأقارب والمعارف في عيد ميلاد المسيح (عليه السلام)، ونهاية رأس السنة، وكذَلِك في بداية الربيع في عيد الفصح المصادف إبريل من كل عام. وحسب علمي لا زالت بعض العائلات المسيحية، ولكن من الجيل القديم، تحافظ على تحضير هذه الأَكْلَة وطبخها في المناسبات، على سبيل المثال الإعلامي ماجد عزيزة يحرص على تناولها سنوياً وهو مقيم في كندا، ويؤكد على أن أكلة الكشك لن تنقرض، والسبب أن هذه الأكلة التي وصلت إلى مدينة تورونتو بكندا، ستبقى تراثا عراقيا موصليا أصيلا ما دام أن هناك أناس يحافظون على تراثهم واصالتهم:



ومن العادات الطريفة أن بعض العائلات اعتادت على تجفيف الكِشْك بعد استخراجه من البرنية، من خلال وضعه في صينية واسعة؛ ليترك تحت أشعة الشمس، ويكون عرضة للهواء الطلق، من أجل أن يصبح قطعة واحدة جافة،

ثم يخزن ويستخرج عند الحاجة، وينقع بالماء فيصبح طازجاً، ويطبخ مع اللحم وعروش السلق ويضاف إِلَيْه حبات الكبة الصغيرة أو قطع من الكبة الكبيرة تدعى (الكسمايا)، وهي عبارة عن أقراص كبة نصف دائري الشكل.

وأنا شخصياً أتذكر أني تناولت هذه الأَكْلَة ربما مرتين في حياتي، وطعمها غريب ما زلت أتذكره، فهو لاذع قليلاً، ويميل إلى الحموضة، إلا أن فيه نكهة غريبة. ولا بد من الإشارة إلى بعض الملحوظات التي أحببت أن أدونها وقد لمستها من خلال تجربتي:

1. إنها أَكْلَة مغذية لما تحتوي عليه من مكونات كما أوضحنا.
2. تفيد الجسم بتشكيل مناعة من خلال التخمر وما إلى ذَلِك.
3. لا يستسيغ كل إنسان مذاقها، لا سيما الأطفال؛ لعدم تعودهم على تناول مثل هذا الطعام الشعبي. أما الكبار، فإنهم قد اعتادوا على أكلها لأنها تؤكل شهوة، مرة واحدة في السنة أو مرتين على الأكثر. ثم إنها ليست أَكْلَة شائعة في المطاعم.
4. تطبخ عادة في موسم الشتاء، أو حين يكون الطقس مائلاً إلى البرودة؛ لأنها أَكْلَة تبدو ثقيلة إلى حد ما على المَعِدَة، تعطي طاقة كبيرة، يمكن أن يتحمل الجسم الحرارة المتولدة عن تلك الطاقة، أما في فصل الصيف فإنها

غير مرغوب فيها، مثلها مثل بعض الأَكْلات التي اعتاد الموصليون على تجنب طبخها في المواسم الحارة.

5. هي أَكْلَة موصولية موسمية، راقت للكبير ولم ترق للصغير لكنها تظل من التراث الشعبي الذي شاع في مرحلة من تَارِيخ الموصل الحديث، لكن بريقها بدأ يخبو شيئاً فشيئاً، وانتشارها يضمحل السنة تلو الأخرى، ويقل الطلب عليها، إلى أن عزف الناس عنها، بسبب التقدم الحضاري، وتوفر الكماليات ومتطلبات الحياة، وسبل رغد العيش والحياة الناعمة...

لهذا كله رغبنا أن نسهم في توثيق هذا التراث لحفظه خشية الاندثار في ظل هذه العولمة المنتشرة انتشار النار في الهشيم، دون أن تراعي قيم المجتمعات، وطقوس الشعوب، وعادات الناس، وتراث الأمم...

(الكَعَّوب).. أَكْلَة يُحِبُّها الفُقَرَاء

(الكَعُّوب) من النباتات العشبية الشوكية طوله يتراوح بين 4–10سم، ولونه أخضر فاتح يميل إلى الاصفرار، ينمو في منطقة الجزيرة غرب الموصل وسوريا، وهو نوعان: نوع رملي ينمو في المناطق الرملية من أطراف الجزيرة،

ونوع ينمو في قلب الجزيرة وهو المتميز بطعمه اللذيذ، وكبر حجمه مقارنة بالرملي. وفي هذا البند سنتناول الحديث عن: نبات (الكَعُّوب) بشكل عام، وموسمه، وكيفية الحصول عليه، وطرق طبخه، وطقوس أكله.

فقد عرف في الموصل بهذه التسمية وهي (الكَعّوب)، لكن اسمه المعروف في بعض البلاد العربية هو (العَكّوب) وهي كلمة آرامية (composees)، ويبدو أن التسمية الموصلية حصل فيها قلب بين الحرفين (العين) و(الكاف) وهذا وارد في كثير من التسميات عند كل الشعوب، وفي كل الأزمان.

ينمو (الكَعُّوب) بين الزرع في شهر (نيسان) في المناطق الرملية بالجزيرة غرب الموصل وقرب الحدود العراقية السورية، وتعد منطقة الجزيرة موطنه الأصلي، والغريب في الأمر أني لم أشاهده في أي مكان في العالم خلال جولاتي الكثيرة. يستعمل (الكرك) (أو المسحاة) في عملية اقتلاعه من الأرض، و(الكرك) عبارة عن عمود من الخشب طوله متر تقريباً، وفي نهاية أحد أطرافه، أي: في رأسه حديدة تشبه رأس الفأس. يتولى الفلاح أو المزارع استخراج (الكَعُّوب) من باطن الأرض بوضع نهاية (الكرك)، أي: طرف العمود بالقرب من البطن، والطرف الآخر أي الرأس على الأرض التي يوجد فيها نبات (الكَعّوب)، ويضغط عليه، وبهذه الطريقة يتم اقتلاعه من الأرض. وبعد

جمع كمية كبيرة منه يوضع في أكياس وترسل إلى (العلوة) أو سوق الخضار للبيع.

في منتصف القرن الماضي اعتاد البائعون من أهل الموصل حمل (الكَعّوب) في عليجة (كيس من القماش) أو في زنابيل أو سلال (مصنوعة من القصب)، ثم القيام بالتجول في المحلات والعوجات لبيعه، والمناداة بأعلى صوت: (كعوب)... (كعوب). وكانت غالبية العائلات تشتري حاجتها منه، وبذَلِك تكون قد حصلت على وجبتها المحببة، وحصل البائع على المال الوفير لعيشه.



أما شراؤه فهو مرحلة أُولَى، تتولى الخاتون أم البيت بعدئذٍ الإشراف عليه، وذَلِك بقطع الشوك الذي يوجد على أطرافه بالسكين، وتنظيفه منه تماماً، ثم تقوم بتقشيره، أي: إزالة القشرة الخارجية، حيث يتألف نبات الكَعّوب من قشور

ورقية مثل البصل والملفوف (اللهانة). ثم تقوم بغسله جيدا من التراب والرمال العالقة به، ويعد بعدئذ جاهزاً للطبخ.

ومن عادات أهل الموصل التفنن في طبخ (الكَعُّوب)، فبعض الناس يقوم بسلقه كاملاً بالماء المغلي المملح دون تقطيعه، وبعد حوالي نصف ساعة أو أكثر يصفّى من الماء ويصبح جاهزاً للأكل. كما أن هناك طريقة أفضل لطبخه وهي طريقة التطجين: أي سلقه أولاً، ثم تقطيعه إلى قطع صغيرة، ووضعه بالطاوة (المقلاة) أو القدر مع قليل من السمن وقليل من البصل والملح، وفي النهاية يوضع البيض عليه، ويقدم وجبة شَهيَّة مع الخبز الحار. كما أن هناك طريقة أخرى لطبخه، وتكون مع اللحم والبصل والطماطم أو معجون الطماطم، ويطبخ كما هو عليه في طبخ البامية أو القرعية، ويقدم مع الرز أو البرغل.

ومن الأمثال الشَعْبيَّة الموصلية المعروفة التي يوصف بها (الكَعّوب)، هي:

كعوب قاعد على الدرب... خباز ما يسند قلب

وكما أشرنا فإن (الكَعّوب) معروف في بعض الأقطار العربية باسم (العَكّوب) وكل قطر له طريقته الخاصة باقتلاعه، وبيعه وتنظيفه وطبخه أو حفظه. فمثلاً في سوريا بالإضافة إلى طبخه بطرقهم الخاصة، فإنهم يصنعون منه المخلل،

إذ يضعونه بعد سلقه وتبريده في علب ويضيفون إِلَيْه ماء وملحاً وقليلاً من السُّكَّر، ثم تغلق العلبة بإحكام، وبعد عشرة أيام تقريباً يكتسب اللون الأصفر، وهذا يعني أنه يصبح جاهزاً يمكن تقديمه على المائدة كوجبة غداء.

وخلال حديثي مع زملائي، في جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا في دولة الإمارات العربية المتحدة، من الجاليات العربية عن هذه الأَكْلَة الشَعبيَّة في الموصل، فقد علمت من صديقي الدكتور هاشم مناع من فلسطين، أن (الكَعُّوب) معروف أيضاً في فلسطين والأردن باسم (العَكّوب) ونظراً لخصوبة الأرض وكثرة المياه فيها، فإن نبتة أو كوز (العَكّوب) تنتشر في ربوع فلسطين لا سيما في المرتفعات والأغوار على وجه الخصوص، وقد يصل طولها أحياناً ما بين (30–60)سم، وذَلِك تبعاً لأماكن وجودها، وحسب خصوبة التربة وكمية المياه، وأوراق (العَكّوب) ذات لون أخضر لامع إلى حد ما، عليها ما يشبه الوبر الناعم، تنتهي بأشواك طرية في بداية مواسمها الربيعية حادة في نهاية مواسمها مع انتهاء فصل الربيع، وكثير من أهل فلسطين ينتظرون موسم (العَكّوب) بفارغ الصبر، بل يعد مصدر رزق لكثير من ذوي الدخل المحدود، ويمكن أن يجمع الفرد ما لا يقل عن (20) كغم في اليوم الواحد، ويبيعه بسعر عال جداً، وبعض المدارس تعطل يوماً لجنيه من أجل بيعه، وإيداع الريع في المدارس للصرف عليها. ويتم تنظيفه إما بالسكين أو بالمقص، وله طرق عديدة

في طبخه، إذ يتفنن أهل فلسطين بذَلِك، بل يعدون موسمه عرساً ربيعياً، فقد يطبخ باللَّبَن، أو بالبيض على طريقة العجة:



أو مع معجون الطماطم، ولا ينسى أنه يقلى بزيت الزيتون، وبالطبع يضاف إِلَيْه البصل والبهارات المعروفة، وكثير من الناس يقوم بتجفيفه كما يجفف بعض الخضار مثل الملوخية أو البامية، أو يقوم بتجميده في المبردات بعد وضعه في أكياس بلاستيكية بعد قليه بالزيت قلياً خفيفاً، أو سلقه سلقاً خفيفاً مع إضافة قليل من الملح، وكان المدرسون ينصحون الطلبة بضرورة أكله في بداية موسمه لأنه يساعد على الذكاء والنمو الجسدي، ويقوي العضلات.

وكم شعرت بسعادة غامرة لهذا التشابه في العادات والتقاليد وإن اختلف لفظ (الكَعّوب) بقلب بعض الحروف، وإني على يقين بأن الأمة ترتبط برابط ديني ولغوي وعروبي وتَارِيخي وتراثي وإنساني فكيف لا ترتبط بمثل هذه العادات

التي تكاد تكون واحدة في كل الأقطار العربية التي حباها الله بهذه النعم التي نسأله بأن يديمها علينا بالخير واليمن والبركة.

قلنا: إن (الكَعّوب) أو (العَكّوب) أَكْلَة شَعْبيَّة شائعة، شَهيَّة تفتح النفس، لَذيذة المذاق، خفيفة على المَعِدَة، يضاف إلى ذَلِك كله تلك الفوائد الجمة التي لمسناها، وخبرناها، وكما يؤكد خبراء التغذية عليها، أذكر منها أن: (الكَعّوب) مفيد جداً ونافع لتنحيف جسم الإنسان، وينصح من يعاني من ارتفاع الكولسترول والشحوم أن يأكل منه، وكذَلِك مرضى القولون العصبي، والإمساك المزمن، كما أنه يساعد على الهضم ويطرد السموم، ويقوي الأعصاب والدم وينقيه، ويدر البول، ويقوي القلب. ويعالج أمراض الكبد، وحصى المرارة، والصداع النصفي (الشقيقة)، و(البواسير)، وطارد للغازات، ومدر للدورة الشهرية عند النساء، ومخفض للحرارة، كما يعالج انخفاض ضغط الدم. وأخيراً، فإن جذوره تستخدم منشطة للجنس، ومقوية له. و(العَكّوب) غني بالألياف، والأملاح المعدنية لا سيما البوتاسيوم، ويحتوي على كثير من الفيتامينات المفيدة المغذية.

ولا شك أن ما تواجهه الخاتون أم البيت من عناء في تجهيز هذه الأَكْلَة الشَهيَّة، وما يلحق بها من وخز من شوكه، وعناء تنظيفه، وضياع وقت طويل في العناية به، يهون كله، بل إنها سعيدة كل السعادة لما قامت به من طبخ

بكل مهارة، وهنيئة كل الهناءة بتجهيز طبق لعائلتها، وهي على أحر من الجمر تنتظر أفراد الأسرة ليجلسوا على المائدة، لتفاجئهم بتلك الأَكْلَة التي صنعتها بكل تؤدة وفن، وهي في قمة النشوة حين تطالع رب الأسرة والأبناء وهم يتناولون هذه الأَكْلَة الشَعْبيَّة الموسمية، وهي فخورة وتشعر بكل اعتزاز وزهو، لأن الأسرة أكلت أكلاً هنياً، ولأنها اعتادت على التضحية والوفاء والقيام بحق الأسرة حق قيام

وهذا شأن كل أم بل كل فرد من أفراد الأسر في الموصل، إذ يتفانى البعض في سبيل الكل، فالإيثار هو عماد البيت الموصلي الأصيل، الذي أسأل الله أن يديم عليه السعادة والهناء والوئام والأمن والسلام.

قَلاَئِد التِّين المُجَفَّف

من خصال الموصلي أنه يحسن التدبير، ويعتمد على التمويل الذاتي، وتخزين المواد التموينية (الموني) لإخراجها واستخدامها في غير موسمها، أو عند الحاجة إليها. فخلال حقب زمنية منصرمة وعلى مر العصور والتاريخ، تعرضت الموصل لحصارات عدة: آخرها الحصار الأمريكي اللعين في نهاية القرن الماضي وامتد حتى بداية القرن الحالي، وسبقه حصار نادر شاه الشهير

للموصل سنة 1743م الذي دام (40) يوما وباء بالفشل، لشجاعة أهل المدينة وبسالتهم في الدفاع عن مدينتهم وحكمة قائدهم حسين باشا الجليلي. ولذَلِك فقد اعتاد الموصلي على تهيئة احتياجاته وتجهيز مواده التموينية وخزنها واستخراجها في المستقبل، من ذلك أنه خلال موسم الصيف وبعد جني ثمار التِّين الطازجة من الأشجار، يتولى المزارع الموصلي تجفيف ما يفيض عن حاجته ليستخرجه في الفصول الأخرى.

تنتشر أشجار التِّين المثمرة في جميع أنحاء الموصل وقراها ونواحيها وأقضيتها، وتعد ناحية سنجار وقضاء تلعفر غربي المدينة من اشهر المناطق الزراعية في انتاج ثمار التِّين التي تتميز بكبر حجم الثمرة وحلاوتها ومذاقها الطيب. وقد اعتاد أهل سنجار على جني ثمار التِّين في موسمه وتجفيفه بطرق فنية توارثوها عن آبائهم واجدادهم، ثم شكه (أي مرور الخيط من وسط حبة التِّين) بخيط سميك معد لهذا الغرض على شكل قِلاَدَة، حتى يصل طولها إلى مترين أو اكثر، تدعى قِلاَدَة التِّين أو قَلاَئِد التِّين، وعادة يعقد بداية الخيط مع نهايته وتصبح قِلاَدَة التِّين حلقة دائرية الشكل تشبه السبحة أو المسبحة، يقاس طول القِلاَدَة احياناً بطول الشخص الذي يحملها وتوضع في الزنبيل أو السلة المصنوعة من القصب وتغطى بقطعة قماش يخاط فوق فتحة السلة لحفظها ومنع دخول الأتربة اثناء النقل، وتسوَّق عادة إلى الموصل ثم عموم العراق وخارجه.



وتباع قَلاَئِدِ التِّين عادة عند البقالين في مناطق متعددة من الموصل، مثل: باب السراي وشارع النجفي، والساعة... وغيرها، وفي الزمن الماضي (زمن الخير) كان البائع المتجول يحمل الزنبيل بيده وهو معبأ بقَلاَئِدِ التِّين لغرض تسويقه في المحلات السكنية (العوجات).



قد تبدو صناعة هذا النوع من التِّين المُجَفَّف سهلة يسيرة، وما يوحي بهذا سهولة تناوله وأكله، لكنها في الحقيقة صناعة يدوية تحتاج إلى مهارة، ونظافة، ودقة، وجهد، ونفس طيب، ومكان صالح للصنع والحفظ، وبالتالي هي تَقليد لا بد من المحافظة عليه، عن طريق توارث الأجيال له، وعلينا أن نشجعهم وندعمهم على جميع الأصعدة لا سيما في تسجيله وتدوينه وعده تراثاً وتَارِيخاً لا يمكن الاستغناء عنه، بل الافتخار به... ولا يعرف متعة هذا وأهميته إلا مَن كابد صناعته، واستفاد من التجارة به، وتمتع بأكله... يضاف إلى ذَلِك كله تلك العادات الجميلة التي نحافظ عليها.

للتين فوائد عديدة لا تعد ولا تحصى، فقد أقسم الله به بقوله تعالى " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِين" هذا قَسَم من الله – جل وعلا– بالتِّين وهو الفاكهة المعروفة، وبالزيتون وهو الذي يستخرج منه الزيت وهو أيضا

معروف، وهذا هو الأظهر من كلام العلماء رحمهم الله، لأن الله – جل وعلا– خاطبنا باللسان العربي المبين... لقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن تناول ثلاث حبات من التِّين مع ست حبات من الزيتون معاً يوميا، أي بنسبة واحد إلى اثنتين، لها فوائد صحية لا تعد ولا تحصى وتكسب الجسم مناعة من جميع الأمراض، وربما هذا هو الإعجاز العلمي من هذه الآية الكريمة المباركة.

كما أثبتت التجارب الطبية أن التِّين يستخدم في الكثير من العلاجات: التنفسية، والسعال الديكي، والتهاب الحلق، والالتهابات الجلدية، والتقرحات، والثآليل (الفالول)، والمسامير... وغير ذَلِك. كما أن التِّين المُجَفَّف هو غذاء وعلاج، ويعد من أنجع العلاجات الطبية للمعاناة من الإمساك الذي يشكو الكثيرون منه، خاصة كبار السن، لأنه يحتوي على ألياف قابلة للذوبان وأخرى غير قابلة، وكلا النوعين ينظفان الأمعاء. وتنصح الدراسة بتناول خمس ثمرات من التِّين المُجَفَّف يومياً حتى يمكنك تلبية نسبة 20% من احتياجات جسمك اليومية من الألياف الغذائية التي تساعدك على تنشيط حركة الأمعاء وتخليصها من الفضلات، خصوصاً عند المعاناة من الإمساك. وينصح الباحثون بضرورة شرب كوب من الماء على الأقل بعد تناول التِّين المُجَفَّف، وإذا لم تظهر نتائج إيجابية خلال الساعات الثلاث التالية، فيمكن تناول ثمرة إضافية كل ثلاث ساعات حتى يمكن الوصول إلى النتيجة المطلوبة.

من التقاليد التي لا زالت راسخة في ذهني واتذكرها، هي أننا عندما كنا صبيان في المَدْرَسَة، نستيقظ مبكراً، ونلبس ملابس المَدْرَسَة، ونحمل (الجنف)

أي: الحقيبة المدرسية، وقد جهزته والدتنا (رحمها الله) بالتموين الغذائي اللازم، وهو القسب: التمر المُجَفَّف مع الجوز، وقمر الدين، والتِّين المُجَفَّف الذي ينتج في سنجار أو تلعفر، ونتوجه إلى المَدْرَسَة فرحين مع تجهيزاتنا وتموينِنا.

ومن الجدير بالذكر أن هناك بلدان عربية وغير عربية مجاورة تجيد صناعة تجفيف التِّين، مثل: الشام، والمغرب العربي، وتركيا، وايران ... الخ، وتعد هذه المهنة من أقدم المهن عبر التاريخ، وهذا ما أكده الرحالة ابن بطوطة في رحلته إلى خوارزم قائلا: اهل خوارزم يجففون البطيخ كما يجفف التِّين في بلادي (المغرب).

اللَّبَن الخَاثِر والقِشفي

اللَّبَن بشكل عام غذاء صحي يصنع من حليب الماعز أو حليب الغنم أو حليب البقر أو من أي نوع من أنواع حليب الحيوانات الأليفة اللبون. قد يكون الحليب مبستراً أو غير مبستر مقشوط (بدون قِشْطَة) أو بكامل دسمه، وقد يكون طازجاً أو مُجَفَّفاً.

أما اللَّبَن الخَاثِر فهو منتج من حليب النعاج (الأغنام أو الضأن) بعد أن يتم فصل القِشْفي منه ويكون قوامه أثقل من قوام الحليب الكامل الدسم وأخف من اللَّبَن الرائب، حامض المذاق، بسبب احتوائه على بكتريا اللَّبَنيك التي تحدث بسبب تخمر السائل أثناء فصل الزبدة عن القشدة، فهو مهم جدا في

ضبط حموضة المَعِدَة ويحتوي على بكتريا نافعة وفعالة ويمكن تقديمه كغذاء كامل عند الإفطار أو العشاء، ويقدم أيضاً كشراب بارد في فصل الصيف، يروي من العطش ويقاوم التعرق الزائد.

ويعد لبن الخَاثِر الأطيب بين الألبان، وله نكهة خاصة تميزه عنها ولا تجده إلا في الموصل أو الجزيرة العربية وبلاد الشام وخلال فصل الربيع فقط. أما القِشْفي أو القِشْطَة السميكة ذات الطبقات المتعددة فهي الناتجة عن تسخين حليب النعاج وتجمعه على سطح الحليب بشكل طبقات كثيفة بعد تسخينه، ثم ترفع الطبقة الكثيفة وتوضع في إناء خاص، وبتكرار العملية على هذا النحو نحصل على القِشْفي بسمك يبلغ ما يقارب عشرة إنجات.

تطورت صناعة الألبان في نهاية القرن الماضي وحالياً، وتم إنشاء مصانع خاصة لصناعة الألبان والقِشْطَة والأجبان ويستخدم عادة في هذه المصانع تقنيات عالية، ولا تلمسها الأيدي حفاظاً عليها من الجراثيم. وفي منتصف القرن الماضي كانت الألبان تصنع لاسيما في الموصل وشمال العراق بالطرق البدائية وباستخدام الأيدي ومعدات بسيطة، وغالباً ما يتم استخدام أواني من الفافون والفخار؛ لخزنها ونقلها، حتى لا تفقد نكهتها ولذتها ومذاقها الطيب، ولكن قد يتعرض بعض متناوليها إلى الإصابة ببعض الأمراض خاصة ما يسمى بـ "الحمى المالطية" التي تنتشر من خلال تناول القِشْفي المصنعة يدوياً

من حليب النعاج. وعلى الإنسان أن يكون حريصاً وأن يتوخى الحذر عند تناول هذا النوع من القِشْفي، لاسيما في النظافة، والنوعية، والصلاحية، ومكان الحفظ، فالوقاية رأس كل دواء.

وفي هذا البند نتحدث عن نوع خاص من الألبان يدعى لبن الخَاثِر والقِشْفي اللذين تشتهر في إنتاجهما الموصل وبعض القرى في شمال العراق وشرق سوريا.



وللموصليين طقوس وعادات في تناول لبن الخَاثِر والقِشْفي، وأوقات معينة يستمتعون بأكلها، فمثلاً: عندما يكون الجو بارداً، أو يميل إلى البرودة في بداية فصل الربيع يتم إعداد الموقد (المنقل) وإضرام النار بالفحم، وبعد نضج الاشتعال يسحب المنقل إلى داخل الغرفة، وتجتمع العائلة حوله، ويحضر

الشاي على الفحم، ويتم تناول القِشْفي ولبن الخَاثِر مع الشاي وخبز التنور الساخن



أو الخبز الرقيق اليابس (خبز غقاق) الذي يجهز مسبقاً من خلال رش الماء عليه ولفه في قطعة قماش، وبعد دقائق يصبح خبزاً رقيقاً طازجاً لذيذاً تلف فيه القِشْفي وتؤكل. ما أروع هذه الأوقات! ما أطيب الاجتماعات العائلية والأجواء الأسرية التي تلتقي فيها العائلة وربما معها بعض الأقارب والضيوف على شاي الفحم والقِشْفي ولبن الخَاثِر! نعم، كنا نحس بالدفء والحنان والأمان، ونستمتع بطعم المأكولات ولذتها على الرغم من بساطتها... كم كان يتخلل تلك الجلسات أحاديث وقصص وحكايات ومقالب وقوجمات! نعم، لقد كنا نمرح ونفرح لهذه الأفعال وهذه المقالب.

وقـد يتنـاول الموصـليون القِشْـفي ولـبن الخَـاثِر فـي الصـباح علـى مائـدة الإفطار مع الخبز الحار والشاي أو مع خبز رقاق والجوز والزيتون.



كمـا تتنـاول العائلـة لـبن الخَـاثِر والقِشْـفي فـي مناسـبات أخرى فـي العشـاء بعـد العودة من العمل وبحضـور جميـع أفراد العائلـة مجتمعين مسـرورين آمنين، لا سيما فـي موسم الربيـع مـع خبـز غفـاق والشـاي أو تتنـاول لـبن الخَـاثِر المغفوق (الشنينة) مـع وجبـة الغذاء الرئيسـة أو بعـدها مباشرةً، ويضـاف إِلَيْـه عـادة قليل من الملح، ما اطيب شرب الشنينة المملحة بعد وجبة الطعام الدسمة!

كنـت صـبياً فـي المرحلـة المتوسـطة، أخـرج فـي الصـباح البـاكر مـن محلـة حمام المنقوشـة، خاصـة يوم الجمعـة وأتوجـه إلـى بـاب سنجار أو رأس الجـادة، حيـث تتجمـع هنـاك بائعـات لـبن الخَـاثِر والقِشْـفي وغـالبيتهن قادمـات مـن قـرى ونـواحٍ فـي أطـراف مدينـة الموصـل، وأعـود إلـى البيـت محمـلاً بالقِشْـفي ولـبن

الخَاثِر الطازج المصنوع محليا قَبْل بضع سويعات! وفي طريق عودتي أميل إلى منطقة خزرج لشراء الخبز المنزلي الطازج. وفي أحيان أخرى كنا نشتري لبن الخَاثِر والقِشْفي من سَيِّد حمدي البقال في شارع الفاروق، أو من ابن حنون في منطقة الساعة، أو من غازي الحساوي في حضيرة السادة. ولابد من الإشارة هنا إلى أن في كل محلة أو منطقة أو عوجة يوجد من يشتهر ببيع اللَّبَن والقِشْفي، مثل: باب الجديد، والشفاء، وقرب الجسر الحديدي،...الخ. لا أعلم ماذا حصل هذه الأيام؟ أما تزال الأماكن التي ذكرتها عامرة ببيع اللَّبَن والقِشْفي؟

أخيراً لا بد أن أقول: إن الموصليين تمكنوا من أن يتميزوا عن غيرهم بهذا النوع من الألبان، لما يتمتعون به من كرم، وسخاء، وعطاء، وإتقان ينبعث من أنفسهم، وأرجو أن أكون قد قدمت ما ينفع ولو بشكل يسير، وما يذكّر بعادة من عادات الموصل الأصيلة، وما يدغدغ أحاسيس الغرباء بتقاليد بلادهم، وما يشجع الموصليين على جمع تراث أوطانهم وحفظه من الضياع.

جبن بِيزَة

الجُبْن بشكل عام غذاء صحي يصنع من حليب الماعز أو حليب الغنم أو حليب البقر أو من أي نوع من أنواع حليب الحيوانات الأليفة اللبون. قد يكون الحليب مبستراً أو غير مبستر مقشوط (بدون قِشْطَة) أو بكامل دسمه، وقد يكون طازجاً أو مُجَفَّفاً. ويعد الجُبْن المصنوع من الماعز هو الأطيب والأغلى ثمناً.

إن ما ذكرناه عن تطور صناعة الألبان، ينطبق على صناعة الأجبان، وكذلك ما يتعرض إليه متناولي الألبان والأجبان من أمراض، إذا لم ينتبهوا لنظافتها ومسألة البسترة.

وفي هذا البند سنتحدث عن نوع خاص من الجُبْن يدعى (جُبْن بِيزَة) الذي تشتهر بصناعته الموصل وبعض القرى في شمال العراق وشرق سوريا.



هناك أنواع كثيرة من الأجبان، ولكل بلد نوع من الجُبْن يختص بصنعه ويتميز به عن غيره. ومن أشهر الأجبان في العالم الأجبان الفرنسية فهناك حوالي 370 نوعاً من الأجبان المختلفة، ويقال: إن شارل ديغول قال مازحاً: كيف يمكنه حكم بلد فيه هذا العديد من أنواع الأجبان والأذواق؟ وهناك الجُبْن القاسي والجُبْن الطري اللين. فمن أنواع الجُبْن الصلب: الشيدار، والإيدام، والجودا، وتشتهر به سويسرا. وهناك الأجبان نصف الصلبة، مثل: الركفور، والجور، والجنزولا. وهناك الأجبان الطرية، منها النيف شاتل. وتتكاثر كائنات حية دقيقة في الجُبْن خصوصاً أثناء عملية الإنضاج ما يعطيها نكهات مميزة. وللجُبْن قيمة غذائية عالية، فهو مصدر للبروتين، والدهن، والأملاح، والكالسيوم، والفسفور، والكبريت، والحديد. يصنع الجُبْن بفعل أنزيم المنفحة الغني بالبكتيريا النافعة. ويمكن استخلاص حوالي 16 كغم من الجُبْن من كل 100 كغم من الحليب.

أما (جُبْن بيزا) الذي تشتهر به الموصل فيصنع من حليب الماعز أو حليب الأغنام (النعاج) ويخلط مع الجُبْن بعض الحشائش لاسيما الثوم البري الأخضر الذي يعطيه نكهة محببة، ويتم حفظه في حاويات تصنع من جلود الحيوانات تدعى الشجوة (الشكوة)،



ثم تدفن في باطن الأرض؛ لفترة معينة، لاستكمال تخمرها. ويسمى هذا النوع من الجُبْن (جُبْن بِيْزَة) أو (جُبْن البشاري) نسبة إلى قرية بشاري في شمال العراق، وتشتهر الموصل أيضا بصناعته، وكذَلِك بعض قرى شمال العراق وشرق سوريا. ومن أهم خصائص هذا النوع من الجُبْن أنه يبقى صالحاً للأكل طيلة أيام السنة.

التوث (التوت) والسُمَّاق

شجرة التوث (التوت) ذات الألوان المتعددة الزاهية، وارفة ظلالها تمتد جذورها في باطن الأرض نحو الأعماق بحثاً عن الماء، أما الأغصان فترتفع شامخة في السماء وأوراقها ندية وثمارها شَهيَّة، وخشبها صلب وقاسٍ. توجد شجرة التوث في المناطق الشمالية الغربية من آسيا (الموصل، سوريا، تركيا،

حوض البحر الأبيض المتوسط،...الخ) وجنوب أوربا. وأشهرها التوث الشامي، وتزرع شتلات التوث في نفس موعد زراعة أشجار الفاكهة النفضية أواخر الشتاء وبداية الربيع، والمسافة بين شتلة وأخرى 7–8 امتار، وتتكاثر بالتطعيم والعقل إضافة إلى البذور.



للتوت الطبيعي فوائد كثيرة؛ فهو غني بفيتامينات (أ، ب، ج)، مفيد لأمراض الكبد والضعف الجنسي والسُّكَّر، وفقر الدم وحرقان المَعِدَة والبلهارسيا والسعال، ينعم البشرة وغني بالفسفور والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والحديد والنحاس. استخدم الفراعنة عصير التوت شراباً لعلاج حالات البلهارسيا وحرقان المَعِدَة، ولعلاج حالات الكحة والسعال الديكي. قال عنه ابن البيطار: التوت الشامي يحبس الأورام. أما داؤد الأنطاكي فقد قال في تذكرته: التوت

يصلح الكبد ويربي شحماً ويطفئ اللهيب والعطش، ويفتح الشهوة، والسدد، وينفع لأورام الحلق واللثة والجدري والحصبة والسعال، وخصوصاً (شراباً) يبرئ القروح وحروق النار. ونظراً لاحتواء التوت على المواد السُّكَّرِية والبروتينية والأملاح المعدنية والفيتامينات، فقد وجد أن التوت مفيد جداً لحالات (فقر الدم). وله تأثيرات فعالة في خفض درجة الحرارة في حالات الحميات والحصبة، ولأن التوت قلوي التأثير؛ فهو يغسل الكلى والمسالك، ويزيد القابلية لتناول الطعام ويفيد المرضى في فترات النقاهة.

وثمار التوث الطازجة باهضه الثمن، يقارب سعرها هنا في الخليج العربي 50 دولارا للكيلو غرام الواحد، وهي نوعان: التوت الأبيض الذي تؤكل ثماره، وتتغذى على أوراقه دودة القز، وتكون أزهاره ذات لون أصفر مائل إلى الاخضرار، وأوراقه كثة. والتوت الأسمر أو البنفسجي وأشجاره أقل حجماً ونمواً من أشجار التوت الأبيض.

تحت أشجار التوث جرت حكايات وألقيت قصائد شعر، من أشهرها قصة الشاب الوسيم بيراموس والفتاة ثيسبي التي تعد أجمل عذراء في مدينة بابل، وذَلِك في عهد الملكة سميراميس... أقام هذان الشخصان منذ طفولتهما في بيتين متجاورين. ولما كبرا ودخلا في طور الشباب، تحولت صداقتهما إلى حب شديد. غير أن والديهما لم يوافقا على زواجهما، وحرما عليهما كل اتصال

بينهما، فلم يتمكنا من التحدث معاً إلا بالإشارات واللحاظ. فاتفقا ذات يوم على أن يلتقيا معاً، في إحدى الأمسيات، تحت شجرة توث خارج سور المدينة مباشرة. فذهبت ثيسبي إلى مكان اللقاء قَبْل حبيبها، فإذا بها، وهي تقترب من الشجرة، تجد أمامها لبوة مفزعة تكشر عن أنيابها. فصرخت الفتاة وأطلقت العنان لقدميها فراراً من تلك اللبوة. وفي ارتباكها وعجلتها، سقط منها خمارها وهي تجري. غير أن اللبوة لم تحاول مطاردتها، وإنما أمسكت بالخمار بفمها المضرخ بالدم، ثم تركته. وبعد مدة غير طويلة غادرت المكان وانطلقت نحو غابة مجاورة. في تلك اللحظة أقبل بيراموس إلى الملتقى فأبصر خمار حبيبته على الأرض ملوثاً بالدماء، فاستولى عليه خوف شديد، وصاح يقول: " لقد قتلت ثيسبي، ولكنها لم تمت وحدها! " بمجرد أن نطق بهذه الألفاظ، استل حسامه وأغمده في جنبه، فسقط على الأرض يتخبط في دمائه. وبينما هو يلفظ آخر أنفاسه، جاءت ثيسبي ولكن سبق السيف العذل، فلما رأت ما حدث، بحثت عن مهرب من حياتها التي ما عادت لها قيمة ولا فيها أية بهجة. فكان نفس الحسام الذي قتل حبيبها هو وسيلة موتها. فصعد الدم المختلط من دميهما فوق جذع شجرة التوت، وخضب ثمارها باللون الأرجواني الداكن. وهكذا ظلت ثمار التوت مصبوغة بذَلِك اللون حتى يومنا هذا، تخليداً لذكرى هذين العاشقين...

وهذه مقاطع من قصيدة شعرية تحت عنوان «من بساتين بلاد الشام» وفي فصل تحت عنوان (التوت) بيتان للسان الدين الخطيب يقول فيهما:

أقول له إن ابتعنا عصيراً / وجاورنا المنازل والبيوتا

لعلك ياحبيب القلب تأتي / وتأكل عندنا عنباً وتوتا

ولعل الشاعر معد الجبوري من أبرز الشعراء العراقيين الذين اتخذوا من شجرة التوت في الموصل رمزا وفضاء في أكثر من قصيدة من قصائده، كقوله مثلا وهو يربط بين نساء الموصل أيام زمان وشجر التوت:

بينَ أحضانِ تلكَ البيوتْ...

شجرُ التُّوتِ،

مثل النساءِ اللواتي ولِدْنَ بِها

شامِخٌ أبداً

وصَبورٌ، صَمُوتْ...

تتساقطُ أوراقُهُ مثلَهُنَّ،

ولكنَّهُ لا يُغادِرُ

حتى يموتْ...

أما السُمَّاق؛ فهو شجيرة يصل طولها إلى مترين تنمو بين الصخور وعلى الهضاب، ثمارها عبارة عن حبوب السُمَّاق التي تطحن وتكون ذات لون خمري جميل، وطعمه حامض طيب المذاق.



للسُمَّاق فوائد كثيرة كما أشار إلى ذَلِك ابن سينا: السُمَّاق يمنع النزيف، يسوّد الشعر، مضاد للروماتيزم، يمنع قيح الاذن، يسّكن وجع الأسنان، دابغ للمَعِدَة ومُقَوٍّ لها، يسكن العطش ويشهي لحموضته ويسكن الغيثان الصفراوي، يعقل الطمث والنزف ويحقن به للدستناريا ولسيلان الرحم والبواسير. أما ابن البيطار فقال عنه: يسود الشعر (طبيخ أوراقه) يقطع قيح الأذن، إذا تضمد بالورق مع الخل والعسل أضمر الداحس ومنع الغرغرينا من الانتشار في الجسم، مضاد

للإسهال المزمن، يزيل خشونة الأجفان، يقطع سيلان الرطوبة البيضاء من الرحم ويبرئ من البواسير، مشهي جيد للطعام. كما أن السُمَّاق يستخدم في الغذاء والصناعة حيث يستعمل لتحميض بعض المأكولات فيحسن طعمها ويطيب نكهتها ويضاف إلى نبات الزعتر فيعطيه الحموضة المرغوبة... ونظراً لاحتواءالسُمَّاق على كمية كبيرة من المواد العفصية "دابغة" فإنه يستعمل في صناعة دبغ الجلود ويسمى "حشيشة الدباغين" وكان يستخدم كثيرا في الأطعمة، أما الآن فقد قل استعماله.

بعد أن استعرضنا فوائد ثمار التوث والسُمَّاق وقصصنا أشهر القصص التي خلدتها شجرة التوث، لنعد إلى منتصف القرن الماضي في الموصل الحبيبة. كنت أسكن في بيت جدي وكان جارنا ملا ذنون الخزرجي كما أشرنا إلى ذَلِك في حديثنا عن محلة حمام المنقوشة. ويفصل بين المنزلين جدار متهالك قديم ولكن لم نكن نعلم أتعود ملكيته إلى دارنا أم دارهم؟ كل واحد منا ينافس الآخر على ترميمه ودهنه وجعله رمزاً للمحبة والجيرة الحقة.

كان في منتصف فناء (حوش) دار المرحوم ملا ذنون شجرة توث عملاقة تكاد تغطي أغصانها المنزلين، وكانت تثمر توثاً أسود طيب المذاق. كنا ننتظره بفارغ الصبر ونتابع تساقط الثمار، خاصة أثناء هبوب الرياح، بل كنا نتعمد هز الشجرة لتتساقط الثمار طيّبة المذاق، فنتولى تجميعها وأكلها

والاستمتاع بمذاقها. وكانت الثمار تترك أثراً واضحاً على وجوهنا وأيدينا وحتى ملابسنا، حيث تتلون شفاهنا وأيدينا وثيابنا باللون الأسود، مما يسبب لنا مشكلة في البيت، حيث نحصل على قسط من العقاب وتخرج الأَكْلَة من خشمنا.

ومن العادات والتقاليد المعروفة آنذاك، في موصلنا الحبيبة، في منتصف القرن الماضي، والتي لا زالت بعض العوائل العريقة في الموصل تحافظ عليها هي أن بعض الناس يجمعون ثمار التوث ويجففونها ويدقونها ويخلطون معها السُمَّاق المسحوق؛ فيصبح خليطاً طيب المذاق نطلق عليه اسم "التوث والسُمَّاق" والبعض الآخر يضيف إلى الخليط حب بطيخ، بعد أن يُقلى بالطاوة (المقلاة) ويبرد ثم يطحن (يدق) وينخل بالموخل، ويتم عزل القشرة عن اللب ثم يضاف اللب إلى التوث والسُمَّاق. وكنا نستمتع بالتهام الخليط فهو حامض بفعل السُمَّاق وحلو بفعل التوث؟ كان البقال يبيع هذا الخليط معبأ بقمع من الورق، وبحجمين: قمع صغير بسعر فلس واحد، وقمع كبير بسعر فلسين اثنين! كنا نشتري الخليط من البقال ونعمل ثقباً في أسفل القمع ونضعه في الفم، ونستمتع بالتهام تلك الأَكْلَة التُراثية المفيدة الطيّبة المذاق. كما كان بعض الصبيان يضعون اقمعه التوث والسُمَّاق في سلة أو صينية ويجلسون بالقرب من المدارس لبيعه وتسويقه للطلبة. وبعد أن ارتفعت الأسعار اصبح سعر القمعين عانة (العانة = 5 فلوس).

حَلاَوَة الخضر... تَقْليد مَوْصِلي

تعد العادات إحدى دعائم هوية الأمة، وهي التي تبني جسراً من الحميمية والحب بين الأجيال، وتحافظ على امتداد الحياة الاجتماعية بكل مقوماتها. فالأبناء يتوارثونها بقدر ما تعطيهم من دفء الماضي؛ لسرعة تغير الحاضر، وتطوره... فهي تمثل الوفاء للآباء والأجداد، من خلال التمسك بقيمها، وتعبر عن الأخلاق السامية...



ولا شك أن "حَلاَوَة الخضر" تمثل تظاهرة واحتفالية اجتماعية في الموصل تنعش الأسواق والأماكن الخاصة بها، في مواسم خاصة بها، في وقت محدد من كل سنة. فهي تصنع في الجمعة الأُولى من موسم الربيع من كل عام. وأتذكر أنني عندما كنت صبياً، بعمر عشر سنوات، منتصف القرن الماضي (1950–1960)، كنت أرافق والدتي (رحمها الله) التي تتولى تجهيز المواد

الأساسية (المونة)، وهي عبارة عن: السمسم والجوز والهيل، ونأخذ معنا الصينية، ونذهب إلى معمل لصناعة "حَلاَوَة الخضر" في "باب البيض" ويعد الأقرب إلى منطقتنا محلة "حمام المنقوشة"، وعند وصولنا إلى المعمل كنا نشاهد الكثير من العائلات في تجمعات تنتظر دورها، وكأنها في عرس، الكل يحمل مكونات "حَلاَوَة الخضر" والأواني مختلفة الأحجام. وكان المصنع عبارة عن أحد البيوت في تلك المنطقة، وصاحب المصنع (الحلاوجي) صانع ماهر يعرفه أهل الموصل كلهم، فقد توارث سرّ هذه الصناعة وطقوسها عن الآباء والأجداد. وظل وفياً لهم ولصناعتهم، يؤدي واجبه على أكمل وجه، بكل نشاط ورحابة صدر، ويقوم بصناعتها بكل جودة وإتقان، وكأنه يصنعها لنفسه ولأهله، فهو بذلك يحقق أهدافه وغاياته، لا سيما ما يجمعه من مال في هذا الموسم لقاء أتعابه، ويحيي موسماً ينتظره من سنة إلى سنة... وهذا (الحلاوجي) كان يعتبر نفسه إنساناً صاحب عدل يؤمن بالمساواة، مسؤولاً عن النظام، وإرضاء الناس كل الناس، لا يفضل أحداً على غيره، ولذلك كان عليه أن يتبع نظاماً يرضي الجميع، يقوم على إعطاء الأولوية في الدور لمن يأتي أولاً، أي على الجميع اتبّاع الدور والالتزام به، وهم فرحون بهذا الأسلوب الذي يتبناه (الحلاوجي). وعلى هذا الأساس فإنهم ينتظرون دورهم بسعادة وأمان، لأن الدور سيصلهم مؤكداً. وقد يجد من يراقب تلك الوجوه هناءة وبشاشة؛ لأن الناس يتبادلون الأحاديث ويتناقلون الأخبار، ويبثون همومهم إلى بعضهم

البعض أثناء الانتظار، ويشاهدون وجوهاً جديدة، تذوب فيها الفوارق الاجتماعية، والأهم من هذا وذاك ما ينتج من تعارف وتآلف بين الناس، يقوي أواصر الصداقة والمحبة بينهم، خاصة إذا ما عرف أن الانتظار لا يكون أقل من ساعتين... يضاف إلى ذَلِك كله أن الرائحة الطيّبة التي تنتشر من صناعة "حَلاَوَة الخضر" بعد وضعها في الأفران الخاصة بها وإخراجها لا سيما تلك الرائحة المنبعثة من السمسم الممزوج بالسُّكَّر والهيل المرصع بالجوز وبعض المكسرات... وحين يأتي الدور على أيٍّ من المنتظرين، فإنه يظهر فرحته لأن الفرج آت، فيقوم بتقديم وعائه وما لديه من مكونات "حَلاَوَة الخضر" لـ(الحلاوجي)، الذي يقوم بدوره بصناعتها على حجم الصينية التي قدمها صاحبها له.

وقد يعتقد المرء أن "حَلاَوَة الخضر" بعد أن يتسلمها صاحبها من(الحلاوجي)، يمكن أن يبدأ بقطعها وأكلها... والأمر ليس كذَلِك. فهناك طقوس خاصة بتقطيعها ووقت أكلها... وهناك عادتان كل منهما متبع عند أهل الموصل:

الأُولَى: تتمثل في أنه لا بد أن تترك ليلة كاملة في البيت دون تقطيع، ودون أن ينقص منها شيء. فقد كانت أمهاتنا وجداتنا يقلن لنا: يجب أن تبقى (الصينية) على حالها، في البيت، طيلة الليل، حتى يأتي الخضر(عليه السلام)

ويضربها بعصاه، لتحل البركة فيها، ومن ثم تصبح مباركة جاهزة للتقطيع والأكل. وهذه الفئة من الناس أقل تشبثاً بحذافير المعتقدات.

والأخرى: تتمثل في أن بعض العائلات كان يقصد مقام الخضر (عليه السلام) في (الجامع الأحمر) المعروف بـ(جامع مجاهد الدين) أو (جامع سَيِّدنا الخضر) (عليه السلام) على (نهر دجلة) مقابل الإعْدادِيّة الشرقية حالياً ومجاور للنادي العسكري؛ لكي تحصل البركة ويعود بها إلى البيت. وهذه الفئة من الناس أكثر تمسكاً بالتقاليد والمعتقدات؛ وهذا يمثل جانباً من موروثها الفكري والديني والنفسي.

وكان على أفرد كل عائلة تصنع "حَلاَوَة الخضر" أن تنتظر قضاء الليل، وهي تتلمظ، وتنظر إلى تلك (الصينية) شزراً، تتمنى أن تحين الفرصة لتنقض عليها، لأنها بالفعل أكله مغرية من ناحيتين: رائحتها، وطعمها المعهود... وما أن يبدأ الليل بخلع أثوابه، ويتنفس الصباح، ويرسل تباشير الانفراج حتى نبدأ بتقطيع القرص الكبير، وأكل ما وسع الفرد أن يلتهم ما لذ وطاب منه، مستمتعاً به، ما أصعب الانتظار...! وما أجمل الانفراج...!

والجدير بالذكر أن صاحب المصنع كان على درجة من الذكاء والعطف والحنان والإنسانية لأنه كان على دراية بتلك الطقوس التي تحرم الصغار من تناول أية قطعة من الحلوى إلا بعد انقضاء الليل، والأطفال ليس لديهم الصبر

على الانتظار، وهمهم الوحيد هو أكل الحلوى بأي طريقة وأي ثمن، دون اكتراثهم بتلك التقاليد لعدم إدراكهم لها، فكان (الحلاوجي) يقوم بعمل قرص صغير جداً، يقدمه هدية للأولاد... وهذا القرص هو الذي تُقضى به حاجة الطفل الذي ليس لديه الصبر الكافي على الانتظار، فيلتهمه، قانعاً به إلى الصباح، فيشارك أهله بتناول تلك الحلوى التي طالما انتظرها، وحدثته نفسه بها. وهذا يمثل بلا شك معرفة (الحلاوجي) بتلك العادات التي يحترمها ويقدرها ويؤديها على أكمل وجه، وجهل الطفل بتلك العادات والطقوس التي يؤمن بها الأهل، وكانت سبباً في حرمانه من تحقيق بغيته في التهام تلك الحلوى...



"**حَلاَوَة الخضر**"... **نذور وبركة:** لـ"حَلاَوَة الخضر" كما أسلفنا طقوس متوارثة عن الأجداد الذين داوموا على عمل تلك الحَلاَوَة منطلقين من البساطة والخرافة أحياناً بأن (الخضر عليه السلام) لابد من مروره على صينية الحَلاَوَة، وبالتالي فإنه سيمر بهذا البيت الذي سيزيده بركة، وهي مناسبة كذَلِك للإيفاء بالنذور التي تنذرها العوائل لأبنائها الذين قد اجتازوا محنة، أو نجحوا في الامتحان، أو أصابهم من المرض أو ما شابه وقد شفاهم الله منه فلا بد من عمل الحَلاَوَة تنفيذاً للنذر.

كما أن "حَلاَوَة الخضر إلياس" تسمى أيضًا "حَلاَوَة الباعوثة ". فقد اعتاد المسيحيون تقديمها وأكلها بعد صوم أيام (باعوثة نِينَوَى)، وهو الصوم الذي يسبق الصوم الآربعيني، وربما يعبر ذَلِك عن توبة القلب بالصوم والصلاة، لنيل غفران الخطايا. فبعد صوم هذه الأيام الثلاثة يأكلون حَلاَوَة الزمن " حَلاَوَة الباعوثة" تعبيرًا عن الفرح والبهجة بعد نيلهم غفران خطاياهم، كما نال أهل نِينَوَى الصفح عن خطاياهم بعد صوم نادى به يونان النبي (يونس) أهل نِينَوَى.

وبعد، فهذه (حَلاَوَة الخضر) تمثل عادة من عادات أهل الموصل فعادات الأمم مرآة لحضارتها، وانعكاس لتفكيرها، ونمط من سلوكها، وصورة عن ممارساتها، وهي في الوقت ذاته تعبر عن النفوس الطيّبة الساذجة التي تتأثر

بالجوانب الإيجابية والمعتقدات مهما كانت على درجة من الصحة أو جانبت الصواب.

وإذا قال قائل: إن هذه من الأساطير التي لا يمكن أن يقبلها العقل حيث إن الخضر عليه السلام لا يمكن أن يقوم بذَلِك، قلنا: إن هذا المعتقد وإن كان غير قائم على أساس علمي سليم، أو غير ممكن الحصول، فإنه يظل تَقْليداً من تقاليد أهل الموصل التي سادت ولا زال بعض الناس يتمسكون بها، وهي جزء من تَارِيخهم وحياتهم البسيطة الهادئة غير المعقدة التي لا تعرف طريقاً إلى الزيف أو الكذب أو النفاق... وتبقى هذه العادة، على الرغم من صحة المعتقد أو خطئه، تدل على إيجابية تقوم على إحياء مواسم معينة، في أوقات محددة، وجمع الأهل عند أكلها، وإكرام الأبناء والضيف الذي يعد من النخوة والشهامة، وهي من العادات الصحية والأصيلة عند العرب.

الجرزات (المُكَسَّرات)
تسلية وصحة وتقاليد

الجرزات أو الكرزات أو المُكَسَّرات بأنواعها الخشنة والناعمة، مثل: الفستق، البندق، الجوز، اللوز، الكازو (الكاشو)، البطم، الحبة الخضراء (حبة خضرا)، الحب الأحمر، الحب الأسود، الحب الأبيض، السسي، الاكضامة، فستق العبيد (الفول السوداني)، وحب شمس (فستق المفاليس)، وغيرها من الحبوب والثمار التي تشتهر بإنتاجها مدينة الموصل أو تستوردها من خارج العراق، هي مفيدة لبناء جسم الإنسان ومملوءة بالعناصر الغذائية إذ تحتوي على بروتين عالي الجودة والكثير من الفيتامينات والمعادن، إضافة إلى الألياف الغذائية، كما أنها خالية من الغلوتين. وقد أكدت العديد من الأبحاث على أن تناول كميات صغيرة من الجرزات بشكل دائم يمكن أن يقلل من أخطار الإصابة بأمراض القلب وبعض أنواع السرطان والسُّكَّرِي من النوع الثاني ومشاكل صحية أخرى. كما أن تناول المكسرات هو جزء من برنامج الغذاء الصحي والجيد لإعطاء القلب مزيدا من القوة والنشاط والسلامة من الأمراض، وتحديدا للشرايين التاجية وعضلة القلب النابضة.

الجوز: تتفاوت الفوائد الصحية للجرزات حسب النوع، فالجوز مثلا هو أكثرها فائدة صحية، ويجب تناوله بكميات أكبر في إطار الوجبات السليمة،

وخاصة ما بين الوجبات الثلاثة الرئيسة. وتحتوي ثمار الجوز على أعلى معدل من مضادات الأكسدة من بين كل أنواع الجرزات الأخرى، وتساعد مضادات الأكسدة الجسم على مقاومة الأمراض. وفائدة مضادات الأكسدة أنها توقف التفاعلات الضارة التي تؤذي خلايا الجسم في عملية الأكسدة. كما أن مضادات الأكسدة الموجودة في الجوز تزيد في قوتها ضعفين إلى 15 ضعفاً عن قوة فيتامين إي (E) المعروف بأنه يحمي الجسم من الكيماويات الطبيعية الضارة المسؤولة عن الأمراض. وتشتهر الموصل بإنتاج الجوز الذي تنتشر أشجاره في شمال العراق، وتتميز شجرة الجوز بأنها شاهقة وتعد أخشابها من أفضل الأخشاب متانة وجمالا وتستخدم في تصنيع الأثاث المنزلي. وثمرة الجوز كروية الشكل صغيرة مغلفة بقشرة خشبية رقيقة وفي داخلها اللب الطري اللذيذ، يكسو القشرة الخارجية غلاف قشري آخر طري لونه أخضر غامق يميل إلى الأسود.

أعتاد أهل الموصل في القرن الماضي شراء الجوز من الأسواق ويتولون في البيت تكسيره واستخراج اللب وتنظيفه وتجهيزه للأكل واستخدامه في صناعة الحلويات كالبقلاوة والكليجة وغيرها. أما القشور الخشبية للجوز فتجمع وتستخدم للتدفئة مع الفحم أو تخلط مع فضلات الحيوانات وتستخدم في تسخين التنور لطهي الخبز المنزلي. أما الغلاف الخارجي اللحمي الذي يغطي القشرة الخشبية ويسمى (الديرم) فتستخدمه السَيِّدة كحمرة الشفاه (ماكياج)، ويعد

ماكياجا طبيعيا يستمر لونه على الشفاه عدة أيام. لقد اعتاد أهل الموصل في القرن الماضي على الاستفادة القصوى من موارد الطبيعة وعدم إهمال ما هو مفيد في الحياة اليومية، أي أن المرأة الموصلية اقتصادية (مدبرة). في الوقت الحاضر تشتري العوائل الموصلية الجوز مقشرا وجاهزا ومعدا للاستهلاك. ومن الجدير بالذكر أن للجوز تسمية أخرى في منطقة الخليج ومصر وهو (عين الجمل).

الفستق: وتشتهر الموصل بزراعة أشجاره، وتعد شجرة الفستق من الأشجار المعمرة وبطيئة النمو وعادة تعمر من 700 إلى 1500 سنة، منفصلة الجنس ثنائية المسكن متساقطة الأوراق لا يزيد ارتفاعها عن 7 إلى 9 أمتار. كما أن شجرة الفستق تحمل بين سنة وأخرى؛ أي إذا حملت وأثمرت في سنة معينة، فمن المتوقع في السنة التي تليها أن يكون حملها ضعيفا جداً. وشجرة الفسق جميلة جداً خاصة عندما تزهر وهي أليفة. في منتصف القرن الماضي كانت هناك مزارع للفستق في الموصل، أذكر منها مزارع الفستق في المنطقة المجاورة لحي الضباط والمالية امتداداً حتى منطقة النبي يونس (عليه السلام)، وكذَلِك المنطقة التي تقع على طريق الطيران التي كان يشرف عليها بيت النجم، وعندما كنت ادرس الدكتوراه في لندن خلال 1976-1979م كان صديقي وجاري في الدراسة الدكتور المهندس عبد الإله النجم (أبو بسمان)، واعتاد أهله إرسال الفستق الموصلي مع قشره الأخضر اللطيف في موسم

إنتاجه، وكان يقدم لي جزء منها. لا زلت أتذكر طعم ذَلِك الفستق الذي يتصف بالحبة الكبيرة التي لم أشاهد مثل حجمها في العالم ومذاقها الطري الرائع.

تعد مدينة الموصل موطن الفستق، كما تعد مدينة حلب السورية التي مناخها يماثل مناخ الموصل، من أشهر المدن في العالم في إنتاج الفسق الذي يسمى (فستق حلبي). ومن الجدير بالذكر أن شجرة الفستق معروفة منذ عهد الآشوريين ويعود أصلها إلى شجرة البطم التي توجد في المناطق البعلية (التي تعتمد على الأمطار في الري) بشكل طبيعي ويعتقد أن شمال الموصل وسورية والمناطق الجنوبية من آسيا الصغرى هي الموطن الأصلي لها حيث يوجد في منطقة عين التينة في جبال القلمون السورية أقدم أشجار الفستق ويزيد عمرها على 1800 سنة ولا تزال تحمل ثماراً وتنتشر الآن زراعة الفستق في غالبية محافظات سوريا.

والفستق هو الذي يمتاز بارتفاع نسبة الحديد فيه والكالسيوم مقارنة بغيره، ويعد من الثمار التي تعطى كمية كبيرة من السعرات الحرارية مثلها مثل أنواع الجرزات حيث يعطى الفستق 580 سعره حرارية لكل 100 غرام. ويتميز الفستق بأنه يحتوى على نسبة عالية من الأحماض الدهنية أحادية عدم التشبع وهي تتفوق بذَلِك على بقية الجرزات الأخرى حيث يزيد على 70% من الدهون الكلية في الثمرة وبمعنى آخر فإن قيمتها الصحية عالية حيث يعمل هذا النوع

من الأحماض على الحد من ارتفاع الكولسترول بل يؤدي إلى خفض الكولسترول المرتفع وخصوصاً الكولسترول الضار وهو الذي يسبب تصلب الشرايين.

وتعتبر ثمار الجوز والفستق ذات قيمة غذائية واقتصادية عالية حيث تدخل في صناعة العديد من الحلويات الشرقية، كالبقلاوة والكليجة والدوندرمة (البوظة) والسجقات والراحة ومن السما. كما يضاف إلى الجوز والفستق واللوز العسل الطبيعي مع شمعه ويباع بأسعار مرتفعة باعتباره مفيد في التغذية وصحي. ويستخرج من أوراق شجرة الفستق زيت يدخل في استعمالات عطرية وصناعية لا تقدر بثمن ويستخدم مطحون الجذور مع الزيت لمعالجة سعال الأطفال أما منقوع القشرة الخارجية للثمار فيستخدم في حالات الإسهال، وفي الهند تستعمل القشرة الخارجية في دباغة الجلود.

ومن الأمور التي لم تزل عالقة في ذهني منذ منتصف القرن الماضي، أن باعة الفستق المتجولين بين الأزقة والعوجات كانوا في موسم جني الفستق، يحملونه بالسلال أو الزنابيل أو العلايج (سبق أن مر ذكرها في مقالات سابقة) وينادون بأعلى صوت: فستق... فستق، وكنا نشتري منهم غير المقشر بمبلغ بسيط وكان الميزان هو العين أو بالبيالة (الإستيكان) أو الطاسة، المهم كنا نفرح كثيرا ونبدأ بتقشير الفستق ونفتح الواحدة تلو الأخرى علَّنا نحصل على

حبة فيها لب!. أحيانا كنا نضع حبات الفستق المغلفة بقشرتها في إناء (سطل) مملوء بالماء، فإذا سقطت الحبة في قاع الإناء يعني أنها ممتلئة وإذا طافت فهي فارغة، وكان من النادر حصولنا على بضع حبات تحتوي على اللب، ونسعد بذَلِك.

البطم: وهو من عائلة الفستق، وأحيانا تطعم شجرة البطم لتصبح شجرة فستق. وشجرة البطم تعيش في شمال العراق وتنتشر في المشرق العربي والمغرب العربي وجزر الكناري وجنوب أوروبا ووسط وغرب آسيا، وهي أشجار وشجيرات صغيرة تشبه شجر الفستق، تمتاز بأوراق صغيرة ويصدر عن صمغها رائحة مميزة. وتحمل ثماراً بشكل عناقيد، وحجم الحبة الواحدة اصغر من حجم حبة الفستق. كما أن المادة الراتنجية التي يفرزها نبات البطم تستعمل في صناعة المسكة وكان قدماء المصريين يستعملونها في طلاء صناديق المومياءات. كما أن من عادات أهل الموصل التمتع بتناول البطم كأحد أنواع الجرزات المُفَضَّلة وخاصة في موسم الشتاء. أما في مجال الطب والاستشفاء فللبطم وزيته وصمغه مكانة مرموقة كما ذكر كل من ابن سينا وابن النفيس الدمشقي عن فوائده في علاج الأورام، وأمراض الكبد، ومرض البردة الذي يصيب جفن العين، بالإضافة إلى فائدته الكبيرة للمفاصل، كما أنه معقم قوي ومفيد في علاج لسعات الحشرات، وأيضاً طارد للحشرات، وصمغ البطم يفيد

في علاج أحد أنواع السرطان وفي علاج الجرب كما ورد في كتاب القانون في الطب.

الحبة الخضراء (حبة خضرة): تعيش أشجار الحبة الخضراء في المناطق نفسها التي تعيش فيها أشجار البطم كما تنتشر في جنوب أمريكا الشمالية (المكسيك وتكساس). وهي أشجار مرتفعة تحمل ثمارا بشكل عناقيد وحجم الحبة الواحدة اصغر من حجم حبة البطم. وعادة ما تكون الحبة صغيرة ومكسوة بالقشرة اللحمية الخضراء ولهذا تدعى بالحبة الخضراء. كما أن من عادات أهل الموصل التمتع بالحبة الخضراء كأحد أنواع الجرزات المُفَضَّلة خاصة في موسم الشتاء. كما أن بعض العوائل تطحن الحبة الخضراء وتضيفها إلى الشاي أو قهوة النسكافيه وتصبح شرابا ساخنا ممتعا. كما تستخدم الحبة الخضراء لإعطاء بعض المأكولات النكهة المميزة كالكِشْك.

الكازو (الكاشو): هو جنس نباتي ينتمي للفصيلة البطمية ويسمى بالإنكليزية (Cashew) وتسمى في البرتغالية (Caju). وموطنه الأصلي الهند وشرق أسيا والبرازيل، وفيتنام التي تحتل المركز الأول في إنتاجه عالمياً. تنمو فاكهة الكاشو على شجرة صغيرة الحجم أوراقها عريضة وطويلة وتنبت الفاكهة مرة واحدة في السنة ويعتقد أن السكان الأصليين كانوا يسمونها فاكهة السنة، لونها يميل إلى البرتقالي وحلوة المذاق. ويعد الكازو من أنواع البذور، تشكل

الدهون نحو 40% من كتلة بذور الكازو، وتمتاز بأنها دهون أحادية غير مشبعة، أي شبيهة بما هو في زيت الزيتون. أما البروتينات فتشكل نحو 20% من كتلتها. ويحتوي كل 30 جراما من بذور الكازو على 180 كالورى (سعرا حراريا)، ويؤمن للجسم حاجته اليومية من النحاس بنسبة 40%، ومن الماغنسيوم ومن مادة تريبتوفان بنسبة 25%، ومن الفوسفور والزنك بنسبة 20%. ويطلق عليه في منطقة الخليج العربي تسمية (ضرس الغزال). وله فوائد طبية، فقد اثبت استخدامه كعلاج لمرضى السُّكَّرِي، والمصابين في ارتفاع ضغط الدم.

الفول السوداني (فستق العبيد): يعد من أهم المحاصيل الزيتية، موطنه الأصلي أمريكا الجنوبية (البرازيل بالتحديد)، والسودان وسوريا التي بدأت بزراعته عام 1922م. تحتوي بذور الفول السوداني على نسبة عالية من الزيت تصل إلى 40-60%، ونسبة من البروتين تبلغ 16-28%، وبعض الفيتامينات الهامة، والمعادن والأحماض التي يحتاجها جسم الإنسان. ثمرته قرنية فيها بذرة أو أكثر، طولها 3-5.5 سم ، قشرتها خشبية سميكة أو رقيقة حسب الصنف، ولها صفة خاصة، هي أن لونها يختلف حسب الأرض التي يزرع فيها المحصول. وبذرته من ذوات الفلقتين، لونها ترابي أو أحمر أو قرميدي، تحتوي على البروتين والزيت والكربوهيدرات والعناصر المعدنية. يستفاد منه طبياً في تخفيض نسبة الكولسترول في الدم، ويستفاد من زيوته في

صناعات العدسات اللاصقة والمنظفات، وله فوائد صحية وصيدلانية لا تعد ولا تحصى!

حبة دوار الشمس (فستق المفاليس)**:** وتسمى حب شمس وهي عبارة عن بذور مفيدة جدا وزيوتها تساهم في تخفيض الكولسترول بالدم لاحتوائها على الفيتامينات وعلى مكونات أخرى لا حاجة لذكرها. فالنحل يُحِبُّها لاحتوائها على حبوب اللقاح والرحيق أيضا، وعموما فإن عسل زهرة دوار الشمس يفيد في علاج تخفيض الكولسترول في الدم، كما يعتمد على زراعتها لمساعدة طوائف النحل وتقويتها وتحفيز الملكات كي تبيض وتكثر الحضنات. وشاع استخدام (حب شمس) في الموصل أثناء الحصار الجائر على العراق في نهاية القرن الماضي وأطلق عليه تسمية (فستق المفاليس).

الحب الأسود والأحمر والأبيض: ويستخرج الأسود والأحمر من الشمزي (الركي) والحب الأبيض الناعم يستخرج من البطيخ الذي تشتهر الموصل بزراعته وإنتاجه، والحب الأبيض الكبير يستخرج من القرع (اليقطين)، ولا أريد الدخول بتفاصيل، كون ذلك معروفا لدى الجميع.

اللوز: هو أحد أنواع جنس البرقوق يتبع الفصيلة الوردية. بلاد الشام هي الموطن الأساسي للشجرة. النواة الداخلية لثمرة اللوز عبارة عن بذرة خشبية الشكل عندما تجف، وتكون هي بدورها بذرة شجرة اللوز. الشجرة متناسقة

الشكل يصل طولها إلى 12م ولها أوراق طويلة ملتفة ومدببة الرأس. تتميز شجرة اللوز بأزهارها الجميلة ذات اللون القرنفلي الرائع، وتظهر هذه الأزهار وتتفتح في أوائل الربيع وقَبْل ظهور الأوراق بوقت طويل، وحينما يتم لقاح هذه الأزهار فإن كل واحدة منها تتحول إلى ثمرة تنمو داخل قشرة ناعمة ورقيقة وعندما تنضج الثمرة الداخلية التي هي حبة اللوز المقصودة هنا فإن القشرة تتحول إلى غلاف جاف خشبي الشكل. تثمر بعض أشجار اللوز ثماراً حلوة المذاق، بينما يثمر بعضها ثماراً ذات طعم فيه مرارة، ويستخرج من كلا النوعين الزيت. وتعتبر اللوزات الحلوة طعاماً متميزاً فتؤكل بعد رفع القشرة الخشبية القاسية التي تغلفها، وأحيانا يوضع عليها الملح وتقلى وتقدم مع الجرزات، كما تؤكل طازجة في فصل الربيع بقشرتها الخضراء عند بداية نضجها وقَبْل أن تتخشب قشرتها التي تكون في تلك الفترة غَنِيَّة بالسيليلوز. كما يستفاد من اللوز في صناعة بعض الحلويات مثل (اللوزينة)، ويضاف اللوز بعد غليانه بالماء وقليه بالمقلاة إلى الرز ليعطي الطعام نكهة ومذاقا طيبا، كما يستخدم في الصناعة التجميلية وترطيب الجلد والصناعات الطبية والصيدلانية.

البندق: وموطنه الأصلي الموصل وشمال سوريا وبشكل عام في قارة أسيا وأروبا، وأشجار البندق تنتمي إلى فصيلة السندان، تنفتح أزهارها في فصل

الشتاء وتثمر في فصل الربيع لإخراج فاكهتها المحبوبة. ويعد البندق الموصلي من أجود أنواع البندق في العالم. وتتكاثر أشجاره عن طريق البذور.

القضامة (الكظامة)**:** وهي من الحمص وله أنواع كثيرة فمنه الأبيض والأحمر والأسود والكرسني ومنه البستاني والبري. ويؤكل بعد سلقه أو يعمل منه جرزات (القضامة) بعد تحميصه.

وقد ورد ذكره عند الأطباء العرب القدامى في الحديث عن فوائده حيث قال عنه ابن سينا أنه ينفع في سائر الأورام ويستخدم دقيقه للقروح الخبيثة والحكة وفي وجع الرأس والأورام تحت الأذنين وطبخه نافع لليرقان والاستسقاء ويفتح سدد الكبد والطحال ويجب أن لا يؤكل في أول الطعام ولا في آخره بل يؤكل في وسطه وطبخ النوع الأسود منه يفتت حصوة المثانة والكلى، وجميع أصنافه تخرج الجنين. والحمص في الطب الحديث يستخدم مدراً للبول ومفتتا للحصى ومسمنا ومنشطا للأعصاب والمخ وينصح بعمل شوربة بالحمص للأطفال من سن 4- 5 سنوات.

السسي: أخيرا بقي لدينا الحديث عن المحصول الذي تتميز به الموصل عن باقي بلدان العالم وهو السسي. وما أدراك ما السسي...؟

تستخرج السسي من حبات نبات الكَعُّوب، فعندما تترك سيقان الكَعًّوب وتنمو فإنها تزهر ورودا جميلة وتنتهي هذه الزهور بالحبوب وهذه الحبوب هي الجرز المصلاوي الشهير (السسي)، بعد أن تستخرج وتملح وتنشر على الأسطح وتقلى في جافوف، وعادة ما تكون بأحجام كبيرة وصغيرة يتم فصلها وبيعها بأسعار مختلفة. والسسي لا يعرفه إلا الموصليون ويجيدون طريقة أكله أيضا ولم أرَ أو اسمع للسسي وجودا إلا بالموصل، وان كان هناك من سمع عنه شيئا فليعلمنا عنه؟ ومن الباعة المشهورين في بيع السسي هو (عبو أبو السسي) في الباب الجديد، وهناك دكان مشهورة قرب باب سينما الجمهورية في الموصل لصاحبها واصف، قريبة من بيت مشتاق الدليمي في حي الثلمي، عندما كان يقلي السسي بالجافوف تنتشر الرائحة في المحلة جميعها.

بعد أن تعرفنا على كل نوع من أنواع هذه البذور والثمار، نقوم الآن بخلطها جميعا أو بعضا منها حسب المتوفر.



ويسمى هذا الخليط بالجرزات أو الكرزات أو المكسرات.

لنعد إلى عادات أهل الموصل وتقاليدهم في التعامل مع الجرزات. فالفرد الموصلي معروف بكرمه وسخائه ونبله وشجاعته، ولعل من العادات أن يشتري الموصلي الذي يروم السفر خارج مدينته أو خارج العراق كمية من الجرزات ويأخذها معه أثناء السفر لتصبح رفيقته بالسفر ويتناول منها بين حين وآخر، كما يقدم كمية منها هدية متواضعة لمن يلتقي به من أصدقائه أو معارفه أو أقربائه في الخارج، وهي عادة مَوْصِلية محمودة ومحببة لدى الجميع. كما أن كل موصلي خارج العراق يحصل على هدية من الجرزات يقوم بتوزيعها على أصدقائه وإخوانه في الغربة باعتبارها رمزا موصليا يعتز به. وهذه العادة تسود بين الموصليين خارج العراق، لتعبر عن أصالتهم وترابطهم ووفائهم وصلاتهم التي تخفف عنهم ألم البعد، وعناء الغربة.

تقدم الجرزات في الموصل خلال الاحتفالات والحفلات ومجالس السهر والسمر والأفراح. حيث توضع في أواني صغيرة وتقدم للضيف للتمتع بها، كما تقدم مقبلات في بعض الجلسات الخاصة بالمطاعم والنوادي.

وما دمنا نتحدث عن الأفراح والسرور، علينا أن نذكر أن الجرزات تقدم في الأعراس والمناسبات ايضاً. ويخصص عادة أفضل أنواع الجرزات وتقدم مع تجهيزات العرس وتوضع في غرفة العروس. بالإضافة إلى ذَلِك يتولى أهل

العريس نثر الجرزات على رأس العروس وهي بملابس العرس وأثناء دخولها عشها الذهبي.

أما في الأعياد فتنتعش تجارة الجرزات وتبدأ التجهيزات والاستعدادات قبيل العيد، وأكثر ما يفرح الأولاد ويشغل بال الآباء والأمهات على حد سواء هو توفير الجرزات قَبْل العيد، وكأن الشوارع قد لبست حلة جديدة يستطيع الزائر أن يعرف أن هذه الاستعدادات والاحتفاليات إنما هي لاستقبال العيد، ولكنها في حقيقة الأمر حركة السوق التجارية، التي ينتظرها التجار موسماً بعد موسم لما يجدونه من إقبال كبير من أولياء الأمور على شراء الجرزات.

ومن عادات أهل الموصل شراء الجرزات وبصورة خاصة السسي قَبْل دخول السينما لمشاهدة فلم معين. وعادة ما تجد بجوار كل سينما محل لبيع الجرزات، كما اشرنا إلى ذَلِك سابقا بذكر وصفي أبو الجرزات مجاور سينما الجمهورية.

وهنا لا بد أن نشير إلى مشاهير باعة الجرزات في الموصل في القرن الماضي، حيث من المؤكد أن في كل منطقة من مناطق الموصل لا بل في كل شارع أو عوجة يشتهر أحد باعة الجرزات وكل واحد منا له ذِكرَيات معه، ومنهم: الحاج سلطان أبو الحب الذي يقع محله على شارع نِينَوَى في منطقة

الساعة قرب منطقة خزرج. وجرزات أبو فارس في منطقة السرجخانة و جرزات الحلبي في شارع حلب اللذين اشتهرا ببيع أرقى أنواع الجرزات الخشنة.



وبعد، لا بد لي أن أقول في نهاية هذا الفصل: إن الموصليين تمكنوا من أن يتميزوا بالكثير من الأكْلات الشَعْبيَّة التُراثية الشهيرة، لما يتمتعون به من كرم وسخاء وعطاء وإتقان ينبعث من أنفسهم، والطعام بلا شك، يعتمد في جودته وتميزه ولذته على النفس التي صنعته. ونسأل الله تعالى أن يعيد الأمن والأمان لكل ربوع الوطن، حتى يكون بإمكان الإخوة جميعاً القيام بزيارة إلى الموصل للوقوف على ما تتميز بها من مناخ وطبيعة خلابة، وعادات جميلة، وتقاليد أصيلة، وبالتالي لا ننسى أن يتناولوا هذه الأكْلات التي كنا بصددها وبالصحة والهناءة.

الـفـصـل الــرابـع

حقيبة ذكريات

في هذا الفصل، أتناول حَقِيبَة ذِكْرَيَاتي... إنها حَقِيبَة احتفظت بها طوال حياتي، وهي ذِكريات مخزونة في الذاكرة استخرجها عند الضرورة وقد أحببت أن أوثقها في هذا الكتاب حفاظاً عليها من الاندثار... تشمل كل ما يطيب ويسرّ... فيها قصص وتجارب وفيها أوراق وأقلام... وفيها أصدقاء وأحبة... وفيها فراق وألم... وفيها مدارس وجامعات... دعوني اختار لكم اليوم من حَقِيبَة ذِكْرَيَاتي، الآتي:

الإعدادِيّة المَركَزِيَّة

كانت الموصل وما زالت معيناً لا ينضب من الكفاءات العلمية، والتخصصات الأدبية، والإدارية المبدعة، وفي مجالات مختلفة عملت على رفد الساحة العراقية بفيض العطاء حتى تجاوزت المجالين العربي والدولي. وكان في الموصل مدارس متميزة تتنافس على التفوق والحصول على المركز الأوّل فيها. يا له من تنافس عظيم حقاً! إنه تنافس رائع... إنه تنافس شريف، غايته: رفعة مَدِينَة الموصل وتميزها ، وتفردها عن غيرها، من أجل الوصول إلى القمة وصناعة مجد الأمة... إحدى هذه المدارس هي: (الإعْدادِيّة المَرْكَزِيَّة) بقيادة الأستاذ التربوي الجليل نزار المختار



يشير المؤرخ إبراهيم العلاف [1]، بأن الإعدادِيّة المَركَزِيَّة تأسست سنة 1895 باسم موصل إعدادي ملكي (مدني)، ثم في عام 1908 سميت بإعدادية الموصل وأطلق عليها فيما بعد اسم الإعدادِيّة المَركَزِيَّة. وقد لعبت دوراً فاعلاً عبر مسيرتها التي تجاوزت قرناً من الزمن في تأهيل عدد كبير من الكوادر العلمية والأدبية والفنية التي أسهمت في بناء العراق. وقد حظيت هذه المَدْرَسَة بنخبة متميزة من المدرسين المؤهلين المخلصين في عملهم، ولا يزال طلبتهم يذكرونهم باعتزاز وفخر لما لمسوه منهم من علم ومحبة وصدق وتفان في أداء رسالتهم المقدسة. ولم تكن هذه المَدرسة من المدارس العادية، بل كانت متميزة في كل المجالات وكان لها أدواتها في تنشئة الأجيال، ولعل من

هذه الأدوات، إصدار مجلة ثَقَافِيّة، وتنظيم مهرجانات للشعر، ومسابقات أدبية، وإقامة مسارح، ومباريات رياضية، وسفرات اجتماعية تساعد في تنمية الوعي وإيقاظ الأفكار وتوسيع مدارك طلبتها.



دعوني أمر على بعض أسماء تلك " النخبة " العليا من أساتذة الإعدادِيّة المَركَزِيَّة، منهم من فارق الحياة إلى دار الحق، نسأل الله أن يرحمهم ويغفر لهم. وأبدأ بأعضاء هيئة التدريس ثم أولئك الذين تخرجوا على أيديهم... وهم جميعا يمثّلون مَدرسةً تَارِيخية في العلم والمعرفة، فهم النخبة التي ساهمت في إعداد قادة المستقبل، وفي الحقيقة يتوجب عليَّ أن اكتب عن كل واحد منهم مقالة خاصة ولكن سوف أذكر اسم كل واحد حسب معرفتي ورأيي، آملاً أن

يستفاد من سيرهم، ومن أساليبهم، وأخلاقياتهم، ومعاملاتهم، وسمو تقاليدهم، ورقي ثقافتهم، وسوف أقتصر على ذكر من عرفته أو خبرته منذ عقود زمنية مضت، ولم أزل احمل ذِكْرَيَات عنه ليس في حقيبتي، بل في ضميري ووجداني:

1. الأستاذ مؤيد الفارس– مدرس اللغة العربية والمشرف على مكتبة المَدْرَسَة.
2. الأستاذ خليل السنجري – مدرس الكيمياء.
3. الأستاذ بهنام عبوش – مدرس الأحياء (الحيوان).
4. الأستاذ واصل محجوبة – مدرس الأحياء (النبات).
5. الأستاذ سعد الله عبد الجبار– مدرس الفيزياء.
6. الأستاذ عبد الحميد خضر – مدرس الرياضيات (الهندسة المجسمة).
7. الأستاذ قاسم محمد علي – مدرس الرياضيات.
8. الأستاذ عبد المَلِك النوري – مدرس اللغة الإنكليزية.
9. الأستاذ سالم كرومي – مدرس اللغة الإنكليزية.
10. الأستاذ مصطفى محيي الدين – مدرس اللغة العربية.
11. الأستاذ ضياء يونس – مدرس الفنية.
12. الأستاذ محمد العبوبي– مدرس الإسلامية ومؤسس أول مسجد في المَدْرَسَة.
13. العم يونس – المسؤول عن دق الجرس.

كان الطلاب يتباهون بأنهم من تلك المَدرَسَة، ويشعرون بالزهو والافتخار، لأنهم ينتمون إِلَيْها، لأن فيها إدارة تربوية واعية تتصف بحكمة قوية صارمة حاسمة لا تهاون ولا ضياع لوقت. وفي الحقيقة إن تلك الإدارة المتمثلة بالمربي الجليل الأستاذ نزار المختار هي مَدرَسَة بحد ذاتها، لأنها صادقة مع نفسها، وصادقة مع أبناء مجتمعها، تحقق ذاتها من خلاله، تؤمن بتأسيس جيل متعلم متسلح بثقافة عميقة واسعة، وتتفانى من أجل بناء مجتمع على أسس سليمة، ينهض بالأمة إلى الأعالي، ويحقق لها الازدهار، ويجعلها في مصاف الأمم المتقدمة، التي يتفاخر أبناؤها بها، يحملون لواءها بكل اعتزاز، ويحرصون على تحقيق رسالتها لبناء المجد والعزة والرفعة...

وماذا عساي أن أتحدث عن طلبة تغذوا بأخلاق هؤلاء العلماء وتربوا على موائدهم التربوية... ونهلوا من مواردهم العلمية؟ إنهم مجتهدون، مثابرون، عباقرة، لا يعرفون طريقاً إلى الكلل، ولا يعترفون بسبيل إلى الملل، علامات الذكاء في ناصيتهم، يحصدون بعثات وزارة النفط و(زمالات كولبنكيان)، للدراسة خارج العراق. عندما استذكر أسماءهم ينتابني إحساس يتأرجح بين الرهبة والخوف، وبين التقدير والاحترام، إنهم النخبة، منهم من هو على قيد الحياة، يعطي بلا ثمن، ويواصل المسيرة التي آمن بها، ومنهم من فارق الحياة إلى دار الحق، نسأل الله أن يرحمهم ويغفر لهم. إنهم خيرة الخيرة في الموصل

وخارجها، منهم العلماء، وأساتذة الجامعات، والأطباء، والأدباء، والشعراء، والفقهاء، والمهندسون، والضباط، والطيارون، والمثقفون...الخ.

وحري بنا أن نأخذ نموذجاً من هؤلاء الطلبة الذين عاصرناهم خلال الفترة 1965–1967 ونفاخر بهم:

1. فارس يونس بشير – التحق بكلية الطب/ جامعة الموصل وحصل على شهادة الدكتوراه بأمراض الدم وفحوصاته.
2. محمد فوزي طبو العقيلي – التحق بصحة نِينَوَى، ثم حصل على شهادة اختصاص بالتخدير والعناية المركزة من السويد.
3. مؤيد قاسم يحيى – اختصاصي بأمراض الغدة الدرقية والطب الذري.



4. سعد أحمد محمود – اختصاصي بالطب الذري.

5. موفق محمود – اختصاصي بأمراض العظام والكسور.

6. عبد القادر النقشبندي – التحق بالشرطة.

7. حكمت حمدي – التحق بكلية الصيدلة في جامعة الموصل وحصل على شهادة الدكتوراه بالصيدلة.

8. فرج محمد عبد الله – التحق بكلية الصيدلة في جامعة الموصل وحصل على شهادة الدكتوراه بالصيدلة.

9. سعد علي الطعان – التحق بكلية الهندسة في جامعة الموصل وحصل على الدكتوراه في الهندسة.

10. صبحي عزيز علي– التحق بكلية الهندسة في جامعة الموصل وحصل على الدكتوراه في الهندسة.

11. ذو الكفل إبراهيم – التحق بكلية الطب بجامعة الموصل، وقد هاجر إلى بريطانيا منذ أكثر من ثلاثة عقود.

12. خالد نجيب الخفاف – التحق بالكلية العسكرية.

13. ممتاز إبراهيم – خريج كلية صيدلة في جامعة الموصل.

14. وليد ذنون طبو – اختص بطب وجراحة العظام والكسور.

15. هيثم حسين النجيفي – التحق بكلية طب الموصل واختص بالجراحة العامة.

16. المرحوم محمد أحمد مطلوب – التحق بالقوة الجوية.

17. أكرم إسماعيل – التحق بكلية الهندسة بجامعة الموصل.

18. محمود عطا الله – التحق بكلية الطب بجامعة الموصل.

19. ظاهر جميل – التحق بكلية الطب بجامعة الموصل.

20. المرحوم محمود فتحي – أضحى لاحقاً مدرساً للغة العربية، واشتهر بكتاباته المسرحية والمسلسلات الإذاعية.

21. فاروق البنا – اختص بطب الأنف والأذن والحنجرة.

22. المرحوم علي المهتدي – أضحى من الممثلين المسرحيين الموهوبين.

23. طالب العزاوي – خطاط مشهور وفنان تشكيلي مبدع.

ما أجمل أن أستذكر ذَلِك الموقف حين كان زميلي وصديقي محمد أحمد مطلوب طالباً في الصف الخامس الثانوي في الإعْدادِيّة المَرْكَزِيَّة، يستعير أو يؤجر دراجة هوائية، يمتطي صهوتها قادماً من (الزنجيلي) إلى (حَمَّام المَنْقُوشَة) تحت غزارة المطر، وشدة البرد، ليطلعني على حل سؤال في الرياضيات وتدقيق صحته، لأني كنت مولعاً بهذا العلم، ولا يستعصي علي حل أي سؤال فيه إطلاقاً! فقد كان ذَلِك الصديق ذكياً جداً، إذ حصل على معدل يؤهله لدخول كلية الطب، لكنه التحق بالقوة الجوية، وأضحى صقراً من صقور القوات المسلحة التي تحلق عالياً، يؤدي واجبه الوطني، يجوب الفضاء، ويداعب الطبقات الهوائية، فيغدو مثل قشاعم السماء التي تلحظ الأرض شزراً،

ويرقب الحدود حماية، ويشاهد حمى الأوطان دفاعاً، إنها المهمة التي نذر نفسه لها، ليحمي سماء الوطن، سماء العراق من شرور الأعداء... إنها العظمة والرجولة، إنها الشهامة والشجاعة، إنها التضحية والفداء من أجل الواجب، إنها استجابة لنداء الوطن... كنا نتطلع إلى تلك اللحظات التي تجمعنا به، كم كانت الفرحة ترسم على وجوهنا عند رؤيته، وكم كانت السعادة تغمرنا عند لقائه لأنه كان يملأ الجو بدماثته، وخفة ظله، وجمال روحه... نترقب اللحظات، لنتبادل أطراف الحديث، والتقاط الصور معه... يا لها من وقفات...! ويا لها من ساعات...! ويا له من فراق...!

ليس هناك أثمن من الأصدقاء القدماء الحقيقيين، وليس هناك أسمى من الزملاء المتعاونين، وليس هناك أطيب من استعادة ذكراهم واحداً واحداً... كنت قَبْل أن ابدأ كتابة هذه الصفحات، لا أتذكر إلاّ بعضهم ممن كانت عرى صداقتي قد توثقت بهم... لكنني ما أن مضيت قليلاً في كتابتي حتى تذكرت عدداً آخر منهم، واتصلت بالأخ الدكتور محمد فوزي طبو العقيلي الذي أنعش ذاكرتي، فله مني خير الجزاء. كان الزمن غير هذا الزمن، وكان المجتمع غير ما غدا عليه اليوم... وكانت الحياة أكثر وداعة وأمنا ودعة ورخاء... وكانت الأمور أكثر ضبطاً وربطاً وتنظيماً... وكان الانسان غير الانسان في هذه الايام، إذ انقلبت الدنيا وما عليها، (وتلك الأيام نداولها بين النّاس...).

في الختام أرجو من أساتذتي وزملائي في الإعْدادِيّة المَرْكَزِيَّة ومن يتسنى له قراءة هذه الذِكْرَيَات إرسال بعض من ذِكْرَيَاتهم لي لتضمينها في الطبعة القادمة، واعتذر سلفا إن كنت قد نسيت شيئا أو قللت من مقام أحد، وحسبنا أننا أخوة وأحبة في الله. حفظ الله الجميع وأمدّ كل من هو على قيد الحياة بالصحة والعافية... ورحم الله رحمة واسعة كل من غادرنا إلى دار البقاء...

الدورة الخامسة لقسم الرياضيات

في جامعة الموصل

هذه فصلة من حَقِيبَة ذِكْرَيَاتي، خصصتها لأولئك الذين عرفتهم من أعلام الرياضيات في جامعة الموصل قَبْل قرابة أربعين سنة... وهم نخبة من خيرة أساتذة الرياضيات ومن تخرج على أيديهم المباركة واشتهروا بعلمهم وعطائهم ونزاهتهم ومبادئهم، وعرفوا بها في قاعات الدرس وخارجها.

تفرقنا قَبْل (40) عاماً، بعد حفل تخرج مهيب تم في حزيران 1971م في رحاب المجموعة الثقافية، حضرته وزيرة التعليم العالي آنذاك الدكتورة سعاد خليل ورئيس الجامعة الدكتور محمد صادق المشاط وعمداء الكليات وشخصيات مرموقة تمثل مؤسسات الدولة. كان ذَلك المشهد تاريخيا ما زلت

أتلذذ بحلاوته حيث جلس الخريجون الأوائل الثلاثة في الأمام وتم تكريمهم من قِبَلْ الوزيرة أمام حشد كبير من الخريجين وذويهم وأصدقائهم ومعارفهم. استلمت التكريم بصفتي الثاني على جامعة الموصل وكلية العلوم، غمرتني سعادة لا توصف وأعطتني تلك اللحظات زخما نحو الانطلاق باتجاه الدراسات العليا. كان الأوّل هو الزميل حسن محمد يوسف العزة (أردني الجنسية – فلسطيني الأصل) ولذلك اعتبرت الأوّل على العراقيين والثاني على الدورة كلها. مضت الأيام والسنين ولم التق أبداً بغالبية زملائي من دورتي، وفي أحد الأيام حصلت مفاجأة سارة إذ أن أحد الأخوة من دورتي اتصل بي عن طريق الإنترنت ليعرفني بنفسه، هو الأخ العزيز عبد الهادي عبد الرحمن الذي كنت اسميه (كاكا هادي) وكنت أبادله الود والاحترام والمحبة، وأتعاطف معه كثيراً لأنه كان يتغيب عن الدراسة أسبوعاً أو أسبوعين ثم يعود إليها، لقد علمت أن سبب غيابه المتكرر هو تعرضه إلى الاعتقال والمطاردة كونه ناشطاً سياسياً كردياً.



كان طلبة الدورة الخامسة من خريجي قسم الرياضيات من أنشط الطلبة علميا وثَقافيّا واجتماعيا وسياسيا، فالدورة تحمل الأطياف كافة وتمثل فعلا العراق الموحد بجميع أطيافه وكياناته. فيها العرب والأكراد، والمسلمون والمسيحيون، والسنة والشيعة، وكنا لا نميز احدنا على أساس طائفي أو عرقي، إخوة في الله متحابين متعاونين.



كان طلبة هذه الدورة يرجعون جميعا إلي، أساعدهم في حل مسائلهم، وكنت التقي بهم فرادى وجماعات اشرح لهم الدرس واذلل الصعوبات التي تواجههم. إنهم نخبة متميزة من خريجي قسم الرياضيات انتشروا في جميع أنحاء العراق لا بل رفدوا الساحة الفلسطينية والأردنية والعربية بعطائهم وعلمهم.

دعوني أمر على بعض أسماء تلك "النخبة" العليا من أعلام الرياضيات في جامعة الموصل، وأبدأ بأعضاء هيئة التدريس ثم أولئك الذين تخرجوا على أيديهم... وهم جميعا يمثّلون مَدرسةً تاريخية في الرياضيات، فهم النخبة التي ساهمت في تأسيس جامعة الموصل وتضم شخصيات علمية مرموقة وكوادر إدارية لها وزنها، ويتوجب عليَّ أن اكتب عن كل واحد منهم مقالة خاصة ولكن سوف أوجز حسب معرفتي ورأيي، وأقول: ينبغي أن يتعلم الجميع منهم، ومن أساليبهم، وأخلاقياتهم، ومعاملاتهم، وسمو تقاليدهم، ورقي ثقافتهم، واقتصر على ذكر من عرفته أو خبرته منذ عقود زمنية مضت.

رئيس القسم: الأستاذة ثانية عبد المجيد النافوسي وهي إنسانة فاضلة ولكن كانت حديدية صارمة لا تسمح بدخول طالب بعد دخولها قاعة الدرس وغلق الباب إطلاقا. لا تعرف غير الجد والدراسة والعلم. كنا نهابها كثيرا، لأنها شخصية قوية رصينة تجمع بين الصلابة والإنسانية والمبادئ العالية والرُقِيّ.

إنها مَدْرَسَة تمشي على الأرض نالت احترام الجميع من طلاب وأساتذة ومسؤولين، دعائي لها بالصحة والعافية أينما وجدت. التقيت بها في الأردن قَبْل عشرة أعوام وهي ما زالت تحتفظ بشخصيتها القوية المبدئية.

أما أعضاء هيئة التدريس، فهم:

1. الدكتور علي عزيز علي: أستاذ الرياضيات الأوّل متخصص في نظرية البيانات خريج جامعة لندن، يعد من الرعيل الأوّل ومن مؤسسي جامعة الموصل، يتحلى بشخصية فريدة، علم من أعلام الرياضيات في الوطن العربي له مؤلفاته وبحوثه التي نفخر بها. اختاره رئيس جامعة الموصل الدكتور محمود الجليلي نائبا لرئيس الجامعة لشخصيته القوية والمبدئية. كنا نتمتع بطريقة تدريسه وشرحه الرائع، أحببناه من كل قلوبنا، فهو جاد في عمله، معطاء، لا يفرط بلحظة من المحاضرة، استفدنا من علمه وعطائه. دعائي له بالصحة والعافية.

2. الأستاذ يحيى عبد سعيد (رحمه الله): رياضي مخضرم يحمل سجايا أجداده الطيبين ذوي الخلق والسيرة والدين، يعد من الرعيل الأوّل لجامعة الموصل. عرف بإخلاصه في العمل، وحضوره المبكر حتى إنه كان دائما أول من يدخل جامعة الموصل ليبدأ يوما جَدِيدا، وكان آخر من يخرج منها، لا يهدر دقيقة واحدة من وقته، دائماً منهمك في العمل يشرح مسألة رياضية

لطلبته أو يكتب بحثا رياضياً أو يترجم من كتاب باللغة الانكليزية في الرياضيات. أشتهر بصدقه وأمانته وحبه لطلبته وحرصه على تعليمهم.



يدخل المحاضرة مع الوقت كأنه ساعة مصنوعة من الذهب أو الألماس. وإذا أردت توقيت ساعتك أو ضبطها انتظر موعد محاضرته. لا يخرج من المحاضرة إلا بعد انتهاء الزمن المقرر لها، ولا يخرج عن موضوع الدرس بتاتاً. رجل مؤمن بالله، مسلم، ملتزم بأوقات الصلاة. كان مثالاً للطِيبة وحسن الخلق. لم يكن يمارس وظائفه التدريسية والمهنية والإدارية كما يمارس الآخرون وظائفهم. بل كان يتميز بأسلوب خاص في العمل يصل إلى حد العشق بل التقديس للمهنة. وغالباً ما كان يقضي ساعات بعد الدوام لكي ينجز عمله ولا يؤجل عملاً لا يحتمل التأجيل. ورغم كثرة محاضراته وطلابه

إلا أنه كان ينجز مهماته الإدارية بإتقان رائع وجودة عالية. وقد كان التدريسيون في عموم الكلية يحترمونه ويأنسون جانبه، ولم يكن يتأفف أو يتثاقل من أي واجب يسند إِلَيْه رغم حمله الثقيل. كتبت عنه مقالة كاملة ونشرتها بتَارِيخ 2011/2/17م على موقع ملتقى أبناء الموصل. دعائي له بالجنة ومنزلة كريمة في عليين بإذن الله.

3. الأستاذ هاشم الطيار: يحمل شهادة ماجستير في الجبر ويعد من الأساتذة المتمكنين والمقتدرين في مادته العلمية، علمنا الجبر والرياضيات. أستاذ قدير على خلق إسلامي عالٍ، له خصال رائعة كنا نحبه ونحترمه ونستفيد من علمه وعطائه ونتعلم منه التسامح والمحبة. كان مولعاً بتَارِيخ الرياضيات عند العرب والمسلمين وله مؤلفاته وكتبه وترجماته.

4. الأستاذ عطا الله ثامر العاني: الحاصل على شهادة الماجستير من جامعة بغداد، وهو من سكنة بغداد، أستاذ رائع قريب من الطلبة وشخصية محبوبة تعلمنا منه علم التبولوجيا (أحدى فروع الرياضيات الحديثة). كنا نستمتع في محاضرته لأنها تعبر عن حيويته ونشاطه وذكائه. كان يرتجل المحاضرة ولا يحب التحضير لها ويرتجل حل أصعب المسائل في أصعب تخصص وكان ناجحا في جميع الأحوال. بعد ذَلِك سافر إلى انكلترا وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن عام 1974م.

5. الدكتور هاري بالاب ميتل (هندي الجنسية): كان شابا يانعا ذكيا، تعلمنا على يده نظرية القياس، يجيد الحفظ ويتحرج من أسئلتنا التي كنا نرميها إِلَيْه

كالسهام، اسعد لحظاته عندما ينهي المحاضرة لصعوبتها وكثرة أسئلتنا الموجهة إِلَيْه.

6.الدكتور تارا كرشنا (هندي الجنسية): أستاذ قدير مخضرم له خبرة طويلة في تدريس الرياضيات.

7.الدكتور عبد الجبار البرهاوي: إنسان رائع بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، هادئ، محترم، يحب الطلبة ويحبونه، متخصص في الإحصاء، لم تتح لنا الفرصة أن نتعلم على يده كونه التحق بالقسم قبيل تخرجنا.

8.الأستاذ محمد عبد الرزاق الجنابي: حاصل على شهادة الماجستير في الجبر، وهو رجل رائع طيب القلب من سكنة بغداد وصديق مقرب من الأستاذ عطا الله. التحق بالدكتوراه في جامعة لندن ثم عاد إلى جامعة بغداد بعد حصوله على شهادة الدكتوراه عام 1978. وعندما التحقت بدراسة الماجستير في انكلترا عام 1974م، تولى استقبالي ومرافقتي إلى سفارة جمهورية العراق في لندن لفتح ملف الدراسة.

9.الدكتور مايكل باش (بلجيكي الجنسية): تعلمنا منه الإحصاء، لديه خبرة واسعة في التدريس.

10. الدكتور ميلان (بلجيكي الجنسية) درسنا الهندسة التفاضلية في السنة الثالثة.

11. الأستاذ محمود قريشي (باكستاني الجنسية) درسنا الفيزياء النظري والعملي في المختبر:



أما الهيئة المساعدة آنذاك (مساعدو الباحث) فهم:

- الأستاذ ماهر طه طاقة (حصل على الدكتوراه في تخصص الإحصاء الطبي من جامعة لندن).
- الأستاذ عصام محمد علي (حصل على الدكتوراه في التحليل العددي من جامعة بوخارست في رومانيا – رحمه الله).
- الأستاذة برلنتي جميل شمعون (حصلت على شهادة الدكتوراه في الإحصاء).
- السَّيِّدة عزيمة توفيق حمودات الحاصلة على شهادة البكالوريوس في الرياضيات من جامعة الموصل.

وفي منتصف السبعينيات ونهايتها، توثقت عرى صداقتي بهم جميعا بحكم حصولي على الماجستير عام 1975 ثم عودتي للعمل في القسم نفسه، ثم

حصولي على الدكتوراه من جامعة لندن عام 1979م والتحقت بالعمل بمعيتهم، فكانوا نعم الأساتذة والأصدقاء والأحبة.

أما الخريجون ضمن الدورة الخامسة لجامعة الموصل وعددهم (30) خريجا من أصل (45) طالبا التحقوا في قسم الرياضيات، فقد رفدوا الساحة العراقية بعطائهم العلمي والتربوي، فهم الأصدقاء الأوائل الذين عرفتهم واحداً واحداً في ردهات وصفوف ومختبرات جامعة الموصل بين 1967- 1971... وتمنيت مخلصا لو كنت احترز على صور فوتوغرافية حديثة لكل واحد من "الجمع " الكريم، أو استطيع متابعة سيرتهم، تلك النخبة المبدعة من الأصدقاء والزملاء، كانوا رموزا حية لزمن معتدل، يمثلونه اصدق تمثيل، ولم يكن للمتخلفين فيه أي نصيب... كانوا بين حدائق جامعة واعدة. إنني إذ أتناول سيرتهم، لا يسعني إلا أن اعتذر لكل من لم استطع الحصول على معلومات حديثة عنه... ومن المؤكد أنني قد أخفقت في متابعة العديد من سير زملائي قَبْل أكثر من أربعين سنة. وعليه، اعتذر إن قصرت في سرد سيرة احدهم، وهم.

1. حسن محمد يوسف العزة: فلسطيني الأصل من مواليد 1948م في أريحا– الضفة الغربية، يحمل الجنسية الأردنية، يعمل حاليا أستاذ الرياضيات في الجامعة الأردنية. يعد احد أعلام الرياضيات في الوطن العربي متميز بحثيا

وعلميا، تخرج على يديه عشرات طلبة الدراسات العليا (دكتوراه وماجستير)، توثقت عرى صداقتي به منذ الدراسة الجامعية ويعد من اقرب أصدقائي، لم نفترق أبدا منذ كنا طلبة في الجامعة ولحد الآن. رافقته عند دراسة الماجستير عام 1974 والدكتوراه عام 1977م في جامعة سسكس في إنكلترا. وما زلت على علاقة أخوية به، يحب الموصل وأهلها ويتذكر عوائلهم ومنطقة سكناه معهم في الباب الجَدِيد ويحن إلى أكْلاتهم ويتشوق إِلَيْهم وإلى الاستحَمَّام في حَمَّام الباب الجَدِيد (حَمَّام العمرية).

2. هناء جميل شمعون: هي أخت الدكتورة برلنتي جميل شمعون وهي من عائلة مسيحية مَوْصِلية من منطقة السَّاعَة وفي الستينات انتقلت إلى محلة الشفاء قرب دوار المستشفى.

3. محمود شاكر إبراهيم: مَوْصِلي الأصل من محلَّة النبي يونس، كان طالبا متميزا في الرياضيات إضافة إلى إبداعه الفني بتَقْليد الغناء الهندي، يمتلك موهبة غنائية نادرة، وفي إحدى المناسبات غنى أُغْنِيَّة للمطرب الهندي المشهور شامي كابور (أُغْنِيَّة أجاجا) أدهشت الأساتذة الهنود عند سماع لهجته وقالوا لا يمكن تمييزه عن أي هندي من دلهي.

4. ياسين قاسم الجمعة: مَوْصِلي الأصل وهو شقيق الأستاذ الدكتور أحمد قاسم الجمعة، وقد علمت أنه من المدرسين المتميزين في الرياضيات على صعيد محافظة نِينَوَى.

5.نوئيل الطباخ: مَوْصِلي أصيل من الأخوة المسيحيين، سريع النكتة، حلو الكلام، يجيد المقالب، جليس، اعتقد الآن هو من رجال الدين المسيحيين.

6.رافع عمر النعمة: مَوْصِلي أصيل من الموصل الجديدة وهو ابن المرحوم العلامة الشيخ عمر النعمة.

7.مهدي فاضل موسى العبيدي: من سكنة بعقوبة – الخالص. قدم إلى الموصل للدراسة وبقي فيها وأحبها وتزوج مَوْصِلية أصيلة وهي الدكتورة ميسون مال الله، حصل على الدكتوراه في الرياضيات التطبيقية من جامعة ليفربول عام 1980. تبوأ مواقع إدارية أكاديمية عديدة في جامعة الموصل، يعمل حاليا في احدى جامعات البحرين.

8.سمير يوحنان منصور: سليل العوائل الموصلية المسيحية الأصيلة، كان من أصدقائي المقربين وكنا ندرس معاً، لا زلت أتذكر طعم "كبب الكبار" التي كانت تطبخها لنا والدته وتعزمنا عليها في المناسبات وخاصة عندما ينجح في الامتحانات. عمل في وزارة التخطيط، التقيته في لندن عام 1978 حيث كان يدرس الدبلوم العالي في الإحصاء. تبوأ موقعاً متقدماً في وزارة التخطيط ولا علم لي أين هو الآن.

9.علي خليل إسماعيل: عراقي من أهل الجنوب (اعتقد من سكنة العمارة).

10. يوحنا هرمز: من سكنة قرى ونواحي الموصل.

11. جبار حمادي: عراقي أصيل من أهل الجنوب طيب القلب وحلو المعشر، تزوج وهو طالب في الصف الثالث.
12. جنان بطرس: مَوْصِلي أصيل من العوائل المسيحية المعروفة وهو صديق نوئيل الطباخ.
13. رياض إبراهيم: مَوْصِلي أصيل يتصف بالهدوء وقوة الملاحظة.
14. عبد الله عزيز: عراقي من أهل الجنوب.
15. ياس خضر : عراقي من أهل الجنوب.
16. فاضل حسين: عراقي من سكنة بغداد وكان ناشطاً في العمل السياسي.
17. أكرم حسوني: عراقي من أهل الجنوب.
18. فؤاد جميل: عراقي من سكنة بغداد.
19. عبد الإله محمود: مَوْصِلي أصيل من محلَّة جامع الكبير كان مولعاً بأغاني أم كلثوم، لا زلت على اتصال به حيث يعمل حاليا مدرس رياضيات في أبو ظبي.
20. زهير إبراهيم: شخصية رائعة من سكنة بغداد، نشيط سياسيا. تزوج زميلته الأخت ديانا سعيد وهو طالب في الصف الثالث. غادر العراق بعد تخرجه واستقر في بلغاريا، علمت مؤخراً أنه من أشهر مراسلي قناة العربية الفضائية، توفي في سوريا عام 2008 بسبب أزمة قلبية حادة (رحمه الله).

21. ديانا سعيد: من سكنة بغداد، مسيحية، وهي زوجة الأخ زهير إبراهيم. لدى متابعتي لها بحكم علاقتي الطيّبة معها ومع المرحوم زوجها، علمت أنها هاجرت إلى كندا مع أولادها.

22. علي حسين: عراقي من أهل الجنوب.

23. عبد الهادي عبد الرحمن سليمان: شخصية كردية مرموقة جدا، ذو خلق راق، هادئ الطبع، ناشط كرديّ، كان يتعرض لمضايقات عديدة من قِبَلْ الأمن في العهد السابق. لازلت على اتصال معه وهو صاحب الفضل في كتابة هذه الصفحات، تقلد مناصب عدة في وزارة التربية في منطقة كردستان آخرها مدير عام تربية اربيل.

24. عبد الوهاب عبد الله الاربيلي: عراقي (كردي الأصل) من سكنة شهرسوق في الموصل، بن العالم الجليل عبد الله الاربيلي.

25. هاشم حسن: عراقي من سكنة الجنوب.

26. فرهاد أحمد: عراقي كردي من السليمانية.

27. موفق حنا: عراقي من قرى ونواحي محافظة نِينَوَى.

28. طالب إبراهيم المشهداني: عراقي من منطقة المشاهدة قرب بغداد.

29. دلير رفعت: شخصية محبوبة جدا، أنيق الملبس، كردي من سكنة كركوك.

30. سمير بشير حديد: مؤلف الكتاب.



ليس هناك أثمن من الأصدقاء القدماء الحقيقيين، وليس هناك أسمى من الزملاء المتعاونين... وليس هناك أطيب من استعادة ذكراهم واحداً واحداً... كنت قَبْل أن ابدأ كتابة هذا "البند"، لا أتذكر إلا بعضهم ممن كانت عرى صداقتي قد توثقت بهم... ولكن ما أن مضيت قليلا في كتابتي، وأتصل بي الأخ كاكا هادي (كما كنت اسميه) ورفدي بقائمة اسمائهم، حتى استعادت ذاكرتي جميعهم.

كانت دورتنا الخامسة من أنشط الدورات، كنّا فريقا واحداً، ربما اختلفت المشارب، وتباينت الفوارق، وتنوعت العادات، وتعددت التصرفات، واختلفت الاتجاهات السياسية... ولكن اجتمع الجمع في مكان واحد نعرفه جيدا بعراقته وأمجاده التليدة... كنّا نعتز به اعتزازا كبيرا... واشترك الجميع في زمن واحد...

ربما كانت المنافسة على أشدها فيما بينهم، ولكن كانت روح الألفة تقربهم، والمحبة عميقة تجمعهم، غالبيتهم كانت تأخذ الأمور بمنتهى الجدية، لقد عشنا مرحلة رائعة امتزج فيها الجد بالمرح... والتعاون مع التنافس... وبالرغم من كل الإثارة، إلا أن الجميع قد حقق لمستقبله النجاح... فالعمل في نهاية المطاف هو الأهم في الحياة وهذا ليس بغريب على خريجي جامعة عرف أهلها بالجدية والإنتاج ونظام الحياة. فعلى الصعيد السياسي كان التنظيم البعثي والشيوعي والكردي نشطا وحاضرا في قاعة الدرس. أما على الصعيد الاجتماعي، فكنا كل عام دراسي ننظم سفرة اجتماعية ترفيهية أو أكثر خاصة في فصل الربيع. لقد نظمنا سفرات عدة إلى: النمرود، والحضر، ومصيف صلاح الدين، وإبراهيم الخليل على الحدود العراقية التركية. كان يشاركنا في سفراتنا أصدقاؤنا وأقاربنا من طلبة كلية الهندسة، أذكر منهم: ابن عمتي المرحوم المهندس عماد إسماعيل حديد (كان طالب في كلية الهندسة)، والأخ المهندس روز نوري شاويس (نائب رئيس الوزراء حاليا).



جرت العادة في جامعة الموصل أن كل دورة تلتقط صورة جماعية للذكرى وربما للاحتفاظ بها وإخراجها في مثل هذا اليوم، هذه صورة تجمع نخبة متميزة من الدورة الأولى لكلية العلوم يظهر فيها من اليمين: عبد المناف الصمدي وقبيس الفهادي ورياض الدباغ ومروان القطان وعبد اللطيف الحسو



وبعد مرور أكثر من أربعين سنة، تفرقت بنا السبل، ولم تعد تلك الأيام إلا في حَقِيبَة ذِكْرَيَاتنا... بعضنا رحل مغتربا عن وطنه، وبعضنا رحل إلى بارئه شهيدا، وبعضنا لم يزل في مدينته وهو متعلق بها، وبعضنا أزهرت حياته وبعضنا دفنت آماله... وكما تفرقت بنا السبل، فقد اختلفت معنا الميول والاِتّجاهات، فمن مدرس رياضيات شهير، إلى أساتذة جامعة، إلى عميد كلية، إلى نائب رئيس جامعة، إلى مدير عام في التربية، إلى إعلامي متمكن... الخ. وربما خان الزمن بعضهم، فلم ينجحوا في حياتهم المهنية، فوجد نفسه في مكان انزوى فيه... ناهيكم عن بعضهم ممن انخرط في المجال السياسي، فارتقى ثم دالت به الدنيا! هذه صورة تذكارية لدورتنا الخامسة:



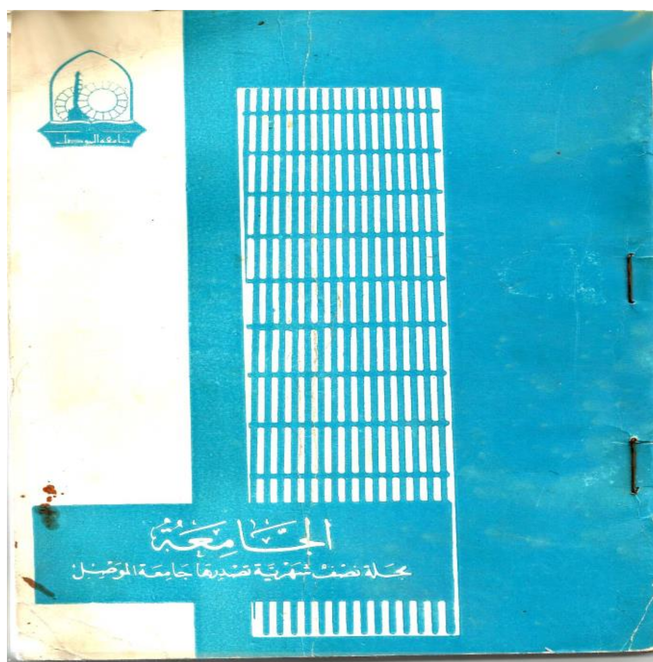
هنا لا بد أن أشير إلى دور جامعة الموصل في ذَلِك الزمن، فإن ذاكرتي المتعبة والمغيبة قسراً عن مَسْقِط رَأْسِي قد أسعفها أخي وصديقي كاكا هادي، ورفدني ببعض ما قدمته جامعتنا التي نعتز بها في ذَلِك الزمن وخاصة بما يتعلق بنشر الوعي الوطني والثَّقَافِيّ والعلمي وارتباطها الخاص في خدمة المجتمع، فعندما كنا هناك جرت بعض الأحداث، أود ذكر بعض منها:

- زيارة دولة رئيس وزراء تركيا سليمان ديميريل للجامعة خلال العام الدراسي 1967–1968، وقد حضر مختبر الكيمياء العملي عندما كنا في الصف الأوّل.
- الأسبوع الثَّقَافِيّ لجامعة الموصل عام 1970م، وقد ألقى الأستاذ شبلي العيسمي محاضرة ثَقَافِيّة حضرناها والتقطنا صورة تذكارية لها:



❖المؤتمر الأوّل للتعليم العالي في العراق برعاية وزيرة التعليم العالي الدكتورة سعاد خليل، حضره ممثلو الطلبة في جامعة الموصل. شارك في هذا المؤتمر الذي عقد في رحاب العاصمة بغداد الأخ الزميل عبد الهادي عبد الرحمن بصفة عضو في لجنة الأستاذ الجامعي.

❖إصدار مجلة دورية نصف شهرية ثَقَافِيّة "مجلة الجامعة" تشرف عليها هيئة تحرير من النخبة في جامعة الموصل:



في الختام أرجو من زملائي في الدورة الخامسة ومن يتسنى له قراءة هذه الذِكْرَيَات إغناء الكتاب بمداخلاتهم وتدوين بعض من ذِكْرَيَاتهم واعتذر سلفا إن كنت قد نسيت شيئا أو قللت من مقام أحدهم، فكلنا أخوة وأحبة في

الله. حفظ الله الجميع وأمدّ كل من هو على قيد الحياة بالصحة والعافية...
ورحم الله رحمة واسعة كل من غادرنا إلى دار البقاء.

المسبحة أو السبحة

والزمن الجميل

لا أعلم لماذا أرغب وأتمتع بكل ما هو قَديم ويعود إلى الزمن الماضي، لا بل أعشقه وأحبه! أَلِأن ذَلك العهد كان أكثر دعة وأمانا، أكثر وفاءً وإخلاصاً، أكثر محبة وحناناً، أكثر زهداً ورخاء، أكثر صفاءً ونقاء، أكثر بساطة ويسراً، أم لأني ولدت في ذَلك الزمن وترعرعت وتربيت وقضيت طفولتي وصباي ومراهقتي وشبابي في أحضانه وملعبه، حيث البيوت القَدِيمة والعوجات الضيقة والقناطر والهدوء والأمان ويسر العيش ورغد الحياة على الرغم من بساطتها؟ فقد كنت أستمتع بطعم الحياة، وأرتاح لها وفيها، وأحس بالمعاني السامية لذاك الزمن الذي كنت أجد فيه لكل شيء نكهة وطعماً ولوناً وراحة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنفس الإنسانية التي طالما تفاعلت بالأحاسيس والانفعالات، وبنيت عليها الآمال والأمنيات، ولا شك أن ما كنا نشعر به يمكن أن يماثل ما يتمتع به الجيل الحالي من أولادنا وأحفادنا بالمدن العملاقة والعمارات الشاهقة والشوارع المتسعة والموسيقى الصاخبة والسيارات الفارهة والأكلات السريعة مثل البيف برغر والبيتزا هوت؟ فهذه سنة الحياة، لكل جيل عاداته وتقاليده، ولا بد لكل جيل أن يعترف بقيم الآخر، ويقدرها، ولا يجوز أن يجبر جيل جيلاً آخر

على ما يؤمن به من قيم وأعراف... وصدق الله العظيم بقوله: (فتلك الأيامُ نداولها بين النّاس).

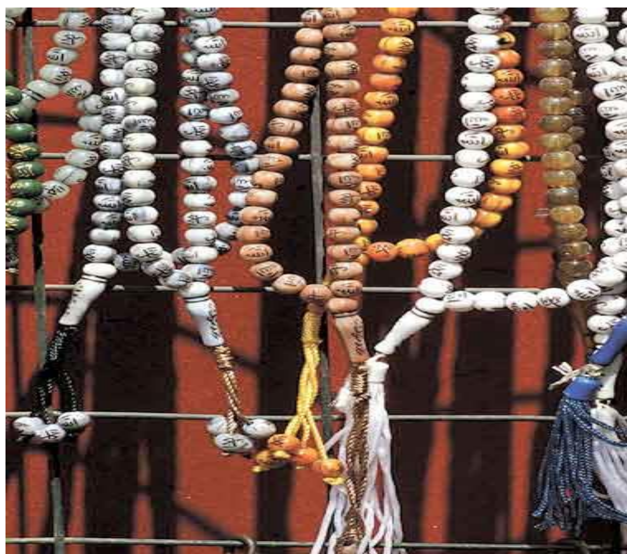
كان جدي سعيد يونس حديد (رحمه الله) في منتصف القرن الماضي يجلس معظم وقته في جميع أيام السنة وفي الفصول الأربعة على المنقل، ويحضر قهوته العربية الأصيلة، ويحتسيها، ويستمتع بها؟ ويقدم منها إلى ضيوفه وزواره وأصدقائه وكل من يمر أمامه ويسلم عليه، كان يضع المنقل أمامه ودلة القهوة على يمينه والماشة (الكماشة) على شماله وبيده مسبحة شيح صفراء اللون متوسطة الحجم يسبح بها طيلة الوقت، بين مدة وأخرى يفركها بكفيه ويشمها، حيث تصدر رائحة طيّبة زكيَّة منعشة، فهي سلوته وحسابه، ورفيقه أنسه، ثروته وعطره... لا تفارقه أبداً، كأنما يرتبط بها بعقد شرعي أو روحي، أو كأنها جزء من كيانه وشخصيته. وإذا ما أردنا أن نقارن بين هذا الجيل وجيل أولادنا وأحفادنا مثلاً في هذه الظاهرة ظاهرة حمل شيء في اليد من باب العرف والتَقْليد والتَسلِية، فإن السبحة التي هي للذِّكر والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار، فإن أولادنا يحملون بأيديهم طيلة الوقت هواتفهم النقالة (الموبايلات) التي يتباهون بها ويتنافسون على اقتناء أفضلها؟ فهذا يفضل البلاك بيري، وذاك يرغب في الآي فون، وآخر يختار الأي باد، والمتواضع منهم يكتفي بالنوكيا! وفي لقاءاتهم يتباهون بما يحملون منها، ويتبارون أيهم لديه نغمات أفضل، فبعضهم يفضل الصاخبة منها، وبعضهم الهادئة، والآخر

أُغنِية كاظم الساهر، أما أنا فأفضل صوت الآذان، وأتحيز بلا شك إلى الجيل القَديم دون تردد أو تفكير متمسكاً بعاداتنا وتقاليدنا، لأنني حريص على توثيق تُراثنا.

لنعد إلى الجيل القَدِيم ونستمتع بذِكرياته محاولين توثيق تلك المرحلة للأجيال القادمة، وندع جانباً جيل الكومبيوتر واللاب توب والآي باد، لأننا نعيشها حالياً، وهي حديث الساعة، وأجهزة العصر، والتقنية السائدة بين الأغنياء والفقراء، والصغار والكبار على حد سواء، ولا داعي لتوثيقها في الوقت الحاضر، ونتركها للأجيال القادمة، لتقييمها وإبداء الرأي فيها، لاسيما في ظل هذا التطور التقني الهائل الذي يقاس بالدقيقة بل بالثانية.

كان جدي يملك مسبحته المصنوعة من الشيح، وعندما يشاهد أي شخص بيده مسبحة يسارع إلى خطفها من يده ويلقى نظرة إليها ويقيمها ويطلق أحكامه عليها، هذه كهرب من النوع الجيد، وتلك من الأحجار الكريمة الأصلية (الزمرد، العقيق، اللؤلؤ، الروبي، الياقوت، العاج، الفيروز، اليسر، الصندلوز، خشب الكوك...)، وأخرى من الحجر الطبيعي أو الاصطناعي المطلي بالذهب أو بالفضة، أو المرصعة بالذهب أو الفضة، والأخرى من الزجاج أو الكريستال، وأخرى من العاج، وفي بعض الأحيان أسمعه يقول: هذه المسبحة

طرهات (يعني رديئة)، لأنها مصنوعة من البلاستيك، ثم يعيد المسبحة إلى صاحبها بعد أن فحصها وثمنها! هذه هي تسليته ومهارته وخبرته.



أو يصنف المسبحة حسب مكان صناعتها، على سبيل المثال: مسبحة اسطنبولية دلالة على صناعتها في اسطنبول (تركيا)، ومسبحة نجفية من إنتاج مَدِينَة النجف في العراق، ومسبحة يسر مكية دلالة على مسبحة اليسر المفضفضة أو المنتجة في مكة، ومسبحة مصنوعة من العقيق اليمني، ومسبحة البازهر الأفغانية، ومسبحة كهرب دلالة على صناعتها في ألمانيا أو بولندا أو روسيا، ومسبحة فيروزية دلالة على صنعها في إيران، ومسبحة روبية دلالة على صنعها في الهند. المسابح هي زينة وجمال، قيمة وتُراث ، من مكملات الرجولة والزعامة، وهي أحجار كريمة.

اختلفت المصادر التَارِيخية في تحديد نشأة المسبحة اليدوية وبدايتها، فقد ذكرت بعض هذه المصادر أن الهنود هم أول من استخدم هذا النوع وأبدع فيه. وبعضها الآخر أرجعها إلى أقدم من ذَلك وقد ربطها بعلاقة وطيدة مع كل الديانات القَديمة... وقد استخدمها كَهَنة تلك العصور في أداء بعض طقوسهم وعباداتهم لأجل التقرب للآلهة التي كانوا يعبدونها... كما استخدمها بعضهم في ممارسة السحر والشعوذة... وهي أنواع كثيرة. كل واحد منا كان يحمل في وقت من الأوقات مسبحة، بعض منها باهظ الثمن، ونادر النوع، ولها ألوان متعددة وأصناف مصنفة.

تتألف المسبحة منذ القدم من قطع أو حبيبات مصنعة من مواد مختلفة وهذه الحبيبات ذات عدد معين هو 33 أو مضاعفاته 99، يكون في معظم الأحوال مبني على قاعدة أو اعتقاد محدد، بالإضافة إلى قطع المسبحة الأخرى المختلفة كقطعتي الفواصل التي تقسم المسبحة في العادة إلى ثلاثة أقسام متساوية العدد، وقطعة ثالثة تسمى بالمنارة أو المئذنة يتجمع فيها طرفا خيط المسبحة ويعقد بعدها. وقد يكون خيط المسبحة من مواد نباتية أو حيوانية أو سلك أو سلسلة معدنية. إن ذَلِك يعني أن جميع مكوناتها مثقوبة تصلح لمرور الخيط فيها، وفي أكثر الحالات تنتهي المسبحة من جانب المئذنة أو المنارة بقطع إضافية تدعى أحيانا بالشرابة (أو الكشكول) مع دلايات إضافية من مواد الخيوط أو المواد المعدنية النفيسة وغير النفيسة وبأشكال متنوعة.

عندما تكون المسبحة عيار 33 حبة تحمل في اليد أو الجيب، أما مسابح الدراويش فهي عيار 99 فتحمل عادة حول العنق أو مع السجادة وتستخدم في صلاة التسابيح أو لحساب عدد الاستغفار.

من عاداتنا وتقاليدنا تقديم المسابح هدية عند زيارتنا لصديق أو قريب أو عزيز، أذكر أن أخي وصديقي العزيز الدكتور سمير النعمة سفير العراق السابق في الخرطوم (السودان) حين زارني قَبْل ستة أعوام في الإمارات، أحضر لي معه هدية وهي مسبحة بيضاء من العاج (أنياب الفيل) المتوفرة في السودان وأفريقيا وهي مسبحة ثمينة وعزيزة لا زلت أحتفظ بها:



ومن تقاليدنا وعاداتنا أيضاً الجلوس في المقاهي أثناء المساء وعقب يوم عمل كامل لشرب الشاي أو الحامض والتسلي بالسبح وتبادل الحديث مع الأصدقاء أو حضور جلسات ثَقَافِيّة أو شعرية أو العنتريات لاسيما في شهر رمضان.

لنتناول نوعا متميزا من أنواع المسابح المصنوعة من مادة ثمينة جداً تسمى الكهرمان، حيث يعرف الكهرمان لدى الحضارات البشرية القَديمة منذ آلاف السنين... وتلك المادة تحيط بها الكثير من الأسرار التي تعد من غرائب ما أنتجته الطبيعة بعد إرادة المولى عز وجل... فتَارِيخ النشأة لهذه المادة يعود إلى ملايين السنين: من 90 إلى 130 مليون سنة. حيث أثبتت البحوث والتجارب هذه المعلومة بدليل وجود عدد من الحشرات والنباتات المتحجرة في الكهرمان الشفاف التي تعود إلى تلك الحقبة الزمنية.

الكهرمان عبارة عن مادة صمغية راتينجية، تفرزه جذوع بعض أنواع الأشجار من العائلة الصنوبرية، تفرز الأشجار هذه المادة كوسيلة دفاعية لها ضد الأمراض والفطريات والحشرات وغيرها... وطبعاً إذا زادت الإفرازات تثقل على جذع الشجرة وتسقط على الأرض أو في أعماق البحر، وإذا كانت الأشجار قريبة منه... ومع الوقت (ملايين السنين) تتحجر المادة الصمغية وتتحول إلى صخور (كهرمان) بألوان وأشكال مختلفة على حسب البيئة المحيطة بها...

تحتوي مادة الكهرمان (Amber) على الكثير من الأسرار والغموض، وكانت معروفة لدى الفينيقيين والفراعنة واليونانيين وغيرهم من أصحاب الحضارات القَديمة جداً... لما لها من خواص كثيرة مثل الرائحة العطرية وسهولة التشكيل والتطويع... فقد وجدت ضمن آثارهم وقبورهم وكنوزهم المكتشفة كتحف أو عقود تلبس... كما استخدموها للعلاج، لاعتقادهم بأن هذه المادة تحتوي على مميزات سحرية، لأن الكهرمان يتميز بطاقة كهربائية تتولد عند فركه باليد... كما كان يستخدم لاعتقادات شعائرية مثل طرد الأرواح والتبخر بدخانه لتمتعه برائحة جميلة...

السبحة إذاً عادة وتُراث وتَسلِيَة، ووسيلة يحاول الإنسان أن يتقرب بالتسبيح بها إلى الله سبحانه وتعالى، وهي تذكّر المرء ما دامت في يده وتتشابك مع أصابعه بذكر الله قياماً وقعوداً، وهي بلا شك تخفف التوتر النفسي، وتطفئ الغضب، لاسيما أنها تذكر حاملها بالتكبير والتهليل، ألم يرد في القرآن الكريم (الرعد 28): (أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)؟. يضاف إلى ذَلِكَ كله أنها يمكن أن تكون وسيلة تَسلِيَة عند بعض النّاس الذين هم عن ذكر ربهم ساهون، ذَلك أنها تشغلهم عن عادات سيئة، من مثل عض الأصابع، أو قضم الأظافر بالأسنان، أو اللعب بها برموش العين أو شد شعر الناصية... الخ.

هذه خصلة من حَقِيبَة ذِكْرَيَاتي أحببت أن أوثقها في هذا الكتاب على أمل قراءتها وتبادل الآراء حولها من قِبَلْ الأحبة إخواني وأخواتي وأصدقائي وقرائي، والحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات.

المصادر

[1] إبراهيم العلاف، "إعدادية الموصل للبنين 1908–1954: فصل من تَارِيخ التربية والتعليم في العراق المعاصر"، الحوار المتمدن، العدد: (2815) (2009).

[2] إبراهيم العلاف، "النشيد الوطني الموصلي"، موقع الدكتور إبراهيم العلاف www.dr-ibrahim-al-allaf.com

[3] ابن الأثير الجزري، "الكامل في التاريخ"، دار الكتب العلمية (1987).

[4] ابن الفقيه الهمذاني، "مختصر كتاب البلدان" مطبعة ليدن، الهند (1833).

[5] أحمد عبد الله الحسو، "الشيخ عبد الله الحسو ودوره في الحركة الفكرية في الموصل في النصف الأول من القرن العشرين"، ستنشر قريباً (2012).

[6] أزهر العبيدي، "محلَّة الباب الجَدِيد"، مكتب المنصور (2001).

[7] أزهر العبيدي، "أسماء وألقاب موصلية"، المكتب الاستشاري لنظم الحاسبات الالكترونية، جامعة الموصل، مكتب المنصور للاستنساخ، (2007).

[8] أزهر العبيدي، "الموصل أيام زمان"، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل، الموصل (1998).

[9] القزويني، زكريا ابن محمد بن محمود، "الموصل في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد"، (682هـ/1283م)، دار بيروت للطباعة والنشر (1960).

[10] ايتالو كالفينو، "مدن لا مرئية"، ترجمة: ياسين طه حافظ، دار المدى.

[11] حازم البكري، " معجم الألفاظ الموصلية والموروثات التُراثية"، الجزء الأوّل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد (2009).

[12] ذنون الطائي، "قصة ساعة منطقة الساعة"، ملتقى أبناء الموصل، العدد: 18429 (2010). http://mosul-network.org/index.php?do=article&id=18429

[13] سالم الحسو، " محلَّة شهر سوق" ، موقع الحسو الخاص.

http://salimalhasso.weebly.com

[14] ستار تايمز، "مدينَة الموصل الْحدبَاء"،

http://www.startimes.com/f.aspx?t=27620865

[15] سعيد الديوه جي، "جوامع الموصل في مختلف العصور"، مطبعة شفيق (1963).

[16] سهيل قاشا، "الموصل في العهد الجليلي"، التنوير للطباعة والنشر (2010).

[17] صلاح سليم علي، "الموصل بين التصور التَاريخي والخيال الأسطوري" ملتقى أبناء الموصل، عدد: 19094 (2011).

[18] عبد الجبار محمد جرجيس، " الحَمَّامات الشعبية في الموصل"، مجلة التُراث ، العدد (6)، (1975).

[19] عشتار البرزنجي، " مدن ومناطق الوطن"،

http://www.mesopot.com/old/adad1/mudenwamanadekalwatan.htm

[20] عماد الدين خليل، "خطوات في تُراث الموصل"، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل (2009).

[21] محمد بن أحمد المقدسي، " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" شبكة مشكاة الإسلامية (2004).

[22] معن عبد القادر زكريا،" مدارس الموصل في العهد العثماني الثاني/ مدرسة الحاج زكريا التاجر الدينية أنموذجاً"، ملتقى أبناء الموصل، العدد: 17842 (2010).

[23] نوري ايشوع هرمز،" مار ميخائيل رفيق الملائكة"، الشبكة المسيحية، مارس (2010)، http://forum.iraqchurch.com/showthread.php?t=11821.

[24] ياقوت الحموي، " معجم البلدان"، الموسوعة الشاملة، الوراق.

المحتويات



المؤلِّف في سطور

* الأستاذ الدكتور سمير بشير حديد، من مواليد 1948م / الموصل– العراق.

* بكالوريوس رياضيات عام 1971 من جامعة الموصل.

* ماجستير في التحليل الدالي عام 1974 من جامعة سسكس– انكلترا.

* دكتوراه عام 1979م من جامعة لندن في الرياضيات (تحليل دالي ومعادلات تفاضلية)

* مرتبة الأستاذية من جامعة مؤتة– الأردن عام 1995.

* نشر (40) بحثاً متخصصا في الرياضيات باللغة الانكليزية بمجلات عالمية تصدر في: أمريكا وأروبا واليابان وكوريا والهند ... وسواها.

* ألف ونشر أربعة كتب في الرياضيات باللغة العربية (التحليل العقدي 1982 – المتغيرات المعقدة وتطبيقاتها 1985 – مقدمة في التبولوجيا العامة 1988 – المعادلات التفاضلية وتطبيقاتها 2007).

* شارك في مؤتمرات عالمية وعربية عدة، عقدت في: أمريكا، واليابان، وبريطانيا، وبولندا، وإسبانيا، وبلغاريا، والهند، تركمنستان، وعدد من الدول العربية.

* عمل في مواقع قيادية متعددة منها: رئيس قسم، نائب عميد كلية، عميد كلية، نائب رئيس جامعة.

* لديه اهتمام بالتراث العالمي والعربي بشكل عام، والتراث الموصلي بشكل خاص وقد نشر ما يقارب (100) مقالة تعنى بالتراث والسيرة الذاتية لأعلام عرب متميزين في مواقع الكترونية متعددة.

* يعد أحد خبراء معايير الجودة والاعتماد الأكاديمي في الوطن العربي، وله بحوث ومقالات منشورة في هذا المجال، كما استضيف في جامعات عربية (البحرين والإمارات) لإلقاء محاضرات وعقد ورش عمل في هذا المجال.

* عضو هيئة تحرير العديد من المجلات العلمية العالمية والعربية، والتي تصدر في: ألمانيا، البحرين، الأردن، والعراق. وعضوية الجمعية الرياضية اللندنية، والأمريكية، والعربية.

* حاصل على (50) كتاب شكر وتقدير من مؤسسات أكاديمية على مستوى الوطن العربية، بالإضافة إلى جوائز عالمية وعربية عدة، منها: الأستاذ المكرم لجامعة الموصل، وجائزة "التميز العالمي في العلوم" لمؤسسة سانت ماركوس في أمريكا.

* يعد أحد أعلام الرياضيات في الوطن العربي ومن رواد المنظرين في حقل المعادلات التفاضلية الكسرية، حيث أسهم بفاعلية من خلال بحوثه في تطوير نظريات المعادلات التفاضلية الكسرية ويعد الآن المرجعية في هذا المجال على مستوى الوطن العربي. كما استضيف كمتحدث رئيس في مؤتمرات عالمية عدة متخصصة في هذا المجال.

* العنوان الحالي: قسم الرياضيات والعلوم، شبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، عجمان، دولة الإمارات العربية المتحدة.

samir_hadid@yahoo.com أو sbhadid@hotmail.com

*****